جواد الأسدي: البروفة جنة المخرج المسرحي ص14

المرشحون يهربون من مواجهة الناخب العراقي

ص3

مرحلة جديدة لتغيير قواعد الأزمة في ليبيا ص7

العرب

www.alarab.co.uk
أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977
الأحد 2018/04/15
28 رجب 1439
السنة 40 العدد 10960
Sunday 15/04/2018
40th Year, Issue 10960

ثعلب الصحراء – دايت في سوريا

• ضربات محدودة تراعي مصالح روسيا وتحافظ على نظام الأسد • استهداف مواقع عسكرية ومراكز علمية مهجورة

المهم الهجوم وليس النتائج

❑ **لندن** – لم تهدف الضربات التي نفذتها الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا، فجر السبت، على مواقع سورية مختلفة إلى إحداث تغيير عسكري أو سياسي في سوريا، وكانت أقرب إلى استعراض بغايات سياسية داخلية وخارجية في الدول التي نفذتها مع بعث رسائل إلى روسيا وإيران ونظام الرئيس السوري بشار الأسد.

ويرى محللون سياسيون أن الهجوم الثلاثي استعاد أسلوب عملية "ثعلب الصحراء" ضد العراق في 1998 تحت يافطة مكافحة استخدام الأسلحة الكيمياوية، ولكن في شكل عملية محدودة طالت مواقع عسكرية مهدمة بفعل الحرب، فضلا عن مراكز بحثية وعلمية مهجورة.

ويعتبر المحللون أن الضربات أخرجت الجميع بمثابة "المنتصر"، فالرئيس الأميركي دونالد ترامب نفذ تهديداته، ولو بشكل محدود يحفظ ماء الوجه. كما أن الهجوم حرص على مراعاة مصالح روسيا وتجنب استهداف مواقعها، ولم يحرج إيران باستهداف مواقعها ومواقع الميليشيات الحليفة لها في سوريا، وأعطى للأسد الفرصة ليبدو في ثوب من خرج "منتصرا" في المعركة طالما أن نظامه قائم ولم يتضرر، وهو أحد الضوابط التي تمت مراعاتها في الهجوم.

ونشرت الحكومة السورية لقطات فيديو يظهر فيها الأسد لدى وصوله إلى مكتبه، في رسالة على أنه لا يزال قويا ومتحديا.

وقالت رئيسة الوزراء البريطانية، تيريزا ماي، إنّ الهدف من الضربات العسكرية الغربية "ليس تغيير النظام السوري أو الانخراط في حرب أهلية". وأضافت ماي في مؤتمر صحافي أنّ الهدف من الضربات "ردع نظام بشار الأسد، وضمان عدم استخدام الأسلحة الكيمياوية في سوريا مستقبلا".

وفيما اعتبر الرئيس الأميركي أن "المهمة أنجزت"، وأنه "ما كان من الممكن تحقيق نتيجة أفضل"، أعلنت موسكو أن أنظمة الدفاع الجوي السوري اعترضت العشرات من الصواريخ خلال الهجوم.

وأكد البنتاغون أن العملية "ضربت كل الأهداف بنجاح"، وأنها كانت "دقيقة وشاملة وفعالة" وستعيد برنامج الأسلحة الكيمياوية التابعة للنظام السوري سنوات "إلى الوراء".

وأشار وزير الدفاع جيمس ماتيس إلى أن "الأماكن التي استهدفت هدفها على وجه التحديد إضعاف قدرات الجيش السوري على إنتاج أسلحة كيمياوية". وأضاف "لم تكن هناك محاولة لتوسيع عدد الأهداف".

وأكد رئيس هيئة الأركان الأميركية المشتركة جو دانفورد "حددنا هذه الأهداف بدقة بغرض التقليل من خطر تورط القوات الروسية" مشيرا إلى عدم تحذير موسكو مسبقا بالأهداف التي تم اختيارها.

وأعلن دانفورد أن لا خطط في الوقت الحالي لشن عملية عسكرية أخرى، مشيرا إلى أن حلفاء الولايات المتحدة حرصوا على عدم استهداف القوات الروسية في سوريا.

وجاءت العملية محدودة وحرصت القوى الغربية على عدم المس بالقوات الروسية الموجودة في سوريا إلى جانب قوات النظام.

وقللت المعارضة السورية من أهمية الضربات الغربية، في وقت اعتبرها فصيل جيش الإسلام المعارض الذي كانت مدينة دوما تعدّ معقله الأبرز قرب دمشق، "مهزلة".

وقال القيادي البارز في جيش الإسلام محمد علوش في تغريدة على موقع تويتر إن "معاقبة أداة الجريمة وبقاء المجرم مهزلة"، في إشارة إلى الأسد الذي اتهمت قواته بتنفيذ هجوم كيمياوي قبل أسبوع في مدينة دوما.

واعتبر رئيس هيئة التفاوض السورية المعارضة نصر الحريري في تغريدة على تويتر "ربما لن يستخدم النظام السلاح الكيمياوي (السارين) مرة أخرى، لكنه لن يتردد في استخدام الأسلحة التي سمح له المجتمع الدولي باستخدامها كالبراميل المتفجرة والقنابل العنقودية".

وأعلن رئيس إدارة العمليات العامة التابعة لهيئة الأركان العامة للقوات المسلحة الروسية، سيرجي رودسكوي أن الدول الغربية استخدمت في ضرب سوريا 103 صواريخ كروز بما في ذلك توماهوك، طبقا لما ذكرته وكالة سبوتنيك الروسية.

وقال رودسكوي "وفقا للمعلومات، تم استخدام 103 صواريخ بما في ذلك صواريخ توماهوك، وكذلك قنابل مسيرة من نوع "جي. بي.يو- 38، وطائرات من نوع بي1.بي، وأف16، وأف15، وصواريخ جو-أرض، وطائرات تورنادو التابعة لسلاح الجو البريطاني، وثمانية صواريخ سكالب إي.جي".

واستهدفت الضربات مرفق أبحاث علمية في دمشق، ومرفق تخزين للأسلحة الكيمياوية غرب حمص (وسط)، ومجمعا عسكريا على بعد 24 كلم غرب حمص أيضا.

وقال مدير المرصد رامي عبدالرحمن إن المواقع التي تم استهدافها في الضربات كانت خالية إلا من بعض عناصر الحراسة، إذ "تم إخلاؤها بالكامل" قبل أيام.

وأكدت وزيرة الجيوش الفرنسية فلورانس بارلي أن "قدرة تطوير وإنتاج الأسلحة الكيمياوية هي التي تضررت"، فيما أكد وزير الخارجية الفرنسية جان إيف لودريان أن "جزءا كبيرا من الترسانة الكيمياوية" التابعة للنظام السوري "تم تدميره" في الضربات.

ضربة مرت بسلام

خيرالله خيرالله

» ص5

السر وراء قصف فرنسا مركز بحوث برزة

❑ **باريس** – أسست فرنسا مركز الدراسات والبحوث العلمية الكائن فوق جبل قاسيون في منطقة برزة بمدينة دمشق، والذي قصفته فجر السبت، خلال الثمانينات من القرن الماضي سواء من حيث التمويل المالي أو تقديم الخبرات وحتى الهيكل الإداري وكافة خرائط توزع المكاتب والأقسام، وحتى الدوام الإداري كان يتم وفق المعمول به في فرنسا.

وكانت الغالبية العظمى من الباحثين والخبراء والعلماء في المركز هم من الجانب الفرنسي، بمن في ذلك مدرسو اللغة، ومعظم الباحثين والمهندسين السوريين العاملين في المركز اليوم هم من الذين كانوا طلبة لدى الخبراء الفرنسيين، والذين تم إيفادهم للدراسات العليا في أهم الجامعات والمدارس الفرنسية العليا المتخصصة في الفيزياء والكيمياء وعلوم الذرة والرياضيات، في مدارس غرونوبل وكاشان وماري كوري وجامعة دوفين في باريس، وغيرها، ومن ثم عادوا لاحقا للعمل في مركز البحوث في دمشق وفروعه في حلب وحمص.

وبدءا من العام 2000 تم استبدال الخبراء الفرنسيين بآخرين روس وإيرانيين.

ويعمل ما يزيد عن 20 ألف موظف وباحث في المركز، منهم حوالي 200 طالب في كافة الفروع ومراحل الدراسة. وأفاد عدد من المهندسين والإداريين والطلاب في المعهد العالي للعلوم التطبيقية والتكنولوجيا الذي يعتبر أحد أقسام مركز البحوث، بعدم وقوع أي إصابات نظرا للعطلة الأسبوعية الجمعة والسبت، مع وجود تعليمات سابقة بعدم التواجد في المراكز الحساسة.

وأشار هؤلاء إلى أن ما تم تدميره مبان مهجورة لمعهد تكنولوجي يتبع المركز.

وسبق لإسرائيل أن اغتالت في طرطوس في عام 2008 العميد محمد سليمان الذي قيل إنه المسؤول الأمني لمركز البحوث، وكان المشرف على المفاعل النووي في دير الزور الذي قصفته إسرائيل في عام 2007.

إخوان اليمن يرهنون تعز في معركة فرض شروطهم على الشرعية

• مساع لاحتكار تمثيل المدينة عسكريا وإداريا • الإصلاح يتحالف مع الحوثيين ضد عودة طارق صالح

❑ **صنعاء** – تعيش مدينة تعز جنوبي اليمن وضعا صعبا منذ سنوات بسبب رغبة إخوان اليمن في توظيفها ورقة بمواجهة جهود التحرير التي يتولاها الجيش الوطني والمقاومة الشعبية مدعومين بالتحالف العربي. ويرفض حزب الإصلاح الإخواني أي مشاركة من بقية مكونات الشرعية في إدارة المدينة وتمثيلها عسكريا وإداريا، ويلجأ إلى التظاهر وحملات التشويه لفرض هيمنته على المدينة ذات التأثير الاستراتيجي في مستقبل معركة التحرير.

وفي أول رد رسمي على المظاهرة التي دعا إليها حزب الإصلاح وشارك فيها المئات من عناصر الحزب في تعز، حذر أمين أحمد محمود محافظ محافظة تعز في بيان له، السبت، مما وصفه بالأصوات المأجورة التي تحاول الاصطياد في المياه العكرة من خلال الإساءة إلى التحالف العربي لدعم الشرعية.

وأكد محمود على أولويات المعركة في اليمن التي تستوجب "الإيمان بأن اليمن ودول التحالف وعلى رأسها السعودية والإمارات في خندق واحد". وأضاف "إنه لخطأ جسيم بل جريمة نرتكبها في حق أنفسنا ومستقبلنا أن نسمح لأي كان أن يشق صفوفنا ويسيء إلى تحالفنا مع أشقائنا".

وكشف محافظ تعز في بيان له عن وجود ما وصفه بالطابور الخامس الذي يعمل ضد مصالح أبناء تعز ويسعى لإشعال الحرائق والفتن، لافتا إلى "أن تحرير تعز واليمن بأكمله لن يكون بالإساءة وتوجيه الاتهامات الزائفة لحلفائنا الذين هبوا لنصرتنا ولم يبخلوا بأموالهم ودمائهم في سبيل ذلك".

وجاءت تصريحات محافظ تعز ردا على التظاهرة التي دعت إليها جماعة الإخوان في اليمن ممثلة بحزب الإصلاح، والتي دفعت بعناصرها إلى الخروج في مسيرات للتنديد بالتحالف العربي، ورفض ما تروج له وسائل إعلام الحزب مما تسميه توجها لإنشاء حزام أمني في المحافظة على غرار الحزام الأمني في عدن وكذلك رفض أي دور للعميد طارق محمد صالح في مواجهة الحوثيين.

وتناغمت دعوات جماعة الإخوان المعادية لنجل شقيق الرئيس السابق الذي تشارك قواته في عمليات الساحل الغربي مع دعوات أخرى أطلقتها قيادات بارزة في الجماعة الحوثية، حيث أيد عضو اللجنة الثورية العليا التابعة للحوثيين منذر الأصبحي في منشور له على فيسبوك خروج "مسيرات جماهيرية شعبية في معظم المديريات" لرفض ما أسماه "الحزام الأمني في تعز". وهو ما يعكس وفقا لمراقبين تقارب الأهداف والتقاء المصالح بين الحوثيين والإخوان.

واعتبر الصحافي اليمني محمد سعيد الشرعبي في اتصال هاتفي مع "العرب" من تعزّ أن المسيرات التي شهدتها المدينة ورفعت فيها شعارات لرفض وجود قوات العميد طارق صالح في سواحل تعز والتنديد بدعم التحالف العربي للرجل، تهدف في الأساس إلى ابتزاز محافظ تعز.

ونجح المحافظ في تفعيل حضور الدولة في المحافظة، بعد أن أثبت شجاعة نادرة بالعمل وسط ظروف صعبة، وبدأت ثمار جهوده في الظهور، منها، انتظام صرف مرتبات موظفي الدولة، وتجهيز إدارة الشرطة للقيام بواجبها في ضبط الأمن، والعمل مستمر في إعادة تقديم الخدمات كالماء والكهرباء.

وأشار الشرعبي إلى أن منظمي هذه المسيرات يرفضون أي جهود رسمية لإنقاذ تعز المنكوبة بتعزيز حضور ودور الدولة، ويعملون على المتاجرة بدماء الشهداء لخدمة مصالح حزبية، كما يريدون إبقاء المحافظة بين فكي كماشة ميليشيات الانقلاب وعصابات الانفلات حتى يتسنى لهم تحقيق أهدافهم الضيقة.

ويتهم العديد من المراقبين الإخوان بافتعال المشكلات في تعز والحيلولة دون استكمال تحريرها، حتى استكمال مشروعهم الهادف إلى إحكام قبضتهم العسكرية والأمنية عليها، إضافة إلى تكريس أنشطتهم الممنهجة في استهداف جميع القوى الأخرى في المحافظة التي تحظى بنوع من الشعبية مثل القوى اليسارية والقومية والسلفية.

ويخشى إخوان اليمن من أي دور قادم للعميد طارق صالح الذي التحقت قواته مؤخرا بجبهات الساحل الغربي، وهو الأمر الذي يندرج ضمن سياسة إضعاف جميع القوى والتيارات والأحزاب اليمنية وتصفيتها حتى لا تشكل عائقا أمام طموحات الجماعة في مرحلة ما بعد الحوثي.

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينار – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلسا – الإمارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا
AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

هجوم ضد الجيش المصري بسيناء يحرج الخطة الشاملة

نشاط المتطرفين يتطلب تغيير الاستراتيجية في الداخل

شنّ 14 مسلحا هجوما على أحد معسكرات الجيش بمنطقة وسط سيناء فجر السبت، مما أسفر عن مقتل ثمانية عسكريين وإصابة 15 آخرين. ورغم أن القوات المصرية تمكنت من القضاء على جميع المسلحين الذين شنوا الهجوم، لكن طبيعة العملية تؤكد أن تغيير الاستراتيجية الأمنية المتّبعة بات ضرورة حتمية.

أحمد حافظ

الخطة الأمنية مرشحة للتطور

❏ **القاهرة** – يشير الهجوم المسلح الذي استهدف معسكرا للجيش المصري في سيناء، السبت، إلى أن الحملة العسكرية الواسعة التي بدأت في فبراير الماضي لتطهيرها من الإرهاب، لم تحقق النتائج المرجوة كاملة حتى الآن.

وقال العقيد تامر الرفاعي، الناطق باسم القوات المسلحة، إن هجوما شنه 14 مسلحا على أحد معسكرات الجيش بمنطقة وسط سيناء فجر السبت أوقع 8 عسكريين وأصاب 15 آخرين. وتم القضاء على جميع التكفيريين الذين شنوا الهجوم.

وأوضح الرفاعي، في بيان صحافي، أن الـ14 مسلحا استخدموا أسلحة ثقيلة "آر.بي.جي" وبينهم أربعة أفراد يرتدون أحزمة ناسفة قاموا بتفجير أنفسهم بمحيط المعسكر.

وأعلن الجيش المصري عن الهجوم بعد ساعات قليلة من بيانه التاسع عشر بشأن العملية العسكرية "سيناء 2018"، وقال إنه خلال الأيام الماضية قضت القوات الجوية على 27 تكفيريا شديدي الخطورة وتم القبض على 114 من المشتبه بهم.

> التنظيمات المسلحة في سيناء استطاعت الخروج من مأزق حصارها باستقطاب فئة من أبناء القبائل ناحيتها، ما يعني أن مهمة القوات في حسم المعركة لصالحها أصبحت أكثر تعقيدا

وهذه المرة الأولى التي يعلن فيها الجيش المصري سريعا أن قواته تعرضت لهجوم مسلح في سيناء منذ انطلاق العملية العسكرية في 19 فبراير، ما يعني أن القضاء على العناصر التكفيرية بشكل كامل يحتاج إلى تغيير الاستراتيجية الأمنية المتبعة، والأمر لا يرتبط فقط بقوة العتاد العسكري.

وبلغت حصيلة الخسائر في صفوف القوات منذ انطلاق العملية الشاملة في سيناء حتى السبت، مصرع 26 ضابطا ومجندا وإصابة 35 آخرين، فيما تم القضاء على 137 تكفيريا.

وأظهر الحادث إصرار التنظيمات الإرهابية على إبراز التحدي لقوات الجيش والشرطة التي تم تكليفها من الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي بالقضاء على الإرهاب في سيناء في غضون 3 أشهر فقط انتهت فبراير الماضي.

وتبرر القوات بأن الحرب في سيناء ليست مع جيش نظامي بل مع عناصر غير معروف عددها ولا أماكن اختبائها وسط الأهالي، فضلا عن أن مساحة سيناء تصل إلى 65 ألف كيلومتر مربع ومليئة بالجبال والوديان والدروب ويصعب مسحها وتمشيطها.

وتتشابه تداعيات حادث استهداف معسكر الجيش، مع حادث ضرب مطار العريش وقت زيارة وزيري الدفاع والداخلية إلى سيناء قبل نهاية العام الماضي، لا سيما وأن كليهما وقع في ظل وجود أمني كبير.

وتخشى دوائر أمنية من أن يكون حادث استهداف المعسكر الأمني نتيجة استرخاء عناصر القوات وتنامي الشعور لديها بقرب حسم المعركة لصالحها، ما استغله الإرهابيون في توجيه ضربة نوعية يستطيعون بها تحقيق انتصار معنوي يبرهن على استمرار قوتهم ونفوذهم على الأرض.

وكان الجيش قد أعلن منذ بدء العملية العسكرية عن غلق كل المنافذ البرية والبحرية من وإلى سيناء، وفرض سيطرة كاملة على الحدود مع قطاع غزة وقال إنه تم استهداف الأنفاق.

وقال مراقبون إن تفسير استمرار نشاط المتطرفين، بالرغم من الجهود المبذولة في إطار العملية العسكرية، يقود إلى أن الإرهاب بدأ ينشط بقوة من داخل سيناء وأن التنظيمات المسلحة استطاعت الخروج من مأزق حصارها باستقطاب فئة من أبناء القبائل ناحيتها. ويعني ذلك أن مهمة القوات في حسم المعركة مع الإرهاب لصالحها أصبحت أكثر تعقيدا.

ويعتبر خبراء عسكريون أن نشاط الإرهاب داخل سيناء يمثل الخطر الأكبر بعد قطع الطرق الرئيسية على العناصر الخارجية، لأن المهمة سوف تكون صعبة للوصول إلى إرهابيي الداخل ما يطيل أمد المواجهة ويؤخر تطهير سيناء إلا إذا أبلغت كل قبيلة عن أبنائها الناشطين في صفوف التكفيريين.

ويعني ذلك أن القوة الغاشمة التي طالب الرئيس المصري باستخدامها ضد الإرهابيين لم تعد الحل الأمثل لتطهير سيناء من المتطرفين والتكفيريين، بعدما تركت وراءها ثغرات أمنية مهدت الطريق لتنفيذ عملية نوعية يمكن أن تستثمرها التنظيمات الإرهابية لتحفيز عناصرها على المزيد من الضربات.

وأكد اللواء نصر سالم، رئيس جهاز الاستطلاع الأسبق بالقوات المسلحة، أن "العملية الأخيرة تهدف إلى إعادة العزيمة مرة أخرى للإرهابيين بتحقيق خسائر في صفوف القوات وتعكس وصول التكفيريين إلى مرحلة الجنون، بالإصرار على تفجير أنفسهم وهذا سلوك قليل الحدوث في سيناء". وأضاف لـ"العرب" أن الاستراتيجية الأمنية مرشحة للتطور طبقا للموقف على الأرض باستمرار وجود حراك نوعي للإرهابيين. لكنه يعتبر أن الخطر يظل في الإرهاب النشط داخليا، مشيرا إلى أن "هؤلاء يمتلكون خبرة التحرك المفاجئ واختيار التوقيت الأمثل للمواجهة والسلاح الملائم للمعركة".

وأوضح متابعون أن طول أمد العملية العسكرية مع تراجع مكاسبها يعني فشل الخطة الأمنية التي اعتمدت بالأساس على القوة المفرطة دون غيرها، والأمر يتطلب خطة تتعامل مع الإرهاب النشط من الداخل أكثر من تركيزها على الإرهاب القادم من الخارج.

ويعتمد هؤلاء على أن استمرار العمليات ضد القوات مقارنة بالعتاد العسكري غير المسبوق الموجود في سيناء يعزز التفكير في خطط أمنية غير مكشوفة، في ظل وجود عناصر مدربة وتمتلك أسلحة ثقيلة.

وكان ستيوارت، عند حلوله بتندوف، قد كتب في سجل التعازي اثر وفاة ممثل البوليساريو في الأمم المتحدة أحمد البخاري واصفا إياه بـ"السفير". وهو أمر لم تستسغه الرباط باعتبار أن هذه الصفة تنطبق فقط على ممثلي الدول الشرعية، وليس جبهة انفصالية لا تتوفر على عناصر الدولة.

وبلغ التوتر بين الرباط والمينورسو أوجه عندما رفعت البعثة الأممية تقريرا إلى الأمم المتحدة تؤكد من خلاله أنها "لم تلحظ أي تحركات لعناصر عسكرية تابعة للبوليساريو".

وردا على ذلك جاء "إعلان العيون"، الذي أصدرته أحزاب وأعيان وشيوخ الأقاليم الصحراوية هذا الأسبوع، منبها الأمم المتحدة إلى ضرورة عدم التساهل معها بما تفرضه مسؤولية صيانة الأمن والاستقرار.

وكان غوتيريس قد عيّن الدبلوماسي الكندي كولين ستيوارت، في مايو الماضي، على رأس البعثة الأممية المكلفة بمراقبة وقف إطلاق النار في الصحراء بعدما تصاعد الخلاف بين الرباط والرئيسة السابقة لبعثة المينورسو كيم بولدوك. وكان لبولدوك محاولات عديدة تهدف لتغيير قواعد وأعراف التزام البعثة بمظاهر السيادة المغربية.

وأعلنت المملكة المغربية تقليص بعثة المينورسو المتواجدة بجنوب البلاد، في العام 2016، بترحيل 84 من العناصر المدنية التابعة لها. وجاء هذا القرار بعد رصد المغرب "تورط عناصر من بعثة المينورسو في العديد من الممارسات التي تخرج عن إطار مهمتهم الأممية". وأكدت وزارة الخارجية المغربية على امتلاكها لمعطيات تؤكد بأن هذه العناصر كانت وراء العديد من التقارير وحشد البعض من الأطراف في الأمم المتحدة ضد المغرب.

وانتهت الأزمة بين الطرفين عمليا في أبريل 2017، بعدما سمح المغرب لآخر دفعة من الموظفين المطرودين بالعودة إلى مدينة العيون في الجنوب.

وورد في النقطة 52 من مسودة التقرير الذي قدمه الأمين العام لمجلس الأمن، مؤخرا، أن المغرب أكد على أن ولاية بعثة الأمم المتحدة للاستفتاء في الصحراء تقتصر أساسا على وقف إطلاق النار والرصد ودعم عملية إزالة الألغام ومساعدة مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين في إجراءات بناء الثقة بعد انقطاعها في العام 2014. كما تؤكد المسودة على أن المغرب لم يوافق على أي أنشطة خارج نطاق مراقبة حقوق الإنسان أو التفاعل مع السكان المحليين لإعداد التقارير السياسية.

ويعتبر ترتيب المسؤوليات من طرف مجلس الأمن حول ما جرى في المنطقة العازلة من مطالب الرباط، إضافة إلى تشديده على ضرورة التزام بعثة المينورسو بقدر كاف من الحياد والمهنية في أداء مهامهاوالتحلي بروح المسؤولية ومراقبة اختراق اتفاق إطلاق النار وعدم المساس بالوضع الجغرافي والديمغرافي للمنطقة.

وفي هذا السياق، قال سعدالدين العثماني رئيس الحكومة المغربية خلال افتتاحه الاجتماع الأسبوعي للمجلس الحكومي الخميس إن "المغرب سيبقى صارما في الدفاع عن حقوقه وعن سيادته في المنطقة العازلة التي يجب أن تبقى منطقة عازلة حقيقة".

> تحليل الخرائط التي التقطها القمر الاصطناعي المغربي يؤكد دخول عناصر مسلحة ومركبات تابعة للبوليساريو إلى الشريط العازل، إضافة إلى إنشاء خنادق ومنشآت في تجاوز واضح لاتفاق وقف إطلاق النار

وورد في قرار مجلس الأمن رقم 2351، الصادر في العام 2017، بأن الأزمة في المنطقة العازلة في الكركرات تثير مسائل أساسية تتعلق بوقف إطلاق النار والاتفاقات ذات الصلة. كما تضمن القرار الأممي التعبير عن القلق إزاء حالات انتهاك الاتفاقات.

وتواترت استفزازات البوليساريو في الفترة الأخيرة في المنطقة العازلة في تيفاريتي وبئر الحلو والكركرات، مما دفع القوات المسلحة الملكية إلى رفع درجة استنفارها دفاعا عن الأمن القومي المغربي. ويؤكد تحليل الخرائط التي التقطها القمر الاصطناعي المغربي دخول عناصر مسلحة ومركبات ومعدات تابعة لجبهة بوليساريو إلى الشريط العازل، إضافة إلى إنشاء خنادق جديدة ومنشآت وتعزيزات بشرية في تجاوز واضح لاتفاق وقف إطلاق النار.

ضرورة الالتزام بالمصداقية

أويحيى سيكون سعيدا إذا استمر بوتفليقة في الحكم

❏ **الجزائر** – أكد رئيس الوزراء الجزائري أحمد أويحيى، السبت، أن ظهور الرئيس عبدالعزيز بوتفليقة الأخير أثبت أنه "ليس دمية مخفية". وصرح أويحيى بأنه سيكون "سعيدا" لو استمر بوتفليقة في الحكم.

وفي ظهور نادر قام بوتفليقة المريض والبالغ 81 سنة، الثلاثاء، بتدشين مسجد ومحطة مترو بوسط العاصمة الجزائرية، ما جعل الصحف تتساءل إن كان هذا الظهور "وداعا للجزائريين" قبل سنة من انتهاء ولايته أو "طلبا لولاية خامسة".

ورد أويحيى، في مؤتمر صحافي عقده لتقديم حصيلة ما حققه بوتفليقة في 2017، على تساؤلات الصحف بالقول "إذا لم يظهر الرئيس الكل يسأل عنه وإذا ظهر تفسرون ذلك بأنه توديع أو طلب للولاية الخامسة. ما يهمنا هو أن الشعب شاهد الرئيس وفرح به".

وتابع "هذا يكذب من كان يقول إن الرئيس دمية أخفيناها، حتى قالوا إن الصور التي ظهر فيها مع زوار أجانب مفبركة".

ورفض رئيس الوزراء والأمين العام لحزب التجمع الوطني الديمقراطي، حليف حزب جبهة التحرير الحاكم، "إقحام الرئيس كمرشح" لكنه أوضح أنه "سيكون سعيدا لو يكمل رئيس الجمهورية" مهمته أي الترشح لولاية خامسة.

وأعيد انتخاب بوتفليقة الذي يحكم البلاد منذ 19 سنة، لولاية رابعة في 2014، بعد عام على إصابته بجلطة دماغية دخل على إثرها مستشفى فال دوغراس بباريس حيث قضى أكثر من شهرين.

واعترف أويحيى بأن الرئيس ليست له "القدرة الصحية التي كانت له في 2008"، عندما غيّر الدستور حتى يتمكن من الترشح لولاية ثالثة، لكن "الشعب الجزائري فرح برئيسه" و"ما حققه له خلال ما يقارب 20 سنة".

وكان حزب جبهة التحرير الوطني الحاكم دعا الأسبوع الماضي بوتفليقة إلى الترشح لولاية خامسة قبل سنة من الانتخابات الرئاسية المقررة في أبريل 2019.

وأثار الظهور العلني النادر للرئيس الجزائري علامات استفهام حول وضعه الصحي، حيث بدا عليه الوهن رغم تأكيدات السلطة ومقربين منه بأنه في صحة جيدة. كما أثار ظهوره تكهنات بأنه سيترشح لفترة رئاسية خامسة في انتخابات العام المقبل.

وجاء ظهور بوتفليقة بعد يومين من دعوة حزب جبهة التحرير الوطني الحاكم له للترشح مجددا، فيما سعت وسائل الإعلام الرسمية لتبديد الشكوك بشأن حالته الصحية باستعراض اجتماعاته السابقة مع شخصيات دولية.

ومتخذو القرارات الرئيسية في الجزائر هم من قدامى المحاربين الذين شاركوا في الحرب ضد الاحتلال الفرنسي من عام 1954 وحتى عام 1962.

ولم يقل بوتفليقة إنه يريد الترشح مجددا، لكن الحملات الرئاسية السابقة جاءت بعد تصريحات مشابهة من جبهة التحرير تدعوه للاستمرار.

المغرب يضع بعثة المينورسو أمام مسؤولياتها تجاه تجاوزات البوليساريو

محمد بن امحمد العلوي

❏ **الرباط** – يستعد مجلس الأمن الدولي لإصدار تقريره حول الصحراء المغربية نهاية الشهر الجاري، إذ يدرس المجلس حاليا كل المسالك التي اتخذها الملف خاصة بعد التطورات الأخيرة التي تنذر بتصعيد عسكري محتمل.

وقدم كولين ستيوارت، رئيس البعثة الأممية إلى الصحراء (مينورسو)، تقريرا إلى الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريس تضمّن معاينة البعثة لتوغل جبهة البوليساريو الانفصالية في المنطقة العازلة. كما تناول التقرير ما أسفرت عنه لقاءات ستيوارت مع مسؤولين مغاربة بالإضافة إلى نتائج زيارته الأخيرة لمخيمات تندوف.

ويأتي تقرير رئيس بعثة مينورسو بالتزامن مع توتر صامت مع المغرب بعدما قال المتحدث باسم الأمم المتحدة ستيفان دوجاريك، الأسبوع الماضي، أن بعثة مينورسو "لم تلحظ أي تحرك لعناصر عسكرية في المنطقة الشمالية- الشرقية". وأكد دوجاريك أن "مينورسو تتابع مراقبة الوضع عن كثب". ويرى مراقبون أن البعثة الأممية إلى الصحراء المغربية مطالبة بالرد على التساؤلات حول مدى حيادها ومصداقيتها والتزامها بالمعايير المهنية، في التعاطي مع تحركات بوليساريو التي كشفتها الرباط بالأدلة القاطعة.

ويقول متابعون لملف الصحراء بأن المينورسو تشكل عبئا على المغرب ويتوجب رحيلها عن الأراضي المغربية، مادامت لا تلتزم بمهامها المرسومة لها من قبل الأمم المتحدة.

استياء في العراق مع بدء الحملة الدعائية للانتخابات

المرشحون للانتخابات النيابية يهربون من مواجهة الناخب العراقي

بدأت الحملة الدعائية للانتخابات النيابية في العراق السبت مع احتدام الجدل داخل مواقع التواصل الاجتماعي بشأن وضع صور المرشحين مكان صور الشهداء الذين قضوا في المعارك التي عاشتها البلاد ضد تنظيم داعش. وفي المقابل تم توجيه انتقادات كثيرة للمرشحين بسبب تعليق صورهم ليلا، ما اعتبره البعض عدم قدرة على مواجهة الناخبين نهارا.

أماكن مميزة لصور المرشحين

❏ **بغداد** – صاحب جدل حول إزالة صور الذين قتلوا خلال معارك ضد الجهاديين وتعليق صور المرشحين بدلا عنها، انطلاق الحملة الدعائية للانتخابات التشريعية في العراق، السبت.

وبعد دقائق من منتصف ليلة الجمعة/السبت، الموعد الذي حددته المفوضية العليا المستقلة للانتخابات للانطلاق الرسمي للحملة الانتخابية، قام عمال في مناطق مختلفة في البلاد برفع لافتات وصور دعائية للمرشحين. ولا تزال شوارع بغداد والمدن العراقية وأعمدتها توشح بصور ولافتات "شهداء" القوات الحكومية والحشد الشعبي، الذين قضوا في المعارك التي انطلقت منذ عام 2014 ضد تنظيم الدولة الإسلامية.

ويقول ستار تركي (45 عاما) مستهزئا "بمجرد أن دقت الساعة 12 من ليلة أمس (السبت)، سارعوا إلى رمي صور الشهداء ورفعوا مكانها صور اللصوص الجدد".

وعلى الفور انتشرت دعوات على شبكات التواصل الاجتماعي للحد من هذه الإهانة بحق "الشهداء".

وقال ليث الشمري، على صفحته بفيسبوك، "سيقوم المرشحون برفع صور الشهداء ووضع صورهم ونحن بدورنا يجب أن نقوم بحملة حرق كل بوستر دعائي يخص أي نذل وجبان يقوم بهذا الفعل لأننا يجب أن نحافظ على صور شهدائنا كرد جميل".

وباشرت الائتلافات بنصب صور مرشحيها بعد منتصف ليلة الجمعة/السبت في الطرق والساحات العامة في بغداد والمحافظات. ومن أجل الحصول على أماكن مميزة لصور المرشحين أزيلت صور البعض من شهداء المعارك ضد الجهاديين التي تزيّن شوارع المدن في العراق، فيما اعتبر البعض ذلك بأنه "سباق على أعمدة الكهرباء".

> صور انتشرت على مواقع التواصل الاجتماعي تظهر صورا لشهداء المعارك ضد الجهاديين رميت على الأرض ورفعت مكانها صور المرشحين للانتخابات النيابية، فيما قام مرشحون آخرون بوضع صورهم فوق صور الشهداء

وتساءل علي العبار عن سبب تعليق الصور والدعايات الانتخابية ليلا وليس بالنهار؟ وقال "يبدو أنهم يخجلون من الظهور نهارا. كيف ستوفون إذن بالوعود التي قطعتموها على أنفسكم؟".

وانتشرت صور على مواقع التواصل الاجتماعي تظهر صورا لـ"شهداء" رميت على الأرض ورفعت مكانها صور المرشحين للانتخابات، التي من المقرر إجراؤها في 12 مايو القادم، فيما قام مرشحون آخرون بوضع صورهم فوق صورة "الشهداء" المعلقة على أحد أعمدة الكهرباء.

والجمعة، حذّر رئيس البرلمان العراقي سليم الجبوري المواطنين من العزوف عن المشاركة في الانتخابات. وقال الجبوري "إنها فرصتكم التاريخية لاستكمال مراحل خروج العراق من أزمته بعد النجاح الكبير في النصر على الإرهاب والانفتاح على العالم".

وأضاف "لا تضيّعوا الفرصة من خلال الإحجام عن الذهاب إلى الانتخابات، وتحمّل المسؤولية الوطنية كاملة في المشاركة التي من شأنها أن تنعكس في المرحلة القادمة". واعتبر أن "الحق الدستوري ربما يتحول إلى واجب تتطلبه المرحلة، من أجل تكليف من يستطيع أداء هذه المهمة".

ودعا إلى "العمل على منافسة شريفة ونظيفة وعادلة، لخدمة الشعب والوطن". كما دعا الجبوري إلى ضرورة "الالتزام بالقوانين الانتخابية وعدم السعي إلى محاولة التزوير".

وشدد على أن "الجميع مطالب باستكمال مسيرة النصر وبدء مرحلة البناء والإعمار والنهضة وتحسين الاقتصاد في البلاد".

واعتبر أن ذلك "لن يكون إلا بتقديم أهل الخبرة والكفاءة وتحييد الفاسدين والفاشلين من مواقع المسؤولية".

والانتخابات البرلمانية العراقية للعام الحالي هي الأولى التي تجري في البلاد بعد هزيمة تنظيم داعش نهاية العام الماضي، وهي الثانية منذ الانسحاب الأميركي من العراق عام 2011. وهي كذلك رابع انتخابات منذ الغزو الأميركي للبلاد عام 2003.

وسيتم خلال هذا الاستحقاق انتخاب أعضاء مجلس النواب، عددهم 328، الذي بدوره ينتخب رئيسي الوزراء والجمهورية. وتمتد ولاية البرلمان على أربع سنوات.

ويتنافس في الانتخابات 320 حزبا سياسيا وائتلافا وقائمة انتخابية، موزعة على النحو التالي: 88 قائمة انتخابية و205 كيانات سياسية و27 تحالفا انتخابيا، وذلك من خلال 7 آلاف و367 مرشحا.

ويعد هذا العدد أقل من مرشحي انتخابات عام 2014 الماضية الذين تجاوز عددهم 9 آلاف.

وتتوزع المقاعد البرلمانية على المحافظات العراقية الـ18، استنادا إلى التعداد السكاني لكل منها.

ويحق لـ24 مليون عراقي الإدلاء بأصواتهم في الانتخابات من أصل 37 مليون نسمة، وذلك من خلال البطاقة الإلكترونية التي يجري اعتمادها للمرة الأولى، في مسعى لسد الطريق أمام التلاعب والتزوير.

قتلى فلسطينيون في انفجار بين غزة وإسرائيل

❏ **غزة** – قُتل أربعة فلسطينيين في انفجار بالقرب من الحدود بين غزة وإسرائيل السبت، بحسب ما أفادت وزارة الصحة في قطاع غزة، ولكن في ظروف لم تتضح بعد.

وقالت الوزارة في القطاع الذي تسيطر عليه حماس إن الانفجار الذي وقع شرق مدينة رفح جنوب غزة سببه ضربة إسرائيلية، إلاّ أنّ متحدثا باسم الجيش الإسرائيلي أكد أن لا علم له بأي ضربات.

وأفاد أشرف القدرة الناطق باسم وزارة الصحة في قطاع غزة، في بيان، بـ"وصول 4 شهداء إلى مستشفى أبويوسف النجار جنوبي القطاع". وأضاف "حتى اللحظة الطواقم الطبية مازالت في المكان"، الذي تم فيه استهداف الضحايا الأربعة.

ولم يصدر عن الجهات الأمنية الفلسطينية في غزة تعقيبا حول طبيعة الاستهداف وأسبابه، كما لم يصدر عن الجيش الإسرائيلي أي بيان حول الواقعة حتى اللحظة.

وقالت مصادر فلسطينية إن وفدا أمنيا مصريا وصل، السبت، إلى قطاع غزة لإجراء مباحثات بشأن ملف المصالحة الفلسطينية.

وذكرت المصادر أن الوفد دخل إلى قطاع غزة قادما من الضفة الغربية عبر حاجز "بيت حانون/إيرز" الخاضع للسيطرة الإسرائيلية.

وبحسب المصادر، يترأس الوفد مسؤول الملف الفلسطيني في المخابرات العامة المصرية اللواء سامح نبيل على أن يلتقي قادة حركة حماس وفصائل أخرى.

ومن المقرر أن يبحث الوفد المصري ملف المصالحة الفلسطينية المتعثرة منذ توقيع حركتي فتح وحماس في القاهرة منتصف أكتوبر الماضي اتفاقا لإنهاء الانقسام الداخلي. ونص الاتفاق المذكور على تسلم حكومة الوفاق الفلسطينية إدارة غزة إلا أنّ استمرار الخلافات بين الحركتين حال دون ذلك حتى الآن.

وكان الوفد المصري غادر غزة قبل شهر بعد لقاءات أجراها مع الفصائل، منذ قدومه في 25 فبراير الماضي لمتابعة تنفيذ المصالحة.

وجاء وصول الوفد في ظل اضطرابات تشهدها أطراف قطاع غزة مع إسرائيل على خلفية مسيرات العودة التي بدأت في 30 من الشهر الماضي وقتل فيها 33 فلسطينيا حتى الآن. ورعت مصر آخر اتفاق لوقف إطلاق نار بين الفصائل الفلسطينية وإسرائيل لإنهاء هجوم إسرائيلي استمر أكثر من 50 يوما صيف عام 2014، وأسفر عن مقتل أكثر من ألفي فلسطيني.

وحمل رئيس الوزراء الفلسطيني رامي الحمدالله، السبت، الحكومة الإسرائيلية مسؤولية استمرار انتهاكات المستوطنين وتهديدهم الفلسطينيين وممتلكاتهم.

وجاء ذلك إثر إضرام مستوطنين النار بمدخل مسجد السعادة ببلدة عقربا قرب مدينة نابلس شمال الضفة الغربية الجمعة.

قمة الظهران لن تناقش أزمة قطر

❏ **القاهرة** – أعلنت الجامعة العربية، السبت، رسميا عن عدم إدراج ملف الأزمة الخليجية على جدول أعمال القمة العربية الـ29 التي تنطلق الأحد على مستوى القادة بالمملكة العربية السعودية.

ويعكس هذا التصريح، وفق مراقبين، نأي القمة عن الأزمة طالما أن قطر لم تراجع مواقفها ولم تبادر إلى اتخاذ خطوات عملية لتنفيذ الشروط التي طلبت منها، لافتين إلى أنها بهذا الموقف توصد في وجهها أي محاولة لتحريك ملفها.

وقال محمود عفيفي، المتحدث باسم الجامعة العربية، إن "الأزمة القائمة بين الدول العربية الأربع وقطر غير مطروحة على جدول الأعمال الرئيسي للقمة، ولم يتم بحثها بشكل عام في أي من أطر العمل الرسمية".

وعلّل عفيفي بأن "الأمر يعد منطقيا لأن أيا من أطراف الأزمة لم يطلب منذ قيامها بإدراج هذا الموضوع في عمل الجامعة".

وأوضح أن "الأمين العام للجامعة أحمد أبوالغيط أعلن في أكثر من مناسبة هذا الأمر، مع تأكيده على دعمه لجهود الوساطة المقدرة التي يقوم بها أمير الكويت".

والخميس الماضي، قال مصدر دبلوماسي عربي، كان يشارك في الاجتماعات التحضيرية للقمة العربية بالسعودية، إن الجامعة لم تدرج الأزمة الخليجية على جدول أعمال القمة الـ29، لكن ستكون محل المناقشات البينية بين عدد من القادة العرب خلال القمة.

وأعلن الرباعي العربي (مصر والسعودية والإمارات والبحرين)، عقب اجتماع تشاوري لوزراء خارجيته بالرياض مساء الخميس، عن تمسكه بمطالبه لإقامة علاقة طبيعية مع قطر.

وقدمت دول المقاطعة لقطر في الـ23 يونيو، عبر وساطة كويتية قائمة من 13 مطلبا لإنهاء المقاطعة، أبرزها إغلاق قناة الجزيرة، وتخفيض مستوى العلاقات الدبلوماسية مع إيران، وإغلاق القاعدة العسكرية التركية في قطر، وقطع علاقة قطر مع كافة التنظيمات الإسلامية ومنها الإخوان المسلمين وجبهة النصرة وتصنيفها على أنها تنظيمات إرهابية.

ولم تحدد قطر مستوى تمثيلها في القمة، التي تعقد في ظل أزمة خليجية غير مسبوقة بدأت منتصف العام الماضي بقطع كل من السعودية والإمارات والبحرين ومصر علاقاتها مع قطر وفرض إجراءات عقابية عليها بسبب دعمها للإرهاب.

وقال وزير الخارجية السعودي عادل الجبير في وقت سابق إن الأزمة الدبلوماسية بين قطر من جهة والسعودية ومصر والإمارات والبحرين من جهة ثانية لن تكون مطروحة في القمة العربية المقرر عقدها الأحد القادم في السعودية على الرغم من مشاركة قطر في القمة. وأوضح الجبير أن هذه القضية لن تأخذ اهتماما يرقى لوضعها في جدول الأعمال، وأن حل هذه الأزمة سيكون داخل مجلس التعاون الخليجي.

وتوافد قادة وممثلون من الدول العربية السبت، للمشاركة في قمة الجامعة العربية الـ29، المقررة الأحد بمدينة الظهران، شرقي السعودية.

ووصل قاعدة الملك عبدالعزيز الجوية بالظهران الرئيسان، المصري عبدالفتاح السيسي والصومالي محمد عبدالله محمد، إضافة إلى الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس دولة الإمارات وفهد بن محمود آل سعيد نائب رئيس الوزراء العماني نيابة عن السلطان قابوس بن سعيد.

وفي تصريح صحافي قال نائب رئيس الوزراء العماني لدى وصوله المملكة إن انعقاد القمة "يأتي في هذه المرحلة للتشاور حول القضايا الراهنة على الصعيد الإقليمي والمعطيات على الصعيد الدولي"، بهدف "تنسيق المواقف وتوحيد الرؤى في مواجهة العديد من التحديات". وأعرب عن أمله في أن تكلّل جهود القادة العرب وممثليهم بالنجاح، وأن تسهم قرارات المؤتمر في تحقيق آمال الشعوب.

القمة تنأى بنفسها عن قضية قطر

وتتصدر أجندة القمة سبعة ملفات شائكة، وفق مصادر دبلوماسية، هي: القضية الفلسطينية والأوضاع في سوريا، خاصة بعد الضربات التي نفذتها دول غربية فجر السبت، واليمن وليبيا ومحاربة الإرهاب والتدخلات الإيرانية والخلافات العربية البينية.

ويقول كريم بيطار، المحلل في "معهد الدراسات الدولية والشؤون الاستراتيجية"، إن السعودية "ستدفع باتجاه موقف أكثر حزما ضد إيران، ليس بالضرورة حول الملف النووي، لكن أيضا بشأن النفوذ الإيراني في دول عربية وخصوصا العراق وسوريا ولبنان واليمن".

وتسعى طهران لفرض أجندتها التخريبية في منطقة الشرق الأوسط من خلال دعم مجموعات شيعية مسلحة موالية لها في عدد من دول المنطقة، على رأسها حزب الله اللبناني وجماعة الحوثي في اليمن والميليشيات الشيعية المسلحة في العراق.

واتهمت الحكومة اليمنية المعترف بها دوليا، السبت، إن "الصواريخ والطائرات المسيّرة" التي استخدمها الحوثيون في استهداف السعودية "إيرانية الصنع ولم تمتلكها اليمن وجيشها النظامي يوما، ومن الاستحالة صناعتها محليا".

وأطلق المتمردون الحوثيون بين الأربعاء والجمعة خمسة صواريخ باليستية باتجاه السعودية التي تمكنت من اعتراضها جميعها، بحسب متحدث عسكري، إضافة إلى إطلاقهم طائرتين من دون طيار في محاولة لاستهداف مطار ومنشأة مدنية جرى تدميرهما في أجواء المملكة.

ورأت الحكومة اليمنية أن هذه الهجمات تشكل تصعيدا من قبل المتمردين بناء على "قرار إيراني واضح لتخفيف الضغوط على ما تواجهه من عزله دولية وجهود إقليمية ودولية لوضع حد لتصرفاتها العبثية".

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن 1977
أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
علي قاسم
مختار الدبابي
كرم نعمة

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

أغلب ردود الفعل الدولية تؤيد الخيار العسكري المحدود في سوريا

ترامب يغرد: المهمة تمت بنجاح وانقسام في الموقف العربي عشية قمة الدمام

شنّت الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا فجر السبت ضربات عسكرية على أهداف للنظام في سوريا ردا على هجوم كيميائي اتهمت دمشق بتنفيذه في دوما قرب دمشق، ما أثار ردود فعل غلب عليها التأييد في حين نددت روسيا وإيران والصين بالضربة العسكرية، دون تصعيد من روسيا يوحي بأنها ستقود هجوما مضادا.

باريس: كل الصواريخ الفرنسية أصابت أهدافها في سوريا

❑ **لندن** – وبدأ مجلس الأمن الدولي السبت اجتماعا بطلب من روسيا لمناقشة الضربات العسكرية التي شنتها الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا على سوريا ردا على هجوم كيميائي مفترض على الغوطة الشرقية. وطرحت روسيا مشروع قرار يدين العمل العسكري، إلا أن سفير بريطانيا في الأمم المتحدة قال إن الضربات "محقة وقانونية" وهدفها تخفيف المعاناة الإنسانية في سوريا.

ودان الرئيس الروسي فلاديمير بوتين "بأقصى درجات الحزم الهجوم على سوريا حيث يساعد عسكريون روس الحكومة الشرعية في مكافحة الإرهاب". مع ذلك، يستبعد خبراء حصول تصعيد عسكري، مشيرين إلى أن موسكو ستكتفي بالاحتجاجات الدبلوماسية.

وقال الخبير في شؤون الجيوبوليتيك الروسية فيودور لوكيانوف في مقابلة مع وكالة تاس "لا اعتقد أن تصعيدا سيحصل بين روسيا والولايات المتحدة. الهدف الرئيسي كان القيام بعرض قوة، لكن واشنطن اختارت أهدافها بعناية حتى لا يفلت الوضع من السيطرة".

يشاطره رئيس معهد حوار الحضارات أليكسي مالاشينكو الرأي قائلا "لا نسمع شيئا عن ضربات انتقامية محتملة. هذا ليس مطروحا. الجميع موافق تقريبا على أن رد روسيا عسكريا مستحيل. سيكون ذلك خطيرا للغاية ويمكن أن يؤدي إلى نتيجة تخالف تلك المطلوبة". ويقول الكسندر تشوميلين من مركز تحليل النزاعات في الشرق الأوسط بمعهد الولايات المتحدة وكندا "إن الرد العسكري غير وارد". ويضيف "كانت الضربات الغربية موجهة بدقة. لم تلحق أي أضرار بروسيا أو بالمواطنين الروس. لذا، لا يمكننا الرد إلا في المجال السياسي وفي الإعلام والدعاية".

> حماسة تيريزا ماي ودفاعها عن شرعية الخيار العسكري لم يجدا آذانا صاغية لدى جيريمي كوربين زعيم حزب العمال البريطاني المعارض الذي أكد أنه كان يجب على رئيسة الوزراء البريطانية الحصول على موافقة البرلمان قبل إصدار أمر بتوجيه ضربات صاروخية على سوريا

تأتي العملية العسكرية الغربية في وقت يفترض أن تبدأ بعثة من منظمة حظر الأسلحة الكيميائية وصلت إلى دمشق الجمعة عملها للتحقيق في التقارير عن الهجوم الكيميائي في دوما. واعتبر بوتين أن قادة الهجوم الثلاثي أظهروا "ازدراء وقحا" بمنظمة حظر الأسلحة الكيميائية التي من المفترض أن تبدأ السبت تحقيقها في مدينة دوما، بتنفيذهم "عملية عسكرية من دون انتظار نتائج التحقيق".

وكررت ذات الحديث وزارة الخارجية السورية، التي قالت في بيان لها إن "توقيت العدوان الذي يتزامن مع وصول بعثة التحقيق التابعة لمنظمة حظر الأسلحة الكيميائية إلى سوريا (..) يهدف أساسا إلى إعاقة عمل البعثة واستباق نتائجها والضغط عليها".

بدوره، كتب المتحدث باسم وزارة الخارجية الإيرانية على حسابه على تطبيق "تلغرام" السبت "نفذت الولايات المتحدة وحلفاؤها من دون أن تنتظر حتى موقفا من منظمة حظر الأسلحة الكيميائية هذا العمل العسكري (..) ضد سوريا، وهي مسؤولة عن التداعيات الإقليمية لهذه المغامرة". أما المرشد الأعلى في إيران آيه الله علي خامنئي، فصعّد من لهجة خطابه، ووصف الرئيس الأميركي دونالد ترامب ونظيره الفرنسي إيمانويل ماكرون ورئيس الوزراء البريطانية تيريزا ماي بـ"المجرمين"، فيما استعاد حزب الله مصطلحات المقاومة، مشيرا إلى أن "الحرب التي تخوضها أميركا ضد سوريا وضد شعوب المنطقة وحركات المقاومة والتحرر لن تحقق أهدافها".

وانضمت الصين إلى صف المنتقدين بإعلانها معارضتها "استخدام القوة". وقالت الناطقة باسم وزارة الخارجية الصينية هوا شونينغ في بيان "نعارض بشكل ثابت استخدام القوة في العلاقات الدولية وندعو إلى احترام سيادة واستقلال وسلامة أراضي جميع الدول".

انقسام في المواقف

كشفت الضربات العسكرية انقساما في الموقف العربي حيالها، وذلك عشية القمة العربية السنوية المقررة الأحد في مدينة الدمام السعودية. فقد عبرت المملكة العربية السعودية والبحرين وقطر، عن تأييدها لتلك الضربات. أما الجزائر ومصر، فأعربتا عن "قلهما" تجاه تلك الضربات.

وحمّل مصدر مسؤول في وزارة الخارجية السعودية في بيان نشرته وكالة الأنباء الرسمية النظام السوري "مسؤولية تعرض سوريا لهذه العمليات العسكرية".

وقالت البحرين إن العملية العسكرية كانت "ضرورية لحماية المدنيين في جميع الأراضي السورية ومنع استخدام أي أسلحة محظورة"، بحسب بيان لوزارة الخارجية. وفي الدوحة، كتبت وزارة الخارجية أن "استخدام النظام السوري للأسلحة الكيميائية والعشوائية ضد المدنيين يتطلب قيام المجتمع الدولي باتخاذ إجراءات فورية لحماية الشعب السوري وتجريد النظام من الأسلحة المحرمة دوليا".

أما في الجزائر، فقال عبدالعزيز بن علي شريف المتحدث باسم وزارة الخارجية الجزائرية في بيان إن " أي تصعيد عسكري مهما كانت طبيعته لن يزيد الوضع إلا تعقيدا ويؤخر فرص تحقيق الحل السياسي والسلمي للمأساة التي يعرفها هذا البلد الشقيق (سوريا)".

وأعربت مصر عن "قلقها البالغ نتيجة التصعيد العسكري الراهن على الساحة السورية لما ينطوي عليه من آثار على سلامة الشعب السوري الشقيق، ويهدد ما تم التوصل إليه من تفاهمات حول تحديد مناطق خفض التوتر".

وكان لبنان صريحا في رفض الضربات. وقال الرئيس اللبناني ميشيل عون إن "لبنان يرفض أي اعتداء أجنبي يستهدف أي دولة عربية بغض النظر عن الأسباب المذكورة". ولم تتم دعوة سوريا إلى القمة العربية المقررة الأحد، حيث تم تعليق عضويتها في جامعة الدول العربية في أواخر عام 2011.

وشددت وزارة الخارجية المغربية السبت على وجوب ايجاد حل سياسي للنزاع السوري بعيدا من الخيارات العسكرية. وقالت الخارجية المغربية في بيان ان "تجارب الماضي علمتنا أن الخيارات العسكرية، بما فيها الضربات الجوية، سواء المبررة أو المحدودة، لا تعمل إلا على تعقيد الحلول السياسية، وتعميق معاناة الضحايا المدنيين وزيادة تفاقم مشاعرهم تجاه الغرب".

وأكدت إدانة المغرب "اللجوء إلى الأسلحة الكيمائية، وخاصة ضد سكان مدنيين أبرياء"، معربة عن الأمل في "أن يتغلب المنطق من أجل إيجاد مخرج للأزمة بما يمكن من الحفاظ على الوحدة الوطنية لهذا البلد، وكرامة سكانه، والمحاربة الفعالة ضد اللاتسامح والتطرف والإرهاب".

وانقسم الموقف في بريطانيا، التي قادت الهجوم إلى جانب فرنسا والولايات المتحدة، حيث أكدت رئيس الوزراء تيريزا ماي أن الضربات "رسالة واضحة" ضد استخدام الأسلحة الكيميائية، وأنه "لم يكن هناك بديل عن استخدام القوة لمنع النظام السوري من استخدام الأسلحة الكيميائية"، مضيفة "بحثنا في كل الوسائل الدبلوماسية، لكن جهودنا تم إحباطها باستمرار".

لكن حماسة تيريزا ماي ودفاعها عن شرعية الخيار العسكري لم يجدا آذانا صاغية لدى جيريمي كوربين زعيم حزب العمال البريطاني المعارض الذي أكد أنه كان يجب على رئيسة الوزراء البريطانية الحصول على موافقة البرلمان قبل إصدار أمر بتوجيه ضربات صاروخية على سوريا. وأضاف "القنابل لن تنقذ الأرواح أو تجلب السلام. هذا العمل المشكوك فيه قانونيا يخاطر بالمزيد من التصعيد".

تدخل ضروري

استخدمت فرنسا إمكانيات مهمة تضمنت تسع طائرات مطاردة وخمس فرقاطات من الطراز الأول، كما أطلقت للمرة الأولى صواريخ بحرية عابرة لضرب "مواقع إنتاج وتخزين الأسلحة الكيميائية" للنظام السوري، إلى جانب حليفيها الأميركي والبريطاني. وأكد الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون أن الضربات الفرنسية "تقتصر على قدرات النظام السوري في إنتاج واستخدام الأسلحة الكيميائية".

وقال "لا يمكننا التساهل مع الاعتياد على استخدام الأسلحة الكيميائية". وأيدت المستشارة الألمانية أنغيلا ميركل هذا القرار مؤكدة أن حكومتها "تدعم" الضربات ضد النظام السوري، معتبرة أنها "تدخل عسكري ضروري ومناسب" بعد التقارير عن الهجوم الكيميائي في دوما بالقرب من دمشق.

وبالتزامن مع الضربات العسكرية، رفعت المخابرات الفرنسية السرية عن تقرير خلص بعد تحليل فني لمصادر متاحة للجميع و"معلومات مخابراتية موثوقة" أن القوات الحكومية السورية نفذت هجوما كيمائيا في مدينة دوما في السابع من أبريل.

وقال التقرير "بناء على المعلومات المخابراتية التي جمعتها وكالاتنا، وفي ظل غياب عينات كيميائية تم تحليلها في معاملنا، تعتبر فرنسا دون شك أن هجوما كيميائيا وقع على مدنيين في دوما.. وأنه ليس هناك سيناريو معقول غير أنه كان هجوما نفذته القوات المسلحة السورية".

وأفاد رئيس المجلس الأوروبي دونالد توسك أن الاتحاد الأوروبي يقف إلى جانب الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا في ضرباتها الجوية التي استهدفت النظام السوري كرد على هجوم كيميائي مفترض شنه على مدينة دوما.

ورحبت تركيا "بهذه العملية التي تعبر عن ضمير البشرية جمعاء في مواجهة هجوم دوما الذي تجمع المؤشرات على تحميل النظام السوري مسؤوليته". وأضاف بيان الوزارة أن "النظام السوري الذي يقوم بترهيب شعبه منذ أكثر من سبع سنوات عبر أسلحة تقليدية أو كيميائية، لديه ماض مثقل بالجرائم ضد الإنسانية وجرائم الحرب".

وعلق الرئيس الأميركي دونالد ترامب على الضربات العسكرية التي قادتها بلاده في سوريا بالاشتراك مع فرنسا وبريطانيا قائلا إنه تم "إنجاز المهمة بنجاح". وأضاف ترامب في تغريدة على تويتر "تم تنفيذ ضربة بشكل مثالي الليلة الماضية.. شكرا لفرنسا والمملكة المتحدة لحكمتهما وقوتهما العسكرية.. المهمة حققت أفضل نتيجة ممكنة".

وقال مسؤول أميركي مطلع على التخطيط العسكري إنه قد يكون هناك المزيد من الضربات الجوية إذا أكدت المخابرات أن الأسد لم يتوقف عن تصنيع أو استيراد أو تخزين أو استخدام أسلحة كيميائية بما في ذلك غاز الكلور. وقال المسؤول إن هذا قد يستلزم المزيد من الوجود الجوي والبحري الأميركي المستمر في المنطقة.

وزير الخارجية العراقي يتبنى موقف إيران

❑ **بغداد** – التزم رئيس الوزراء العراقي، حيدر العبادي، ومكتبه، وأركان فريقه المقرب، الصمت، حيال الهجوم الصاروخي الثلاثي على سوريا، تاركين لوزارة الخارجية مهمة "التعبير عن القلق"، من تطورات الأحداث في "الدولة الجارة".

ولم يصدر عن العبادي أو فريقه المقرب أي تعليق على الضربة العسكرية التي وجهتها واشنطن ولندن وباريس نحو أهداف محددة في سوريا، لكن مراقبين في بغداد قالوا إن بيان وزارة الخارجية العراقية، التي يقودها إبراهيم الجعفري، "استجاب لإيران وترجم موقفها من تطورات الأزمة السورية".

وأعربت الخارجية عن "قلقها من الضربة الجوية الثلاثية التي قامت بها الولايات المتحدة الأميركية وبعض حلفائها على سوريا". وقال المتحدث باسم الوزارة، أحمد محجوب، إن الهجوم الصاروخي الثلاثي في سوريا "يعتبر أمرا خطيرا جدا لما له من تداعيات على المواطنين الأبرياء"، داعيا إلى انتهاج "الحل السياسي الذي يلبي تطلعات الشعب السوري".

وقال محجوب، إن "عملا كهذا من شأنه أن يجر المنطقة إلى تداعيات خطيرة تهدد أمنها واستقرارها وتمنح الإرهاب فرصة جديدة للتمدد بعد أن تم دحره في العراق وتراجع كثيرا في سوريا". ووفقا للمتحدث، فإن الخارجية العراقية تجدد "دعوتها للقمة العربية باتخاذ موقف واضح تجاه هذا التطور الخطير".

وسبق لوزير الخارجية إبراهيم الجعفري، أن وجه نقدا لاذعا، خلال الاجتماعات التمهيدية للقمة العربية في السعودية، للموقف الأميركي من سوريا، محذرا من "توجيه ضربة حمقاء" لهذا البلد. ويعتقد مراقبون أن "الجعفري يترجم موقف إيران الرسمي في تصريحاته بشأن سوريا، أكثر من ترجمة مواقف العراق".

وجاء موقف ائتلاف الفتح، المرشح للانتخابات، والذي يضم معظم حلفاء إيران من زعماء الفصائل العراقية المسلحة، مشابها لمضمون بيان الخارجية العراقية، فيما بدا أنه "إعلان مواقف إيرانية من أرض العراق"، بحسب مراقبين.

من جهته، دعا زعيم التيار الصدري مقتدى الصدر، أنصاره إلى تنظيم احتجاجات واسعة ضد "العدوان على سوريا". وقال الصدر تعليقا على الهجوم الصاروخي الثلاثي، "حبذا لو يخرج الشعب العراقي بكافة أطيافه عربا وأكرادا وسنة وشيعة وباقي الأديان بل ومدنيين وإسلاميين ليترجموا رفضهم للتعدي على الشعوب عامة والشعب السوري خاصة". ويرى الصدر، أن "الهجمة الأميركية على سوريا، ستكون لها تداعيات على العراق".

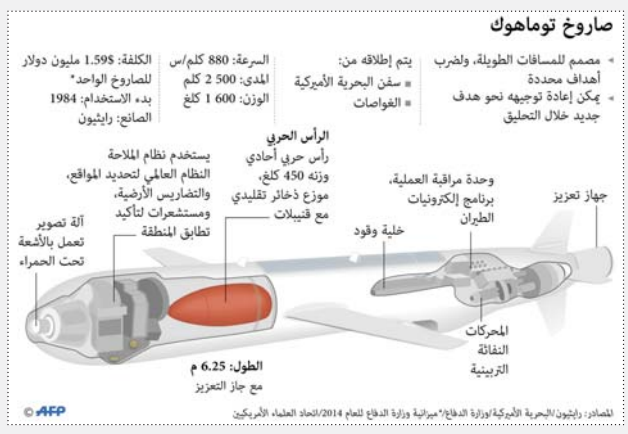

الضربة العسكرية جاءت بمثابة بروفة معركة نظرية لتجريب السلاح الغربي الجديد

ضربة مرّت بسلام

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

❑ هل المشكلة في السلاح الكيميائي الذي يمتلكه النظام السوري أم في مكان آخر؟ ما الفرق بين قتل السوريين بالسلاح الكيميائي وقتلهم بواسطة البراميل المتفجرة؟ هل الموت بالسلاح الكيميائي مختلف عن الموت بالبراميل المتفجرة أو قذائف المدفعية أو القنص؟

لا يختزل السلاح الكيميائي الأزمة السورية. من الواضح أن النظام لن يكون قادرا في المرحلة المقبلة على استخدام السلاح الكيميائي، لكن ذلك لن يمنعه من متابعة تهجير السوريين من أرضهم خدمة لهدف إيراني محدّد.

يتمثل هذا الهدف في تغيير التركيبة الديموغرافية لدمشق والمنطقة المحيطة بها. ليس ما حلّ بأهل الغوطة الشرقية سوى دليل على ذلك وعلى متابعة تنفيذ مخطط يصبّ في السيطرة على دمشق بعد تدمير حلب وحمص وحماة.

> كانت الضربة المشتركة ناجحة. دمرت كل الأهداف المطلوب تدميرها من دون مقاومة تذكر وذلك عن طريق استخدام سلاح الجو والصواريخ، خصوصا صواريخ توماهوك، حصل كل ذلك بالتنسيق مع روسيا

يمكن أن تكون للضربة الأميركية – الفرنسية – البريطانية أهميتها في حال اندرجت في سياق استراتيجية متكاملة تستهدف حصول تغيير في العمق في سوريا. مثل هذا التغيير يتطلب مرحلة انتقالية لا يكون فيها بشار الأسد رئيسا. كلّ ما عدا ذلك إضاعة للوقت يكشفه كلام رئيسة الوزراء البريطانية تيريزا ماي عن أن الهدف لم يكن المسّ بالنظام السوري.

لم يكن الموضوع موضوع "تغيير للنظام"، على حد تعبير ماي. يؤكد هذا الكلام أن الضربة كانت ذات طابع تجميلي لصورتي ترامب وماي في واشنطن ولندن، فيما لدى فرنسا ورئيسها إيمانويل ماكرون همّ من نوع آخر هو الرغبة في العودة إلى الشرق الأوسط ولعب دور فاعل فيه من البوابة السورية.

في النهاية، هل كانت الضربة الأميركية المنتظرة التي شاركت فيها فرنسا وبريطانيا للاستهلاك الداخلي، خصوصا في الولايات المتحدة وبريطانيا؟ في الولايات المتحدة، هناك حاجة لدى الرئيس دونالد ترامب إلى إبعاد التركيز على مشاكله الداخلية.

وفي بريطانيا، تحتاج رئيسة الوزراء في كل يوم إلى إظهار أنها شخصية قويّة قادرة على البقاء في الموقع الذي تشغله منذ استقالة ديفيد كاميرون الذي أورثها الكارثة التي تسبب بها الاستفتاء على خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي صيف العام 2016، أي ما يعرف بـ"بريكست".

عسكريا، كانت الضربة المشتركة ناجحة. دمّرت كلّ الأهداف المطلوب تدميرها من دون مقاومة تذكر وذلك عن طريق استخدام سلاح الجوّ والصواريخ، خصوصا صواريخ "توماهوك". حصل كل ذلك بالتنسيق مع روسيا التي أبلغت مسبقا بالضربة فاتخذت موقف المتفرّج واكتفت بعد ذلك بالإشادة بما قام به الجيش السوري الذي أسقط من وجهة نظرها 71 صاروخا!

يؤكّد ذلك أن كلّ التهديدات الروسية للغرب ليس سوى تهديدات فارغة وأنّ موسكو تعرف تماما أنها لا تستطيع البقاء في سوريا من دون شروط معيّنة امتنعت إلى الآن عن تلبيتها، لكنّه سيتوجب عليها أن تفعل ذلك في يوم قد يكون قريبا. بين هذه الشروط استيعاب الوجود الإيراني والحدّ منه. هناك مكان لروسيا في سوريا ولكن لا مكان لإيران فيها في المدى الطويل، اللهمّ إلا إذا حصل تفاهم في هذا المجال بين طهران وتل أبيب.

وهذا يعني أن تحلّ إيران في سوريا مكان النظام الذي أمّن الهدوء والأمان المطلوب تأمينهما لإسرائيل في الجولان المحتل منذ العام 1974. سيتبيّن قريبا ما إذا كان هناك مشروع لتفاهم إيراني – إسرائيلي يتعلّق بالوجود الإيراني الدائم في سوريا وحتّى في لبنان.

سيتبيّن هل في استطاعة إيران، من أجل ضمان وجودها في الجنوب السوري وفي لبنان، تقديم الضمانات التي تريدها إسرائيل، وهي ضمانات مشابهة لما كان يقدّمه النظام السوري في عهدي الأسد الأب والأسد الابن.

ولكن ماذا عن النجاح السياسي للضربة؟ هل يمكن أن تغيّر شيئا في سوريا باستثناء أن لا استخدام للسلاح الكيميائي بعد الآن؟ المؤسف أن ليس ما يشير إلى أي تغيير على الأرض، لا لشيء سوى لأنّ مشكلة سوريا لم تكن يوما في السلاح الكيميائي.

ظهر ذلك من خلال إصرار الجانب الروسي على نقطة في غاية الأهمية. تتمثّل هذه النقطة في أن الضربة لم تستهدف المطارات التي يستخدمها النظام كنقطة انطلاق لشن هجمات على القرى والبلدات والمدن السورية بغية إرهاب المواطن العادي وإجباره على ترك بيته وأرضه. لو كانت هناك نيّة فعلية بالتصدي للنظام وشلّه، لكانت الخطوة الأولى في الضربة الثلاثية استهداف مدرجات المطارات العسكرية.

لعلّ أخطر ما في الأمر أنّ الضربة الثلاثية لا تندرج في سياق استراتيجية أميركية شاملة ومتكاملة في الشرق الأوسط والخليج، إلا إذا كانت التغييرات الأخيرة في واشنطن ستؤدي إلى بلورة مثل هذه الاستراتيجية.

هناك وزير جديد للخارجية هو مايك بومبيو ومستشار جديد للأمن القومي هو جون بولتون. هل يوحي وجود هذين الشخصين في موقعيهما الجديدين بأنّ الإدارة بدأت تفكر بطريقة مختلفة وأن دونالد ترامب سيكون بالفعل مختلفا عن باراك أوباما، خصوصا في ما يخصّ إيران؟ هل توحي التغييرات الأخيرة في الإدارة الأميركية بأنّ الولايات المتحدة ستخرج من حال الضياع التي تعاني منها منذ عشر سنوات، أي منذ وصول باراك أوباما إلى البيت الأبيض... وهو ضياع استمر مع دونالد ترامب، أقلّه إلى الآن؟

ليس سرّا أنّه سيكون على إدارة ترامب، قبل الثاني عشر من أيار – مايو المقبل، اتخاذ موقف من الاتفاق في شأن الملف النووي الإيراني الذي تم التوصّل إليه صيف العام 2015. هناك اتجاه قوي في واشنطن إلى إلغاء هذا الاتفاق الذي توصلت إليه إيران مع مجموعة الخمسة زائدا واحدا، أي مع البلدان الخمسة ذات العضوية الدائمة في مجلس الأمن وألمانيا. لكنّ الأوروبيين يصرون على التمسّك بالاتفاق وربطه بمسائل أخرى من بينها الصواريخ الباليستية وسلوك إيران في المنطقة. وهذا ما يفترض في ترامب وإدارته مراعاته إلى حدّ ما.

مرّت الضربة بسلام. لم تتحرّك روسيا. لم تفعل إيران شيئا. لم يطرح مصير النظام السوري، على الرغم من أنّه صار في مزبلة التاريخ منذ فترة طويلة. ماذا عن مرحلة ما بعد الضربة؟

ضربة لحفظ ماء الوجه

سيعتمد الكثير على ما إذا كانت واشنطن باتت تعرف ماذا تريد في سوريا وهل يمكن التوصّل إلى مرحلة انتقالية تؤدي إلى حل سياسي يأخذ في الاعتبار أن روسيا ليست قادرة على حماية النظام إلى ما لانهاية وأنّ ثمّة حاجة إلى ضبط إيران وإعادتها إلى حجمها الطبيعي تفاديا لانفجار كبير في المنطقة كلّها.

مرّة أخرى، ليست المشكلة في السلاح الكيميائي الذي يمتلكه النظام السوري والذي كان مفترضا أن يكون تخلّص منه في العام 2013 بضمانة روسية. المشكلة في مصير سوريا ككلّ وهل تكون قاعدة إيرانية وجزءا من المشروع التوسعي لطهران الذي يشمل العراق ولبنان أيضا أم لا؟

مثل هذه الأسئلة ستطرح نفسها عاجلا أم آجلا في حال كان مطلوبا أن تكون الضربة الثلاثية الأخيرة آخر الضربات وليس مقدّمة لمزيد من التصعيد والضربات في الشرق الأوسط كلّه والخليج.

لا يختزل السلاح الكيميائي الوضع السوري مثلما لم يختزل الملف النووي، كما كان يعتقد باراك أوباما، كلّ مشاكل المنطقة.

نصف ضربة لا تنصر نصف ثورة ولا تنهيها أو تنهي النظام

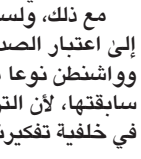

علي العائد
كاتب سوري

❑ بعد حدوث الضربة الثلاثية الأميركية – البريطانية – الفرنسية الأولى، واستغراقها 55 دقيقة فقط، ستكون الموجة الثانية أطول ربما، إن حدثت، وسيكون ذلك زمنا مقتطعا من السياق الزمني للحرب الباردة بين روسيا وأميركا، حتى لو لم تكن روسيا مكافئة في القوة والرعب لسلفها السوفييتي.

مبدئيا، كان استمهال أميركا للعالم، أياما، قبل بدء الضربة نوعا من التنسيق مع روسيا حتى تتخذ احتياطاتها ولا يحدث صدام بين الطرفين، أو كي لا تضطر روسيا للرد على ضربة أميركية للقوات الروسية تأتي عن طريق الخطأ، ففي مثل هذه الحالة المتوترة لن تنظر روسيا إلى ذلك باعتبار الصواريخ الغربية نيرانا صديقة.

وفي المبدأ أيضا، لا يتوهم أكبر الغافلين في سوريا أن الضربة ستكون انتصارا للسوريين المعارضين، وبالقدر نفسه لن تكون ضد السوريين الموالين، إلا من شاء فهمه أن ينحاز إلى اعتبار أن "آل الأسد" مكافئا لـ"الوطنية السورية".

بالنسبة لصدامات قطبي الحرب الباردة، تكررت حالة التوتر في أكثر من مرة بعد سقوط الاتحاد السوفييتي، في حالة تفكك يوغوسلافيا، وحروب البلقان، ومع ضم روسيا شبه جزيرة القرم من أوكرانيا، لكن السخونة لم تصل إلى درجة الحرب، على الأقل باعتبار روسيا انضمت إلى العالم الثالث، بعد أن ملأت أميركا مقعدي العالمين الأول والثاني.

مع ذلك، ولسهولة التحليل، نميل إلى اعتبار الصدام المؤجّل بين موسكو وواشنطن نوعا من حرب باردة لا تشبه سابقتها، لأن الترسانة النووية حاضرة في خلفية تفكيرنا، وتفكير صاحبي أكبر ترسانتين نوويتين. وحتى في هذه الحرب المثلجة، يبدو حلف شمال الأطلسي مجرد واجهة غربية، مثله مثل مجلس الأمن الدولي الذي لا يحل عقدة ولا يربط. هو كذلك لأن حلف وارسو أصبح تاريخا منسيا، وأصبحت دوله التي كانت تدور في فلك الاتحاد السوفييتي غير معنية بطموحات روسيا البوتينية، حتى لو كانت هذه الدول صديقة لروسيا، ولكن من باب التقية، ومن باب عدم الثقة الكاملة بأميركا والحلف الأطلسي.

من مبررات نفي مؤامرة الحرب الباردة أن لا اقتصاد مرعبا في روسيا، ولا إبداعات تتعدى التجسس الإلكتروني الذي تبرع فيه أحيانا حتى إيران. كما أن السلاح الروسي الاستثنائي المتمثل في منظومتي "أس 300 وأس 400، اختراع متأخر جدا سبقته منظومة "باتريوت" بثلاثين سنة. وليس للمنظومة الروسية إلا الصيت الإعلامي، والحملة التسويقية التي رافقت الحرب على سوريا، بينما أثبت السلاح الأميركي نجاعة معقولة في استخداماته، ومنها اعتراض الصواريخ الحوثية التي أُطلقت مؤخرا على جنوب ووسط السعودية.

والمتابع لتصريحات وزير الدفاع الروسي، سيرجي شويغو، بعد "نصف الضربة الثلاثية"، لاحظ أنه يركز على الدفاع عن سمعة السلاح الروسي، دون التطرق إلى المفاعيل السياسية أو العسكرية للضربة. فيما ركزت وزارة الخارجية الروسية على أثر الإهانة التي تعرض لها بوتين شخصيا، على الرغم من الحرص الأميركي على عدم الإيغال في هذه الإهانة، من خلال تجنب القيام بعمليات في منطقة السيطرة الروسية في محيط قاعدتي حميميم وطرطوس.

إذا صحت التصريحات الروسية، وتصريحات جيش النظام، حول إسقاط 70 صاروخا من مجموع 110 صواريخ أطلقها "العدوان الثلاثي"، فإن اليد الروسية هي من رصدت الصواريخ، ومن سددت عليها، كون خبرات ضباط جيش النظام لا تتعدى تكنولوجيا "البراميل" البارعة في استهداف المباني الثابتة المسكونة بالمدنيين الخائفين. لكن الخبراء العسكريين يميلون إلى تأكيد عدم قدرة الأيدي الروسية نفسها على استخدام أس – 300 لإسقاط الصواريخ المجنحة الأميركية، لأن منطقة دخول الطائرات والصواريخ المجال الجوي السوري تمت عبر منطقة ظل عمياء بالنسبة لرادارات هذا السلاح، يضاف إليها الارتفاعات المنخفضة للطائرات، والبصمة الرادارية الصغيرة العصية على الكشف إلا بعد فوات الأوان.

والملاحظ أن الاستهداف الأميركي لمطار الشعيرات، قبل أكثر من سنة، استخدم 59 صاروخا، ما يعني نصف عدد الصواريخ المستخدمة فجر السبت، الأمر الذي يطرح تساؤلا عن الغاية من الضربة، وكيف يمكن تفسير أن موقعا واحدا يستهلك من الديناميت نصف ما استهلكته العشرات من المواقع في حمص، ودمشق، وريفها، إلا إذا كانت غاية "نصف الضربة" هذه معنوية، وتحذيرية، أكثر منها عقابية على استخدام النظام الأسدي للسلاح الكيمياوي ضد "شعبه"، على حد قول رئيسة الوزراء البريطانية، تيريزا ماي.

على كل حال، أخبار دمشق تؤكد، وفق صفحات الفيسبوك، أن الناس هناك عاشوا ساعة من الجحيم خلال دقائق الضربة، وأن الأصوات الآتية من مطار المزة العسكري، ومركز البحوث العلمية في قاسيون (جمرايا وبرزة)، وفي مقرات الفرقة الأولى في "الكسوة"، تدل على حجم تدمير هائل ستؤكده أو تنفيه الصور التي يمكن أن يبثها، لاحقا، أقطاب العدوان الثلاثي ليؤكدوا أيضا على نجاعة أسلحتهم في نشر الدمار.

وعلى عكس عناصر الحرب الباردة الروسية الغربية، يبدو سجال السوريين في مواقع التواصل الاجتماعي ساخنا، بأدوات الكلام، لكن بكلمات من عيار الخيانة، وبفرح موالين بعدم سقوط النظام في هذه المزحة الغربية ثقيلة الظل، على غرار ما حدث بعد هزيمة 1967، عندما فشلت إسرائيل في إسقاط الأنظمة "التقدمية" في المنطقة العربية.

في النتيجة، بدا أن "نصف الضربة" جاءت بمثابة "بروفة معركة" نظرية لتجريب السلاح الغربي الذكي الجديد، كرد متأخر على المناورات الحية المستمرة للسلاح الروسي منذ أكثر من سنتين ونصف السنة، لتصبح السماء السورية معرضا مفتوحا لتسويق السلاح لا يحتاج إلى كتيبات ترويجية كما جرت العادة في معارض التسويق.

وبعد كل ما حدث في سوريا، خلال أكثر من سبع سنوات، المؤكد أن نصف ثورة لا يمكن أن تقضي على حكم دكتاتوري عسكري. كما أن "نصف ضربة" لن تجعل داعمي النظام من روسيا وإيران يتراجعون بعد أن قامروا كل هذه السنوات بالمال والسلاح والدم.

فنصف طريق لا تؤدي إلى مكان. يصح ذلك على الثورة السورية، كما يصح على مجهود النظام في الحفاظ على مزرعته، ويصح على موقف روسيا وإيران الداعمتين لنظام الأسد، وعلى موقف أميركا ودول غربية لا هي داعمة للنظام ولا هي ضده.

وإذا لم يكن لهذه الضربة النصف، أو الربع، ما يكملها إلى ضربة كاملة، اليوم أو غدا، باتجاه إقناع روسيا تحديدا كي تجر نظام الأسد إلى حل سياسي، فإنها تكون قد ساهمت في زيادة تعقيد شروط المصالحة السورية بين ناس النظام وأعدائه، دون أن يعني ذلك أن العداء بين النظام وأميركا سيكون أبديا.

هذا ما قد يقوله تلاميذ كيسنجر قريبا، هو الحامل لأسرار الأسد الأب، منذ أن كان وزيرا للدفاع في سوريا 1967، وسوريا 1970، و1973، مرورا بمحطات معارك الحرب اللبنانية، حتى حرب تحرير الكويت من احتلال صدام حسين.

ضربات أميركية وبريطانية وفرنسية على مواقع عسكرية في سوريا

محاكم تفتيش ضد دولة الاستقلال في تونس

طارق القيزاني
كاتب تونسي

❏ لم تخرج تونس من دائرة الاستقطاب منذ بدء الانتقال السياسي إلى التعددية الحزبية، فالخصومات الأيديولوجية لم تنته بعد على الرغم من هدنة التوافق السارية في الحكم، لكن الخطورة الكامنة اليوم هي أن تتحول حالة الاستقطاب من السياسة إلى المجامع الأكاديمية.

كلفة هذا التحوّل والإمعان في الاستقطاب هي أن يتم وضع كيان الدولة برمته موضع شك وتقص، وهو منهج يوحي برغبة جامحة لدى محبي الاستقطاب إلى إعمال المعاول في كل ما يرتبط بأسس دولة الاستقلال، بمنتهى الشوفينية أحيانا.

> لماذا كل هذا اللهث اليوم لنصب محاكم تفتيش ضد دولة الاستقلال بالذات، وهي التي أسست للدولة الحديثة التي عرفت أولا بابتعادها عن معسكر القومية الناصرية، وبتحرير المجتمع من القبلية وبشكل خاص تحرير المرأة وتعميم التعليم والصحة وتحديد النسل

هناك دعوات متزايدة، تختلف من حيث دوافعها، من أجل إعادة كتابة التاريخ الحديث لتونس وتحديدا منذ تأسيس دولة الاستقلال وكل ما ارتبط قبل ذلك بتاريخ الحركة الوطنية التي قارعت نظام الحماية الفرنسية.

لقيت هذه الدعوات صداها لدى أطياف أخرى مستفيدة من الجدل المستمر حول مسار العدالة الانتقالية والعمل المرتبك لهيئة الحقيقة والكرامة، المكلفة بالتقصي في انتهاكات الماضي.

لكن لماذا كل هذا اللهث اليوم لنصب محاكم تفتيش ضد دولة الاستقلال بالذات، وهي التي أسست للدولة الحديثة التي عرفت أولا بابتعادها عن معسكر القومية الناصرية، وبتحرير المجتمع من القبلية وبشكل خاص تحرير المرأة وتعميم التعليم والصحة وتحديد النسل؟

لقد أطلقت الثورة في 2011 الألسن من عقالها وسمحت برفع النقاب عن مراجعات نقدية لدولة الاستقلال وحكم الزعيم الراحل الحبيب بورقيبة منذ العام 1957، وجاءت الكثير من هذه المراجعات من رفقاء الزعيم الراحل نفسه قبل خصومه من اليساريين والإسلاميين، بل إن المراجعات التي أطلقها عدد من اليساريين المعارضين كانت أكثر إنصافا لدولة الاستقلال مما بدر من الإخوة الأعداء (بورقيبيين ويوسفيين) داخل الحزب الواحد الممثل للحركة الوطنية (الدستوري الحر) ومن الخصوم اللاحقين من الإسلاميين.

تحدث أحمد نجيب الشابي، المعارض السياسي المعروف لحكم بورقيبة ومن بعده زين العابدين بن علي، عن أن الزعيم الراحل مثل دائما شخصية خلافية كونه كان ميالا للحكم الفردي وسياساته المتشددة ضد معارضيه ولكنه قاد في نفس الوقت المسيرة التحررية وبناء الدولة الحديثة وتحرير المرأة، وهو بخصاله المتضاربة في النهاية يشكل اليوم جزءا من الذاكرة المشتركة لكل التونسيين.

إجمالا، لا تذهب تلك المراجعات الموضوعية، من بين ما يعتد به، إلى تأليه بورقيبة كبان لدولة الاستقلال ومحرر المرأة، ولا إلى شيطنة الدكتاتور النيّر الذي حكم تونس في سياق تاريخي محدد في المنطقة العربية، طبع بحكم الزعامات حينا وسيطرة المؤسسة العسكرية على دواليب الحكم في حين آخر.

لكن قطعا هناك الكثير مما يتوجّب التوقف عنده في حكم بورقيبة ودولة الاستقلال الفتية، بدءا من ملابسات الانتقال من نظام الملكية وسلطة العرش إلى الجمهورية ونظام الحكم الرئاسي ليتحول تدريجيا إلى "الحكم الرئاسوي" وحكم الحزب الواحد، والزعامة المطلقة لبورقيبة حتى شيخوخته ومن ثم الانقلاب الأبيض في نوفمبر 1987.

تحتاج المراجع الأكاديمية إلى أن تلعب دورا محوريا في فهم كل ذلك وكشف الملابسات التي حفت بفترة حكم حساسة في تونس إبان الاستقلال، بشكل علمي ومتجرد وعبر الوثائق الرسمية، إذ يتوقف على الدفع بهذا المسار العلمي الجزء الأكبر من نجاح المصالحة الوطنية اليوم.

لكنّ عددا من "مؤرخي" الاستقطاب يعمدون بشكل يتضارب مع بديهيات النقد العلمي إلى وضع دستور الجمهورية الأولى لعام 1959 على محك التجارب الحديثة وإلى معالجة سياقات الخمسينات والستينات من القرن الماضي بسياقات ما بعد الثورة والانتقال الديمقراطي، دون أن يكون هناك وعي (ربما عن قصد) بالظرفية السابقة والمسارات المتعثرة التي حفلت بها أنماط الحكم في الدول حديثة التحرير وحتى الأنظمة الديمقراطية في عدد من دول العالم المتقدم نفسه.

التاريخ لا يمحى

مثلا لم تكن الجمهورية الرابعة ومن بعدها الخامسة في فرنسا، ملهمة ثورات العالم الحديث، بمنأى عن الهزات في الحكم. وقد برر ذلك الانتقال من تجربة النظام البرلماني العقيم إلى النظام نصف الرئاسي، لكن الأخير لم يسلم أيضا من الاضطرابات المدنية والاجتماعية المطالبة بثورة ثقافية شاملة تجسدت في انتفاضة مايو 1968.

في تونس، ليس مفهوما اليوم أن يتم الزج بالذاكرة الوطنية والعدالة الانتقالية في لعبة الرهانات السياسية وتصفية حسابات قديمة، بما يسمح بإذكاء حالة الاستقطاب وتعميم نزعات التشفي والانتقام الأعمى، فنصب المشانق لدولة الاستقلال لا يمكن فهمه إلا برغبة كامنة من خصوم الأمس في اختطاف الدولة وضرب ذاكرة التونسيين.

وفد أمني مصري يصل غزة لتحريك ملف المصالحة الفلسطينية

مؤشرات سلبية لاجتماع الجبهة الشعبية وحركة فتح في القاهرة

يبحث وفد مصري يزور قطاع غزة، ملف المصالحة الفلسطينية المتعثرة منذ توقيع حركتي فتح وحماس في القاهرة منتصف أكتوبر الماضي، اتفاقا لإنهاء الانقسام الداخلي. ونص الاتفاق المذكور على تسلّم حكومة الوفاق الفلسطينية إدارة غزة إلا أن استمرار الخلافات بين الحركتين حال دون ذلك.

❏ **القاهرة** – تعكس الزيارة التي بدأها، السبت، وفد أمني مصري لقطاع غزة لإجراء مباحثات مع قادة حركة حماس حول المصالحة، تمسّك القاهرة بإحراز تقدم قبل انعقاد المجلس الوطني الفلسطيني نهاية أبريل.

وقالت مصادر مطلعة على ملف المصالحة لـ"العرب"، إن زيارة الوفد المصري تهدف إلى محاولة إقناع حماس بإثبات حسن نواياها في ما يتعلق بتمكين الحكومة الفلسطينية والتخلي عن حكم غزة، والتعبير عن إمكانية استجابتها لمطالب الرئيس محمود عباس بشكل يمهد الطريق لإقناع فتح بمشاركة حماس في اجتماع المجلس الوطني.

وجاءت زيارة الوفد المصري مع استعداد لعقد جلسات تشاورية بين حركتي فتح والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، في القاهرة، الاثنين، لحل الخلافات المتعلقة بتمسك السلطة الفلسطينية بعقد مؤتمر المجلس الوطني دون مشاركة حماس والجهاد الإسلامي، وهو ما تعتبره الجبهة الشعبية خطوة تفضي إلى المزيد من الانقسام.

وكشفت مصادر فلسطينية لـ"العرب" أن أعضاء الجبهة الشعبية سيضعون في اجتماعهم مع ممثلي حركة فتح، خيار تأجيل الدعوة إلى عقد دورة المجلس لحين وجود توافق وطني بين الفصائل أو خيار موافقة فتح على مشاركة حماس والجهاد الإسلامي في المجلس مع تقريب وجهات النظر.

وأعلن واصل أبويوسف، عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، أن القاهرة تستضيف الاثنين، اجتماعا لوفدين من حركتي فتح والجبهة الشعبية، لحل خلافات حول مشاركة الأخيرة في اجتماعات المجلس الوطني. وأضافت المصادر أن اجتماعا تنظيميا بين الشعبية ومسؤولين بجهاز المخابرات العامة المصرية وفتح، سيعقد أولا، للتنسيق في الملفات المطروحة على طاولة النقاش الرسمي لعدم حدوث خلافات والوصول إلى صيغة ترضي كل الأطراف ودفع المصالحة إلى الأمام.

وأكد حازم أبوشنب، القيادي بحركة فتح في تصريحات لـ"العرب"، أنه "لا نية تحت أي ظرف لتأجيل موعد جلسة المجلس الوطني مثلما يقترح قادة الجبهة الشعبية.. واللجنة التنفيذية ورئاسة المجلس هما من تحددان الموعد أو تؤجلانه، وفق القانون". ولفت أبوشنب، إلى أن "الدعوة مازالت مفتوحة لمن يرغب في الانضمام لاجتماعات المجلس، ونفضل أن تخلع حماس عن نفسها عباءة الأطراف الخارجية لصالح الفكر الوطني".

وأعلن سليم الزعنون، رئيس المجلس الوطني في تصريحات، السبت، أنه تم توجيه 700 دعوة للمشاركة في المجلس، متحدثا عن وجود مقترحات بضم رجال أعمال ورؤساء جامعات لتعويض النقص الحاصل بسبب وفاة عدد كبير من الأعضاء، دون التطرق إلى إمكانية مشاركة حركتي حماس والجهاد الإسلامي.

وتتقارب وجهة نظر الجبهة الشعبية مع مصر حول ضرورة إيجاد حلول مناسبة لحلحة المصالحة. وتسعى القاهرة إلى إقناع فتح بأن تكون حماس مشاركة في اللجنة التنفيذية الجديدة للمجلس الوطني مع تقديم تعهدات بأن تتنازل الحركة عن حكم غزة قريبا.

ويريد مسؤولون في مصر استثمار فرصة وجود وفد فتح بالقاهرة لإقناعه بأن تكون مشاركة حماس في المجلس خطوة أولية يعقبها تنازل عن حكم غزة، لأن عكس ذلك قبل حلول موعد انعقاد المجلس نهاية أبريل شبه مستحيل. ويرأس وفد فتح، محمود العالول نائب رئيس الحركة، بعضوية كل من عزام الأحمد وروحي فتوح وسمير الرفاعي وأشرف دبور سفير فلسطين في لبنان، بينما يتكون وفد الجبهة من أعضاء بالمكتب السياسي، وهم: رباح مهنا وكايد الغول وغازي الصوراني وجميل مزهر ومريم أبودقة.

ومرجّح مشاركة وفد من الخارج يضم أبوأحمد فؤاد، نائب الأمين العام للجبهة الشعبية، وماهر الطاهر، مسؤول الدائرة السياسية وعضو المكتب السياسي، ما يمنح الاجتماع المنتظر جدية كبيرة، ويوحي برغبة الجبهة في حل الأزمة بدلا من تعقيدها.

وعلمت "العرب" أن وفد الجبهة الشعبية يطرح مسألة وقف صرف المخصصات المالية لها من جانب السلطة منذ مطلع العام الجاري، بدعوى أنها تقف في صف حركتي حماس والجهاد الإسلامي وتناهض سياساتها الداخلية والخارجية. وقالت الجبهة الشعبية، إن تأخير صرف رواتب الموظفين التابعين للسلطة الفلسطينية في غزة، يؤزّم الأوضاع الاقتصادية الصعبة التي يعيشها القطاع.

ومتوقع أن يطالب وفد الجبهة الشعبية بتراجع الرئيس محمود عباس عن هذا القرار، لأنه غير قانوني ويتنافى مع نظام العمل داخل منظمة التحرير، ويأتي في إطار الضغط لاستمالتها ناحية السلطة. وكشف مسؤول بحركة فتح لـ"العرب" أن العقوبات المفروضة على الجبهة الشعبية بشأن وقف المخصصات المالية لها قائمة، "وقد تتضاعف حال خروجها عن المسار الذي ترسمه السلطة الفلسطينية ورفضت المشاركة في اجتماعات المجلس الوطني، لأنه لا يجب أن يغرد أي فصيل بعيدا عن السرب في ظل الظروف السياسية الراهنة التي تتعلق بالقضية الفلسطينية لأجل مصالح وحسابات سياسية ضيقة".

وتتمسك الجبهة بأن يكون المجلس الوطني مشتملا على كل الفصائل، بما فيها حماس والجهاد الإسلامي، على أساس اتفاقيات القاهرة في 2011 ومخرجات اجتماع بيروت في يناير 2017، ما يشي بأنها تتجه نحو مقاطعة اجتماع المجلس المقبل، حال رفض وفد فتح لخياراتها المطروحة، لأن عكس ذلك يدفع إلى المزيد من الانقسام ويقضي على فرص المصالحة التي ترعاها القاهرة.

> أزمة وفود فتح في لقاءاتها مع الفصائل المختلفة بالقاهرة تكمن في أن الحركة تأتي كمفوضة من السلطة وبأجندة محددة وفق سياسات الرئيس محمود عباس، ما يعني أن الحديث عن التفاوض حول مشاركة حماس قبل تلبية شروط أبومازن بالتمكين للحكومة قبل دخولها تحت مظلة منظمة التحرير، أمر مستبعد

وتكمن أزمة وفود فتح في لقاءاتها مع الفصائل المختلفة بالقاهرة في أن الحركة تأتي كمفوضة من السلطة وبأجندة محددة لا تحيد عنها، وبالتالي لا تملك حق تغيير قرارات وسياسات الرئيس عباس، ما يعني أن الحديث عن التفاوض حول مشاركة حماس قبل تلبية شروط أبومازن بالتمكين للحكومة قبل دخولها تحت مظلة منظمة التحرير، أمر مستبعد، لأن السلطة تريد التمكين والسيطرة بالسلاح، وهو ما ترفضه حماس قطعيا.

وقال هؤلاء إن اجتماع الجبهة الشعبية وحركة فتح بالقاهرة، ربما يرسم شكل العلاقة بين الفصائل والسلطة ويحدد مصير المصالحة، لأنه في حال إصرار فتح على موقفها بعقد اجتماع مجلس وطني، وتمسك الجبهة بموقفها المساند لحماس والجهاد، فذلك يعني تكريس الانقسام واحتضار المصالحة وتمسك حماس بغزة وفرض المزيد من العقوبات الاقتصادية على القطاع بشكل قد يدفع سكانه إلى الانفجار.

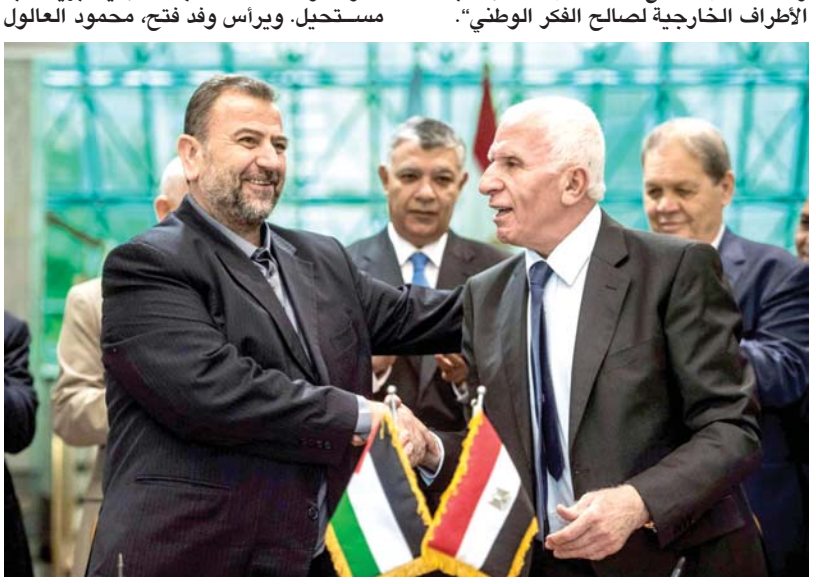

مصالحة لم تتجاوز عتبة المصافحة

مرحلة جديدة تمهد لتغيير قواعد الأزمة في ليبيا

■ أنباء متضاربة حول صحة خليفة حفتر.. لعبة تحاول بعض الدوائر استثمارها

■ الجيش يستعد لدخول درنة بغطاء دولي ويمهد الطريق نحو طرابلس

❑ **القاهرة** – حسم المبعوث الأممي إلى ليبيا غسان سلامة، والعميد أحمد المسماري، المتحدث باسم القوات المسلحة الليبية، ما يتردد من أخبار حول صحة قائد الجيش الليبي المشير خليفة حفتر، بنفي هذه الأخبار التي وصلت حد التكهّن بوفاة حفتر، وهو ما أكدته أيضا مصادر ليبية مطلعة مقيمة في القاهرة تحدثت مع "العرب"، قالت إن الحديث عن مرض قائد الجيش الليبي والترويج لوفاته، جزء من لعبة تحاول بعض الدوائر استثمارها.

وقال غسان سلامة إنه اتصل بحفتر، الذي يخضع للعلاج حاليا بأحد المستشفيات بباريس، و"بحثا الأوضاع العامة في البلاد والتطورات السياسية المستجدة على الساحة الليبية"، في نفي ضمني لما تردد حول صحة حفتر ووفاته، فيما أكد المسماري في بيانات رسمية وتغريدات على تويتر وتصريحات صحافية، أن "المشير خليفة حفتر شعر بأنه مريض خلال برنامج يتضمن زيارة عدة دول، وانتقل إلى مستشفى في باريس لإجراء فحوصات طبية عادية" دون المزيد من التفاصيل حول صحة المشير أو تاريخ دخوله المستشفى.

> قائد الجيش الوطني الليبي المشير خليفة حفتر يتلقى العلاج في باريس بعد شعوره بوعكة صحية أثناء جولة خارجية له، ومن المتوقع أن يعود إلى ليبيا خلال أيام لمواصلة الحرب ضد الإرهاب
>
> أحمد المسماري، الناطق الرسمي باسم الجيش الليبي

وكتب أحمد المسماري في تغريدة على تويتر أن حفتر (75 عاما) "سيعود إلى ليبيا في غضون أيام قليلة لمواصلة الحرب ضد الإرهاب"، مؤكدا ما سبق ونفاه رئيس الأركان العامة الليبية (الحاكم العسكري)، عبدالرازق الناظوري، حول ما تردد عن صدور قرار تكليفه بمهام القائد العام للقوات المسلحة خلفا لخليفة حفتر.

وأشارت المصادر، التي طلبت من "العرب" عدم الكشف عن أسمائها، إلى أن من قالوا إن حفتر أصيب بسكتة دماغية يريدون إحداث بلبلة في أوساط الجيش الذي تتزايد قوته، مشيرين إلى أن حالته ليست خطرة ومتابعه الصحية عادية، كما صرح بذلك أحمد المسماري.

وكانت وسائل إعلام فرنسية، منها "راديو فرنسا الدولي"، قالت إن حفتر يعاجل في المستشفى التعليمي العسكري بيرسي، التابع لوزارة الدفاع الفرنسية، بالضاحية الغربية لباريس. وفي المقابل ذكرت وسائل إعلام أخرى، أن قائد الجيش الليبي يتلقى العلاج في المستشفى الأميركي ببلدية نويي سور سين، على حدود العاصمة الفرنسية.

وبين هذا وذاك، تحيط السرية بالحالة الصحية لحفتر، إضافة إلى مكان تلقيه للعلاج وظروف علاجه. ووفقا لمصادر "العرب"، فقد انتقل حفتر من شرق ليبيا إلى القاهرة في بداية أبريل الجاري، ومنها إلى عمّان ثم باريس، وهو يعاني من متاعب في الصدر وداهمته نزلة برد لم يعالجها سريعا، حيث كان مستغرقا في عقد لقاءات مع مسؤولين أمنيين في القاهرة، ثم سافر إلى الأردن حيث عقد اجتماعه مع وفد أميركي في الأردن لمدة أربع ساعات قبل أن يذهب إلى باريس.

ومنذ مطلع أبريل الجاري، لم يظهر حفتر علنا، حين أعلن قرب ما أسماه "تحرير مدينة درنة (شرق)" من سيطرة قوات مجلس شوري مجاهدي درنة، وذلك عبر مقطع مصور بث من مشارف المدينة. ويعد خليفة حفتر، وفق مراقبين، أحد أبرز اللاعبين في المشهد العسكري بليبيا، ويراهن عليه البعض للعب دور سياسي مستقبلا، خاصة بعد أن نجح في قيادة الجيش في العام 2017 ضمن عملية عسكرية ألحقت الهزيمة بالجماعات الجهادية التي استولت على بنغازي عام 2014، بعد ثلاث سنوات من المعارك الدامية.

حفتر جزء من الجيش

أخذ التركيز على مرض حفتر جانبا كبيرا من الاهتمامات، في محاولة للإيحاء بأن الجيش الليبي هو خليفة حفتر، وأن غياب الرجل يعني انفراط عقد المؤسسة العسكرية. ومن هنا، يمكن فهم الأسباب الكامنة وراء تسريب قرار، مساء الخميس، موقع من قبل عقيلة صالح رئيس البرلمان الليبي في طبرق، بتعيين الفريق عبدالرازق جمعة حسين الناظوري، رئيس أركان الجيش الليبي، بتسيير أعمال القائد العام للقوات المسلحة، في إشارة ترمي إلى ترسيخ فكرة أن وضع حفتر الصحي في غاية من الحرج، وبالتالي زيادة وتيرة اللغط.

ويؤكد الإمعان في تسليط الضوء على مرض حفتر أنه أحد أهم مراكز القوة في ليبيا، وصعوده الكبير خلال الأعوام الثلاثة الماضية أربك حسابات الكثير من القوى المناهضة لفكرة توحيد المؤسسة العسكرية.

وينبع غضب هؤلاء من أن عملية التوحيد قطعت شوطا كبيرا في الاتجاه نحو المزيد من التماسك وجني الثمار. وجرت ست جولات في هذا المضمار بوساطة مصرية. ومتوقع أن تعقد جولة سابعة قبل نهاية الشهر الجاري في القاهرة.

وتأتي أهميتها من أنها ستشهد مباحثات أكثر جدية تؤدي إلى تطور نوعي، يقوم على الدخول في عمق مرحلة تنفيذ ما جرى الاتفاق عليه في الجولات الست الماضية. والأهم تسكين القيادات العسكرية المرشحة في أماكنها، وهي خطوة كبيرة ترمي للتمهيد لفتح الطريق أمام دخول الجيش الليبي العاصمة طرابلس، والتي تتوقف على وجود مباركة من جانب الأطراف الرئيسية الخارجية والتي تتحكم في بعض مفاصل الأزمة، مثل الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا وإيطاليا.

مرمى النيران

كشفت المصادر لـ"العرب" أن هذه الخطوة لن تكون مستبعدة، وتنتظر التوقيت المناسب، وستسبقها خطوة مهمة، باتجاه توجيه ضربة عسكرية قوية لمراكز المتطرفين في درنة، بمساعدة مباشرة وتفهم من القوى السابقة.

وأكدت المصادر أن إنهاء أسطورة درنة لن يتم دون مباركة دولية. فالضربات الجوية المصرية السابقة حققت جانبا من أهدافها على الصعيد المصري المحلي، لكن لم تحقق ذلك على المستوى الليبي العام، والجيش الوطني لا يملك القدرات الكافية للقضاء تماما على المتطرفين في درنة.

ولن تستطيع القاهرة تحمّل الضريبة السياسية لمواصلة الضرب هناك، تحت أي غطاء أو مبرر أو وسيلة، ولا بد من قوة دولية مشتركة.

ولم يعد الجيش المصري قادرا على توجيه ضربات مؤثرة بمفرده. وبعد تزايد التأييد الذي يحظى به من جانب قوى مختلفة، من الممكن أن يكون التعاون بينهما مثمرا على الصعيدين العسكري والسياسي.

وأضافت المصادر أن الفترة الماضية شهدت تقاربا كبيرا بين القاهرة وواشنطن وباريس ولندن وروما بشأن ليبيا، وارتفاع درجة الاقتناع بأن استمرار تمركز التكفيريين في درنة يمثل خطرا كبيرا على مصالحها في ليبيا، والقضاء عليهم سيكون خطوة مهمة باتجاه تنفيذ خطة التسوية السياسية، وفتح الطريق أمام حفتر لدخول طرابلس، وهي المهمة الرئيسية التي تقلب الكثير من التوازنات الراهنة.

بالتوازي مع هذه التقديرات، يجري التحضير لإطلاق عملية توحيد للمؤسسة الشرطية في ليبيا، وهي حلقة في غاية الصعوبة لكنها ضرورية لسببين.

■ الأول، إبعاد المؤسسة العسكرية عن طرح فكرة استيعاب ميليشيات داخلها والتي تحاول جماعة الإخوان المدعومة من قطر وتركيا الدفع نحوها لإفشال خطة توحيد المؤسسة العسكرية أو تحقيق غرضها بضم الميليشيات للجيش الوطني، وضمان وجود نفوذ لها داخله.

■ الثاني، قوة الميليشيات التي بلغت حد السيطرة على مناطق بأكملها، وتحولت إلى تجارة لدى البعض يحصدون من ورائها مكاسب مادية كبيرة. ولأن فكرة إلقاء السلاح تلقائيا بناء على تفاهمات سياسية لن تكون مجدية في حالة ليبيا، التي تفتقر إلى حكومة قوية ومؤسسات رسمية قادرة على فرض السيطرة.

ولذلك فإن توحيد وزارة الداخلية، ومنع التشتت بين الشرق والغرب واستيعاب جزء من الميليشيات داخل جهاز الشرطة، هي عملية مهمة لتخفيض التوتر، وقد تكون أداة لرفع الفيتو الذي ترفعه بعض القيادات المسلحة، وتعمل غالبيتها لحساب الدوحة وأنقرة، وهما في مقدمة الجهات التي ترعى جماعات متطرفة تتلقى مبالغ مالية مقابل أعمالها الإجرامية.

ومن الطبيعي، أن تُقلق هذه المعطيات جماعة الإخوان، لأن حصيلتها النهائية ستصب في إخراجها من المشهد الليبي، الذي يعد الملاذ الأخير لها ولداعميها، خاصة وأن خروجها من مصر وجه ضربة قاصمة لها. والنتائج التي وصل لها الرباعي العربي (مصر والسعودية والإمارات والبحرين) في مواجهة قطر حققت مكاسب كبيرة.

كما أن تركيا، التي تلعب دورا مهمّا على الساحة الليبية، وهي من أهم موردي السلاح للجماعات المتطرفة، أصبحت أكثر حذرا في هذه المسألة، في ظل عمليات إعادة التموضع الجارية في ليبيا من قبل بعض القوى الدولية.

وحتى رعاية أنقرة للصادق الغرياني، مفتي ليبيا المقيم في تركيا، أصبحت مكشوفة وأضحى تنقله بين إسطنبول والدوحة مثار قلق لكل منهما، لأن دوره المحوري في التعاون بين القاعدة وداعش لمواجهة خليفة حفتر، لم يعد مقبولا الآن، وأي تحرك جديد يمكن أن يقدم عليه من خلال إقامته في تركيا لن يكون في صالح الأخيرة.

المشري وصوان

وسط أجواء تسير ضد رغبات قطر وتركيا، جرى البحث عن وجه سياسي، أملا في أن يحافظ على مصالح الإخوان بطريقة ناعمة، عندما فقدت الخشونة دورها. وتم اختيار خالد المشري، القيادي بحزب العدالة والبناء، الذراع السياسية للإخوان، ليكون رئيسا لمجلس الدولة، بعد أن فقد عبدالرحمن السويحلي، رئيسه السابق أهميته داخل الجماعة.

ويرمي الدفع بخالد عمار علي المشري، وهذا اسمه الكامل كما ورد في أحد كشوف تلقي الأموال من قطر لرئاسة مجلس الدولة، إلى محاولة تضخيم دور المجلس الذي خرج من رحم اتفاق الصخيرات في ديسمبر 2015، وغالبية أعضائه من الإخوان، للسيطرة على رئيس حكومة الوفاق فايز السراج، وليكون جسما موازيا لمجلس النواب في طبرق، والحد من صلاحيات الأخير.

وعلى مدار الأعوام الثلاثة الماضية، لم يفلح المجلس في القيام بدور فاعل، وأصبح رمزا فقط، ويحتل أعضاءه طابقا في فندق المهاري بطرابلس، ويمكن لأي ميليشيا مسلحة إلقاء القبض عليهم أو قنصهم بصاروخ.

وبدأت خطة المشري بإرسال إشارات إيجابية لعقيلة صالح، للإيحاء بأنه رجل وطني ومنفتح، ويمحو المعلومات التي تؤكد أنه على علاقة وثيقة بقطر وينفي رواية البعض أنه حكم عليه بالسجن أيام حكم العقيد معمر القذافي بتهمة الفساد، ويشيع أن سجنه تم لأسباب سياسية.

ولم يرد عقيلة على رسائل الإيجابية التي وصلته، وغالبا لن يتفاعل معها، لأنها فخ سياسي يصعب أن يسقط فيه. ويعلم عقيلة أن الحوار مع المشري، الذي يطمح لعزل محمد صوان رئيس حزب العدالة والبناء، يُفقد رئيس مجلس النواب قاعدته الشعبية في شرق ليبيا التي تبغض جماعة الإخوان ورموزها. ويعي أيضا أن التجاوب مع تصريحات وتلميحات المشري سيخلق فتنة بين أعضاء مجلس النواب.

وتدثر الإخوان بثوب الليونة الظاهرة والانفتاح على الآخر، أخذ شكلا إيجابيا مفتعلا مع الجيش الليبي. واعتبر محمد صوان ما يقوم به حفتر ضد الميليشيات المتطرفة عملا وطنيا، بعدما وصفه بأنه منشق ومتمرد، وكان صوان وقتها يثمن عمل الجماعات التكفيرية.

وتحمل رسائل المشري لعقيلة وصوان لحفتر، دلالة على تنسيق بين الجانبين لاختراق المعسكر المناهض للإخوان. لكن المصادر التي تحدثت معها "العرب"، أكدت أنها تنطوي على خلاف مستتر بينهما، يمكن أن يستعر خلال الفترة المقبلة، لأن كل طرف يريد أن يتصدر قيادة الجماعة.

ويتصور المشري أن صعوده لرئاسة مجلس الدولة مؤخرا كفيل بتوجيه ضربة قاضية لصوان، بينما يثق الثاني في أن نزق وانحراف الأول ومحدودية قدراته الإدارية ستكشف حقيقته.

> توحيد وزارة الداخلية ومنع التشتت بين الشرق والغرب واستيعاب جزء من الميليشيات داخل جهاز الشرطة، عملية مهمة لتخفيض التوتر

وينطوي هذا التحول في مواقف قيادات إخوان ليبيا على شعور بالخطر وأن الترتيبات المقبلة لن تكون في صالحها، لأن بعض القوى التي كانت تدعمها أصبحت مواقفها تسير في خط مضاد لها. الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا تكاد ترفع غطاءها عن الإخوان في ليبيا.

علاوة على أن موقفها في الجارة تونس يزداد حساسية، وسط الأزمات التي تواجهها حركة النهضة هناك. وباتت أوراق الجزائر التي تحرص على الحوار معها والتقارب مع الميليشيات الإسلامية محروقة لأنها ترمي فقط إلى إبعاد الخطر عن حدودها وسط وضع داخلي حرج، عقب اشتداد المرض على الرئيس عبدالعزيز بوتفليقة.

ويولي الجيش الجزائري اهتمامه الأساسي بالغرب والجنوب الغربي في ليبيا لمنع انتقال المتشددين، كما أضحت علاقته بعبدالكريم بلحاج، زعيم الجماعة الليبية المقاتلة معرضة للتغير، لأن الروابط التجارية التي تربطه بالجزائر عبر شركة الأجنحة للطيران التي يملكها بلحاج وتعمل بين طرابلس والجزائر وتركيا وقطر وتونس، معرّضة للتوقف، في ظل ما يجري من تحول في قواعد اللعبة مع الإسلاميين، ووضع مصير الإخوان في ليبيا على المحك.

دعم شعبي لحرب الجيش على الإرهاب

> رسائل المشري لعقيلة وصوان لحفتر تحمل دلالة على تنسيق بين الجانبين لاختراق المعسكر المناهض للإخوان. لكن مصادر تحدثت معها «العرب» أكدت أنها تنطوي على خلاف مستتر بينهما، يمكن أن يستعر خلال الفترة المقبلة، لأن كل طرف يريد أن يتصدر قيادة الجماعة

رئيس وزراء إثيوبيا التي يريد العرب استعادتها استراتيجيا

آبي أحمد علي

زعيم مسلم قد يحسم الصراع على مياه النيل

جبر الشوفي

❑ القرن الأفريقي منطقة أخذت تتحول إلى منطقة إشكالية أكثر من ذي قبل في الآونة الأخيرة، ليس فقط في أطراف جيبوتي والصومال اللذين بات واضحا تأثرهما بالعبث الجاري في الأمن القومي العربي الذي تحرص عليه دول أساسية في المحور العربي، للوقوف في وجه مشاريع دولية وإقليمية تريد الاستحواذ على هذه المنطقة الحساسة والاستراتيجية المطلة على العالم العربي من جنوبه.

ووسط هذه الأجواء، وبقلب القرن الأفريقي، وفي حالة هي الأولى من نوعها، يتمّ انتخاب الشخصية البارزة آبي أحمد علي رئيسا لائتلاف من 180 عضوا، ورئيسا للوزراء في إثيوبيا، خلفا لهايلي مريام ديسلين الذي استقال منتصف فبراير الماضي بعد ست سنوات قضاها في رئاسة الائتلاف ورئاسة الوزراء.

اضطراب القرن الأفريقي

لكن إثيوبيا تبدو اليوم بيئة مستقرة محاطة باضطرابات مختلفة، فلم يكد يمضي أكثر من شهر على إعلان وزير الدولة للشؤون الخارجية الإماراتي أنور قرقاش استنكاره لإلغاء الحكومة الجيبوتية عقد الامتياز الممنوح لمجموعة "موانئ دبي العالمية"، لتشغيل محطة الحاويات في ميناء "دوراليه" لخمسين عاما؛ معتبرا أنه إجراء تعسفي ونقض للاتفاقيات وصدمة للبيئة الاستثمارية في البلاد، حتى كانت الخطوة العربية التالية هي توثيق الصلات الاستراتيجية مع إثيوبيا.

> «منصة تعزيز التعاون» اسم يطلقه ملسن ألم المتحدث باسم الخارجية الإثيوبية في وصفه لإثيوبيا، خلال زيارة وزير خارجية دولة الإمارات الشيخ عبدالله بن زايد إلى أديس أبابا شهر مارس الماضي، في ما يعتبر ردا استراتيجيا على العبث الجاري في القرن الأفريقي

وكانت "موانئ دبي" العالمية، قد أعلنت في بيان لها أن حكومة جيبوتي استولت بصورة غير مشروعة على محطة حاويات دوراليه من شركة مملوكة من قبل مجموعة موانئ دبي العالمية. وأوضحت الشركة الإماراتية أنها تولت تصميم وبناء المحطة بالإضافة إلى تشغيلها، منذ عام 2006، وذلك بموجب عقد امتياز منحته الحكومة في نفس العام. وأشار بيان الشركة الإماراتية إلى أن محطة الحاويات في دوراليه تعد أكبر مصدر للوظائف والإيرادات في جيبوتي وتحقق أرباحا سنوية منذ بدء تشغيلها. وكي يتوضح عمق المشروع المعادي للمصالح العربية في جيبوتي، فقد أعلن رئيس هيئة الموانئ فيها أبوبكر عمر هادي أن حكومة بلاده تجري مباحثات مع شركة الشحن الفرنسية "سي.أم.أي سي.جي.أم" لتطوير مرفأ جديد للحاويات بقيمة 660 مليون دولار، وأنها تعمل على إرساء الامتياز خلال يوليو القادم. وكان موقع جيبوتي الإستراتيجي قد دفع كلا من الولايات المتحدة والصين واليابان وفرنسا لبناء قواعد عسكرية هناك.

أما في جنوب وغرب القرن الأفريقي، حيث الصومال، فقد قامت الحكومة المرتبكة فيه باحتجاز طائرة مدنية خاصة مسجلة في دولة الإمارات الأحد الماضي، في مطار مقديشو الدولي، وعلى متنها 47 شخصا من القوات الإماراتية، واستولت على المبالغ المالية المخصصة لدعم الجيش الصومالي والمتدربين تحت تهديد السلاح. وأدى ذلك بحسب وكالة "وام" الإماراتية الرسمية إلى تأخير إقلاع الطائرة لعدة ساعات، علما أن هذه المبالغ مخصصة لدعم الجيش الصومالي ودفع رواتب عناصره، وذلك استنادا إلى مذكرة التفاهم الموقعة بين البلدين في نوفمبر 2014، والمتعلقة بتعزيز التعاون العسكري بين البلدين.

وقالت وزارة الخارجية والتعاون الدولي في الإمارات في بيان لها إن هذه الخطوة غير قانونية، من حيث أنها تناقض الأعراف والتقاليد الدبلوماسية المستقرة بين الدول، كما أنها تعد إخلالا جسيما بأحكام مذكرة التفاهم المشار إليها، وبالتالي مخالفة لقواعد القانون الدولي والأعراف الدولية.

مشروع استعادة إثيوبيا

لكن ما أطلق عليه ملسن ألم المتحدث باسم الخارجية الإثيوبية اسم "منصة تعزيز التعاون" في وصفه لإثيوبيا، خلال زيارة وزير خارجية دولة الإمارات الشيخ عبدالله بن زايد إلى أديس أبابا شهر مارس الماضي، يعتبر ردا استراتيجيا على العبث الجاري في تلك المنطقة الحرجة.

لقد شكّلت الإمارات ثاني أكبر وجهة للصادرات الإثيوبية في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، وتاسع أكبر وجهة للصادرات الإثيوبية على مستوى العالم. كما احتلت أبوظبي المركز التاسع بين الدول المصدرة إلى إثيوبيا، في مؤشر واضح على تنامي أهمية العلاقات التجارية بين بلدين صديقين، حيث يبلغ حجم استثمارات أبوظبي في إثيوبيا نحو 523 مليون دولار.

لقد كان انتخاب الشخصية المسلمة آبي أحمد رئيسا للائتلاف، ومنه إلى رئيس للوزارة وفقا للدستور حدثاً نوعيا، ليس لأنه يجري ولأول مرة، انتخاب رئيس وزراء مسلم، ولا لكونه من أكثرية عرقية كانت تقود حركة الاحتجاجات ضد الحكومة السابقة على مدى ثلاث سنوات فحسب، بل لأنه الأجدر بتحمّل مهام إنقاذية على هذا المستوى من المسؤولية، وإجراء الإصلاحات المطلوبة والنهوض بأعباء التنمية بالبلاد، وقيادتها باتجاه ترسيخ أسس الديمقراطية والعدالة.

يقول المراقبون إنّ انتخاب آبي جاء بعد نقاشات ومفاوضات مكثفة في الائتلاف الحاكم، لأنّ الذي سيتقلد منصب رئيس الوزراء، سياسي مذهل ويمتلك مؤهلات أكاديمية وعسكرية مثيرة للإعجاب، فهو حائز على شهادة الدكتوراة من جامعة أديس أبابا وشهادة الماجستير من الولايات المتحدة الأميركية وبريطانيا، وشغل منصب وزير العلوم والتكنولوجيا في الحكومة السابقة.

آبي رجل الدولة

كان آبي قد انضم إلى "الحركة الديمقراطية لشعب أوروميا" التي قاتلت نظام منجستو هيلا مريام الماركسي، ووفقا لموقع "أفريكان أرغيومنتس"، فإن ثمّة أسباب عدة تبعث على التفاؤل في انتخاب أحمد رئيسا للحكومة؛ فهو يأتي من خلفية دينية مُختلطة، من أب مسلم كان يعمل بالزراعة وأم مسيحية ويتحدث الإنكليزية و3 لغات محلية إثيوبية، أمهرية وأورومية وتيجرينية، ونال درجة الدكتوراة من معهد دراسات السلام والأمن (إيبس) التابع لجامعة أديس أبابا عن حل النزاعات المحلية في البلاد.

ووفقا لعاملين من داخل الحزب، فإن آبي مُتحدّث ممتاز، لا يتخذ إلا القرارات القائمة على حُجج وبراهين، وفي الوقت نفسه، لديه خلفية عسكرية ومخابراتية مهمة؛ إذ خدم برتبة كولونيل ضمن قوات الجيش الإثيوبي، وشارك في قوات حفظ السلام في رواندا، كما أسّس وكالة لأمن الشبكات والمعلومات، وبين عامي 2008 و2010 أشرف على توسيع عمليات البث الإذاعي والتلفزيوني في وقت كانت تشتهر فيه إثيوبيا بانعدام الحريات الصحافية، وكان له دور أساسي في تأسيس وكالة الاستخبارات الإثيوبية، بينما يشكك منتقدوه بأنه سيحصل على الوقت اللازم والقدرة الكافية لإقامة الإصلاحات الديمقراطية المطلوبة، ويربط بعضهم أهمية انتخابه بعدة أسباب أهمها، أنه الشخص الوحيد الذي يمكنه إنقاذ الائتلاف الحاكم من الانحلال والتلاشي.

ويبدو أن إصلاح البيت الحاكم من داخله وتحقيق الأمن والاستقرار وإعادة الثقة المفقودة بين النخبة الحاكمة وقيادة المعارضة السياسية المأزومة، وأخذ البلاد نحو المشاركة السياسية وترسيخ أسس الديمقراطية والتنمية المتكاملة ومحاربة الفساد وتحقيق العدالة، كلها مهمات ملحة وتنتظر مزاولته لمهامه.

الفضاء العربي ومصر

آبي تنتظره ملفات عديدة مع دول الجوار العربي والأفريقي والعالم الخارجي، أهمها ملف سد النهضة على منابع النيل والذي باشرت إثيوبيا ببنائه، وأدى إلى توتير علاقاتها مع مصر، وهي تحتاج إلى إيجاد حلول توافقية ثلاثية، مع كل من مصر والسودان، ومتابعة عمل اللجنة الثلاثية التي توقفت بسبب استقالة رئيس الوزارة، وبعد فشل لقاء السيسي مع هايلي مريام ديسلين في القاهرة، واتهامه له بالتهرب وإضاعة الوقت، إثر رفض الأخير لاقتراح مصر إشراك البنك الدولي كطرف ثالث ضامن لحقوق الأطراف الثلاثة، وفقا للقوانين الدولية، كما اتهمه بالتواطؤ مع السودان بدفع من قطر وتركيا الداعمتين لحركة الإخوان المسلمين، ودول أخرى داخل القرن الأفريقي أو ذات علاقة بملفاته الشائكة، وقد ضاعفت هذه الاستقالة من قلق مصر، وهي ترى إثيوبيا تمضي في البناء من دون أخذ مخاوف المصريين في عين الاعتبار، وقد تحتاج الدول الثلاث للعودة إلى المحادثات من نقطة الصفر، كما يشار إلى تداخل الخلافات الحادة بين السودان وأريتريا واتهام دول الخليج وأطراف أخرى بتأجيج هذا الصراع.

شريك في الحرب على الإرهاب

تشهد إثيوبيا نقطة تحوّل سياسية وسابقة تاريخية، ليس لها مثيل في تاريخها، تعبر عن قوة الصراع داخل البلاد وخارجها، بدت معه أديس أبابا وكأنها وجدت في شخصية آبي ضالتها، وبه قد تحافظ على بنية الائتلاف الحاكم، وتعد بالاستقرار السياسي والأمني، والبناء على التقدم الملحوظ الذي حققته إثيوبيا منذ عام 2000 ووجدت فيه أميركا نظاما متعاونا في مكافحة الإرهاب، في منطقة القرن الأفريقي المضطربة أمنيا وسياسيا.

هذه التغيرات الهامة تترك الأوساط السياسية الداخلية في إثيوبيا، سواء في صفوف الائتلاف الحاكم أو في صفوف المعارضة، وكذلك في العديد من الدول المجاورة والدول ذات المصالح المشتركة مع إثيوبيا، في حالة ترقب وانتظار لرؤية أداء آبي كرئيس للسلطة التنفيذية، للسير في ما وعد به من خطوات الإصلاح السياسي والإداري ومكافحة الفساد والنهوض بوضع البلاد بشكل عام، كما تنتظره كلا المجموعتين العرقيتين، الأورومو والأمهرا، اللتان ظلتا ساخطتين على الحكومة، وتستمران في تنظيم الإضرابات والاحتجاجات ولا سيما في منطقة أوروميا الفيدرالية، التي ينتمي إليها رئيس الوزراء الجديد، ومعقل عرقية أورومو المسلمة والأكثر عددا وفاعلية في صفوف المعارضة.

عالم يتغير على الجميع

العالم يتغير بسرعة وعلى بعض الدول العربية إدراك هذه المتغيرات واللحاق بها ومواكبتها، وربما يعود سبب فشل المفاوضات المصرية السودانية الإثيوبية الذي أعلن عنه قبل أيام إلى انتفاء معطيات الحل لدى بعض الأطراف، إذ يقول المتحدث باسم الخارجية الإثيوبية إن "سبب فشل مفاوضات الخرطوم هو عدم جدية وعدم تعاون الجانب المصري، وطرحه لاتفاقية 1959 في المفاوضات".

وتمنح هذه الاتفاقية، الموقعة بين السودان ومصر، القاهرة 55.5 مليار متر مكعب سنويا من مياه نهر النيل، بينما تحصل الخرطوم على 18.5 مليار متر مكعب.

وقال الإثيوبيون إن بلادهم "تعتبر أن هذه الاتفاقية لا تعنيها. طرح تلك الاتفاقية يعتبر خطا أحمر، ولا يمكن أن تتفاوض أديس أبابا حولها، فلا يمكن أن نتحدث عن اتفاقيات لم نكن طرفا فيها. إن عدم جدية الجانب المصري أدى إلى عدم التوصل إلى توافق حول قرار مشترك بشأن سد النهضة بين الدول الثلاث".

يحتاج العرب لتوطيد الصلة مع إثيوبيا بصورة استراتيجية، لا ارتجالية خالية من التخطيط والرؤى الواضحة. ويبدو آبي أحمد واعيا لهذا النوع من الشراكات الرفيعة التي من دونها لا يمكن حل القضايا الخلافية ولا بناء التحالفات الإقليمية الوثيقة بعيدة المدى.

> إثيوبيا تشهد نقطة تحول سياسية ليس لها مثيل في تاريخها، تعبر عن قوة الصراع داخل البلاد وخارجها، بدت معه أديس أبابا وكأنها وجدت في شخصية آبي ضالتها، وبه قد تحافظ على بنية الائتلاف الحاكم، وعلى مصالحها في منطقة القرن الأفريقي المضطربة أمنيا وسياسيا

● انتخاب الشخصية المسلمة آبي أحمد رئيسا للائتلاف، ومنه إلى رئيس للوزارة وفقا للدستور، يعد حدثا نوعيا، ليس لأنه يجري لأول مرة، بل لأنه الأجدر بتحمل مهام إنقاذية على مستوى رفيع من المسؤولية.

● الإثيوبيون يقولون إن بلادهم تعتبر أن اتفاقية تقاسم مياه النيل 1959 لا تعنيها، وإن طرح تلك الاتفاقية يعتبر خطا أحمر، ولا يمكن أن تتفاوض أديس أبابا حولها، ويضيفون "لا يمكن أن نتحدث عن اتفاقيات لم نكن طرفا فيها".

مهندسة صور وكلمات ومشاعر

فاتن النواوي
تصنع عالما بأقنعة كثيرة

فاروق يوسف

❏ أتثيرها الحياة بمشاهدها المتقلبة أم تستفزها السيرة الخفية لحياة تأخذ وقائعها هيئة صور غامضة؟ الفنانة المصرية فاتن النواوي تهبنا من خلال لوحاتها فرصة مزدوجة؛ متعة أن نرى ما يُرسم كما لو أنه هدف للعيش وقوة إلهامية مجاورة تدفع بنا إلى حافات التأمل ونحن نفكر بما لم يُرسم فيما تعصف بنا عاطفته.

معجم لحياة مرتجلة

فاتن النواوي رسامة تحن إلى زمن الأساطير غير أنها لا تُحل الحكاية التي تعزف عن روايتها كاملة محل الواقع الذي لم تنقطع عنه وعن النظر إليه بإجلال. خفة نزعتها السريالية هي نوع من المصالحة بين الواقع وخياله، بين الشيء ومغزاه العميق. لذلك فإن كائناتها تظهر وتختفي في مشهد أعيد تأثيثه بما ينسجم ووجودها الجديد الذي يتطابق مع مصيرها.

> سيرة حياة النواوي شديدة التعقيد بسبب تشعب مساراتها؛ فهي بحكم الدراسة والمهنة مهندسة أولا، كما أن دراسة النقد الفني قد تعطل أحيانا مزاج الخلق الفني وبالأخص حين يتمتع المرء مثلما هو حال النواوي بحساسية عالية في مجال التذوق الجمالي

تلتقط الفنانة تفاصيل واقعية لتنقيها من صفاتها اليومية، تقطع الخيوط التي تعيدها إلى مجالها الأصلي. تزيح عنها ثقلها وقوة الجاذبية التي تسحبها لتحلق بها بعيدا ومن ثم تضفي عليها طابعا اسطوريا، كما لو أن تلك التفاصيل تنتمي إلى زمن سرمدي، وهو ما ييسر للفنانة سبل استعادتها عن طريق الحلم باعتبارها جزءاً من دورة خلق لا تنتهي.

الآخر الذي يقول الحقيقة

غير أن هناك جانبا آخر يمكنه أن يقطع الطريق على كل ما يمت إلى الوصف بشقيه الواقعي والسيريالي بصلة. يتمثل ذلك الجانب بمسحة تعبيرية تحضر هي الأخرى بخفة فتتمكن من أن تحدث تغييرا في المعادلة كلها عن طريق ما تنطوي عليه من شحنات رمزية. فالنواوي في الأساس شاعرة وهو ما يعني أن عالما تقيمه لا بد أن يتمتع بقوة المجاز. ذلك هو السر الذي يقف وراء ما نشهده في أعمالها من صدام مدو بين ما هو حسي وما هو حدسي.

في معرضها "الأوديسة والسيرك" الذي أقامته عام 2014 في قاعة بيكاسو بالقاهرة، سعت إلى استعراض مفردات معجمها المزاحة عن معانيها المتاحة. وهو معجم لحياة مرتجلة وباذخة بإيقاع مخفياتها طالما تعلق الأمر بشاعرة.

ليست الغاية من استلهام الفنانة لأوديسة هوميروس الوصول إلى "ايثاكا" كما كان الأمر في العمل الأدبي المتخيل. أوديسيوس بطل الملحمة الإغريقية لن يكون حاضرا بنفسه هذه المرة. رحلته بقوة إيحائها الرمزي هي الضالة، بمعنى أن الرحلة تحل محل ايثاكا. أما السيرك فهو ذلك الواقع العبثي الذي نسميه مجازا حياة. هناك شيء من العبث يتخلل كل ما نفعله ونقوله.

بالنسبة للفنانة فإن ايثاكا هي كل مكان يحلم المرء بالوصول إليه. غير أن ذلك لا يكفي لوصف ما تنطوي عليه عملية الرسم من استبدال عالم بعالم آخر. وهو ما يصح حين يتعلق الأمر بالسيرك حيث نستبدل قناعا بآخر، وهو ما يعني أننا سنكون على موعد دائم مع الآخر الذي يسكننا.

ولدت فاتن علي أحمد النواوي في القاهرة عام 1951. درست هندسة الاتصالات ونالت شهادة الماجستير فيها. ومارست عملها في ذلك الاختصاص بين سنتي 1975 و1998. عام 1992 نالت شهادة الدبلوم من المعهد العالي للنقد الفني، أكاديمية الفنون. كما درست السيناريو والإخراج في المعهد العالي للسينما.

حارسة صور وكلمات

عام 1998 أقامت أول معارضها الشخصية "اتيليه القاهرة"، بعده أقامت أكثر من ستة معارض شخصية. أصدرت النواوي ثلاثة كتب شعرية هي "أحلام الطمي والفخار" 1991 و"برديات الأشعار" 1992 و"سفر الذهول" 1995. وإذا ما كانت الفنانة قد تأخرت في إقامة معرضها الشخصي الأول فإنها كانت حاضرة في المشهد التشكيلي المصري منذ عام 1980.

تبدو سيرة حياة النواوي شديدة التعقيد بسبب تشعب مساراتها؛ فهي بحكم الدراسة والمهنة مهندسة أولا، كما أن دراسة النقد الفني قد تعطل أحيانا مزاج الخلق الفني وبالأخص حين يتمتع المرء مثلما هو حال النواوي بحساسية عالية في مجال التذوق الجمالي. ولأن الفنانة كانت قد شغفت بالشعر في سن مبكرة فإن ذلك المثلث الذي يتوزع بين الهندسة والنقد والشعر لا بد أن يكون مغلقا على ما فيه من ثروات. لذلك كان الرسم بمثابة معجزة في حياة، كان من الممكن أن تكون مترفة من غيره. غير أن المرء ما إن يتأمل رسومها حتى يشعر أن ما حققته الفنانة في تلك الرسوم كان هو الخلاصة لعمل المهندسة ومزاج الناقدة وحساسية الشاعرة. تلك المرأة هي حارسة صور هي بمثابة ألغاز يلذ للمتلقي أن يسترق السمع إلى أصواتها ويشم روائحها ويفلت به مزاجها النافر من مساءلة الواقع عما يقود إليه.

> الفنانة المصرية تهبنا من خلال لوحاتها فرصة مزدوجة؛ متعة أن نرى ما يرسم كما لو أنه هدف للعيش وقوة إلهامية مجاورة تدفع بنا إلى حافات التأمل ونحن نفكر بما لم يرسم فيما تعصف بنا عاطفته

لقد هندست فاتن النواوي خيالها عن طريق الرسم فكانت ترسم خطة، تراقبها بعين الناقد غير أنها تسلمها في الوقت نفسه لرياح الشعر التي تضفي عليها الكثير من صفات المجازفة التي هي ليست من جنسها.

"وقال المعلم: تعلم ثم أنس ما قاله المعلم وانطلق" تقول النواوي. أتخيلها وهي تمزج الأصباغ مطمئنة إلى ما فعلته حين مزجت واقعية محمود سعيد بسريالية رمسيس يونان بحروفية حامد عبدالله فهي الوارثة التي يحق لها أن تفعل بإرثها ما تشاء. هذه فنانة تهندس علاقتها بالآخرين بطريقة شاعرية تغلب عليها الرغبة في التجديد والإضافة.

تنظر النواوي بإجلال إلى الماضي غير أنها لا تقدسه. في إحدى لوحاتها تجلس القرود لتضحك مما يجري من حولها. الفنانة التي تجمع في إحدى مقولاتها الفن الفرعوني وفن الكاريكاتير والفن المفاهيمي في سلة واحدة تعرف أن إرثها الثقيل هو من النوع الذي يجب تصريفه بطريقة متقنة وإلا فإنه سيكون أشبه بالوصية القاتلة.

> ثلاثة كتب شعرية تضاف إلى رصيد النواوي التشكيلي تمثلها عناوين «أحلام الطمي والفخار» و«برديات الأشعار» و«سفر الذهول»

وهو ما هداها إلى فكرة السيرك. فالسيرك حياة كاملة وهو في الوقت نفسه يشير إلى العالم باعتباره متاهة. تسر رسوم النواوي حين تبشر بالحياة من طرف رمزي حيث الأمومة والانفتاح على الطبيعة وإزاحة الفواصل بين الكائنات البشرية والحيوانية هم عناصر بناء عالم يفيض بقدرته على صنع السعادة، غير أن هناك ألما يستشعره المرء في كل رسوم النواوي. ذلك الألم هو ما يشير إلى نوع من الشعور بالفقدان الذي يتمحور حوله عالم الفنانة التي تسعى بكل قوتها إلى تأجيل الوصول إلى هدف بعينه. وهو ما يوضح شيئا من مفهومها المتعلق بالرسم.

الشاعرة في خلاصاتها

تقول الفنانة "أما اللوحة فإنها ترسم نفسها بنفسها"، بالنسبة لفاتن فإنها تمد يدها لتجد مادتها وتقنياتها وأسلوبها وكل ما من شأنه أن يشكل إطارا لتجربتها هو بين يديها. هناك شيء جاهز صارت تتقن اللعب به وعليه. لقد يسرت فلسفتها في العلاقة بالأشياء المحيطة بها أن تقوم بما تراه مناسبا لتجربتها المزدوجة في العيش والرسم معا. الحياة الخفية كما الحياة الواقعية كلتاهما تشكلان مصدرا لوهم اسمه الجمال. ولأنها وضعت كل الحضارات المصرية من فرعونية ورومانية وقبطية وعربية رهن يديها فإن حلولها الشكلية كانت كثيرة. وهو ما جعلها قادرة على أن تمزج بين الواقعية والسريالية والتعبيرية في لوحة واحدة بالرغم من أنها وضعت في حسابها أن تتخلى عن كل شيء من أجل أن تمضي بتجريدياتها إلى الحافات البعيدة، حيث لن يكون هناك شيء في انتظارها سوى إيقاع الحروف، وهي شاعرة.

غير أن الفنانة التي يمكن تأويل رسومها سياسيا كانت دائما تميل إلى رسم خالص، رسم كلاسيكي لا يشير إلى شيء سواه. أعتقد أن الشاعرة ستبتسم من استنتاج من ذلك النوع. أما الناقدة والمهندسة فإنهما ستصمتان عن رضا. ذلك لأنهما تعرفان أن الشاعرة نفذت ما ترغبان فيه.

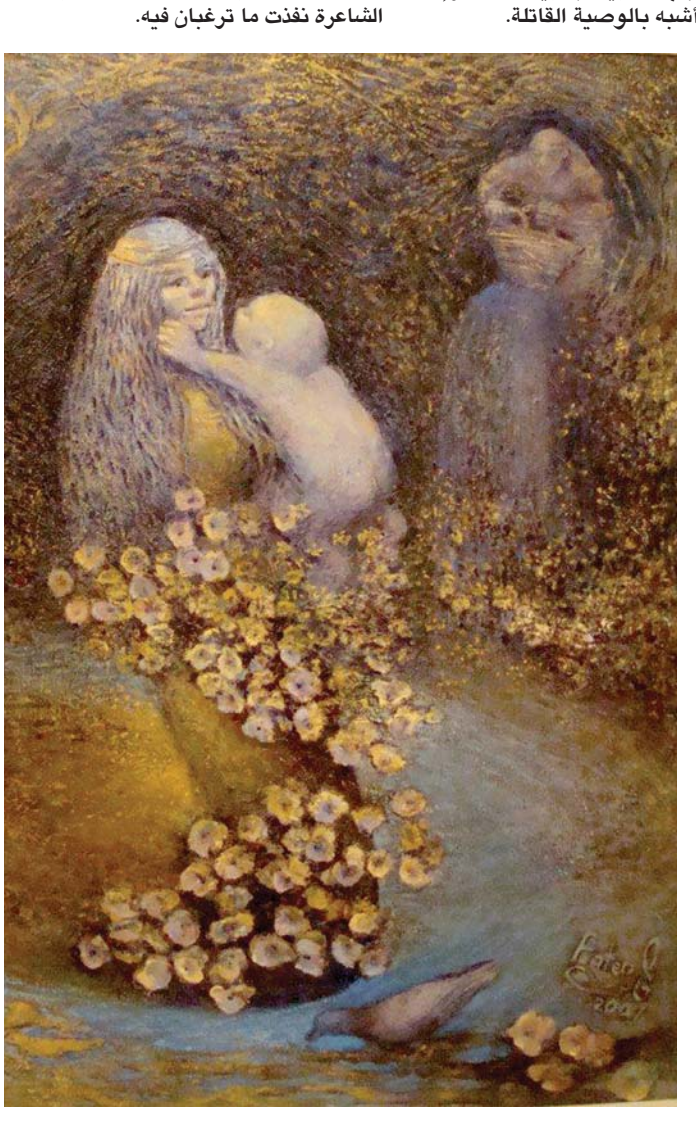

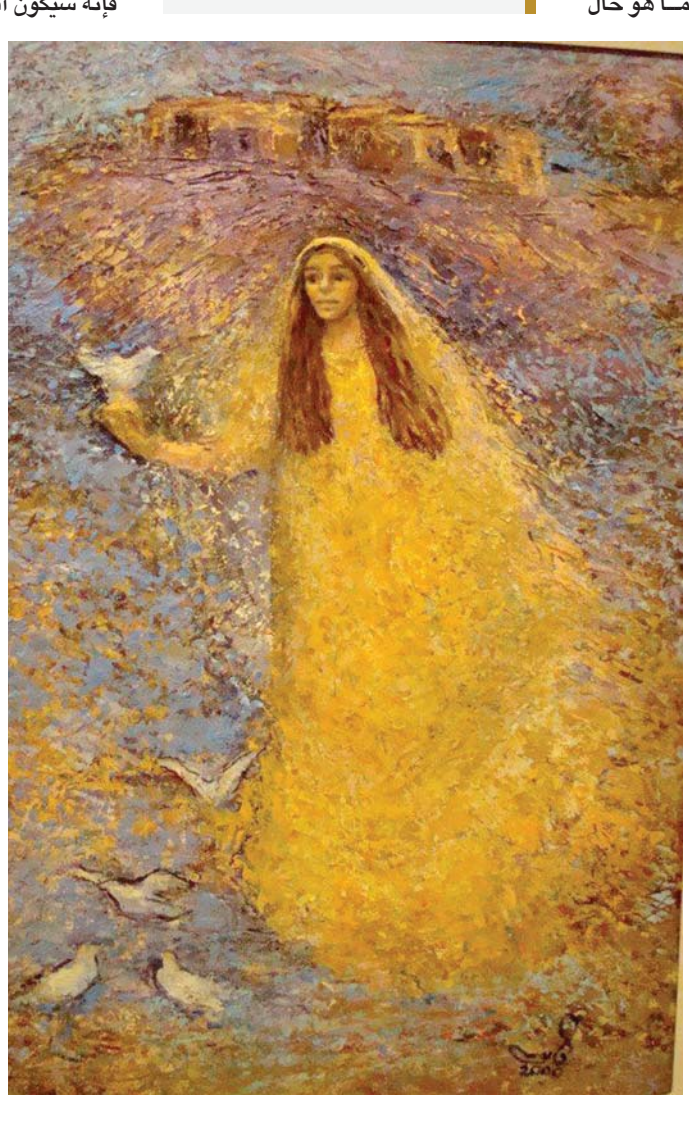

العرب الثقافي
كتب | مسرح | سينما | تشكيل

أليف شفق وتابوهات الشرق

التشدد الديني وغطرسة الحداثة

آن بنت سعيد الكندي
كاتبة من عمان

*لوحة: أسعد عرابي

❏ الدين والمرأة والسياسة، مواضيع ما إن تتطرق إليها إلا ويُشن عليك هجومٌ ضار، تختلف حدته من بلد إلى آخر في الشرقِ الأوسط. لم تترك أليف شفق تابوها شرقيا وبالأخص تركيا إلا وأدمته. أسالت دماء غزيرة في روايتها الأخيرة بنات حواء الثلاث بحجم الجروح العميقة التي أحدثتها. من يجرؤ على المناداة بإصلاح الإسلام؟ سمعنا عن تحديث الخطاب الديني، والمطالبة بمواكبة بعض قواعد الفقه لمتطلبات اليوم، لكن شفق تريد إصلاح الدين! فماذا قالت "كل الديانات، اليهودية والمسيحية... تعرضت إلى إصلاحات، إلا الإسلام فلم تدخل عليه أيّ تغيرات حتى يلائم عالم اليوم لأن النظرة إلى الكتاب المقدس والأحاديث مطلقة لا لبس فيها، فلذا إن التغيير محرّم، فكيف يمكننا أن نطور هذا الدين؟".

لماذا تطرح شفق هذا الجدل؟ الذي تم عبر ثلاث شخصيات اختارتها بعناية، وهي الآثمة (شيرين الإيرانية التي ثارت على الموروث الديني باعتباره مرادفا للقمع والتخلف)، والمؤمنة (منى المصرية ذات التوجه المحافظ الذي لا يقبل الجدل في ما تعتقده من مسلمات) وأخيرا المشوشة (التركية بيري) التي وقعت فريسة للصراع بين الموروث وبين الانفتاح، وأين؟ في واحدة من أهم معاقل الفكر التنويري؛ جامعة اكسفورد؟ مما أفسح المجال لظهور كل النقائض في الجدل، فبعد الهجوم على الدين تأتي لتذكر على لسان إحدى بطلاتها في الرواية "نحب الجدل في الدين تاركين قضايا جوهرية لنترك الإسلام في سلام، لنتحدث عن الفجوة بين مداخيل الأفراد، هجرة الأدمغة، صناعة الحروب، قرون من السلب والنهب جعل الغرب يصل إلى هذا المستوى من الثراء".

تيارات فكرية يموج بها الشرق الأوسط ما بين التشدد، والليبرالية، والعلمانية، حتى في أكثر المجتمعات تشددا، وهو أمر طبيعي لتطوّر المجتمعات وليس جديدا على المجتمعات المسلمة، فقد كانت الحركات التنويرية التي قادها الشيخ محمد عبده وجمال الدين الأفغاني في القرن التاسع عشر تمثل انعكاسا لهذا الصراع بين الموروث والتطور. وفي القرن العشرين، نجد ثورة الشيخ مصطفى عبدالرازق في كتابه "الإسلام وأصول الحكم"، وطه حسين في كتابه عن الشعر الجاهلي يمثلان مواجهة شجاعة للموروثات الجامدة (التابوهات) بإخضاعها للمنطق العلمي.

أما في وقتنا الحاضر، فقد اتخذ هذا الصراع شكلا أكثر عنفا مع ظهور الأفكار المتشددة التي تحاول أن تفرض رؤية ظلامية للدين، وتتخذ من العنف وسيلة للإرهاب لكل من يحاول إنقاذ الدين بالانحياز إلى تطورات العصر ومتطلبات التقدم. إن مواجهة التطرف والتشدد الديني يقابله وبشكل غريب أيضا عدم تشجيع التيارات الفكرية التنويرية، الأمر الذي يعني فقدان البوصلة الاجتماعية لمجتمعات الشرق الأوسط، والذي حتما سيصل إلى نقطة تتطلب من الحكومات أن تحسم أمرها مع أي من التيارات ستنحاز.

"الحقيقة عملة نادرة وقولها يثير البهجة" من هذه القاعدة وضعت أليف شفق يديها على تابوهات كثيرة غير عابئة بردود الأفعال. فتجرأت على ذكر المسكوت عنه "إن التعصب موجود في كل الديانات وعلينا أن ندينه ولا ننسى أنفسا، فمن يستطيع أن ينكر أن التطرف موجود في الشرق الأوسط أكثر من أي مكان آخر، والتحرش بالنساء حتى في الأماكن المقدسة، لماذا نشعر نحن النساء بالحرج ولا يشعر به من يتحرش بنا؟". إن كل ذلك غير مستغرب من شفق، فهي لم تبدأ نضالها النسوي في هذه الرواية، فقد نالت عن أطروحة الماجستير "الجندر والدراسات النسوية"، جائزة من معهد علماء الاجتماع.

شفق حاصلة على الدكتوراه في العلوم السياسية، فما هو تابوه السياسية الذي طرقته في الرواية؟ سلطت شفق الضوء على النقاش الدائر في الشرق الأوسط حين ذكرت على لسان أحد الشخصيات "وما هي الديمقراطية إلا جدل تافه في أوروبا، فحين تنطلق دول غير ديمقراطية كسنغافورة والصين لأن القرارات بحاجة إلى تنفيذ في سرعة البرق في عالم سريع الحركة، ففي الشرق الأوسط مُنح الجهلة صوتا متساويا يشبه إعطاء طفل صغير علبة كبريت، وبهذا يمكن للبيت أن ينهار، فالدكتاتورية تؤدي إلى النفع العام بعد الفشل الذريع الذي أحدق بالربيع العربي، فأي شخص عاقل ينبغي له أن يدرك فوائد القيادة القوية والاستقرار، تذكروا ما أقوله الآن سوف يعاد رسم خارطة الشرق الأوسط الواضح؛ إن القوى الغربية لديها خطة هائلة".

حين تقرأ هذه الرواية تتشكل في ذهنك خارطة بطرق متشابكة من المكونات الأساسية: المعتقدات، وأنظمة الحكم، لتلتقي عند عُقد الحياة الاجتماعية. كان اختيارها للشخصيات في غاية الذكاء بيري التركية بطلة الرواية لها أبوان يجسدان صورة جدل المجتمع التركي ما بين المسلم المتشدد (سلمى أم بيري)، والعلماني المتشدد (منصور أبوبيري) "منصور العلماني لم يحتمل مظهر زوجته الخارجي المتشددة دينيا فقد كان مظهرها تتويجا لكل ما يشمئز منه ويحتقره في الشرق الأوسط؛ جهل المتدينين وافتراض أن حياتهم الأفضل لسبب واحد لا غير هو أنهم ولدوا في كنف الثقافة وتقبلوا من دون تمحيص كل ما يلقنون فكيف تجدهم واثقين إلى هذا الحد بتفوق معتقداتهم في حين أنهم لا يعرفون إلا النزر اليسير، إن كانوا يعرفون حقا، عن الثقافات والفلسفات الأخرى وأساليب تفكيرهم، في حين ترى سلمى في زوجها منصور غطرسة الحداثويين العلمانيين وادعائهم الرنان بوضع أنفسهم فوق المجتمع وبأنهم متنورون في حين أنهم لا يعرفون إلا الشيء القليل عن ثقافتهم ودينهم".

أعزائي الكتاب: أعمالكم بحاجة إلى محرر أدبي

سلام سرحان
شاعر من العراق مقيم في لندن

❏ يمكن لرواية من أعظم الروايات إطلاقا مثل "مئة عام من العزلة" ألا تحقق حتى واحد بالمئة من العاصفة والنجاح والتأثير الذي أحدثته في مشهد الثقافة العالمية، لو لم تخضع لسلطة المحرر الأدبي.

باعتراف غابرييل غارسيا ماركيز فإن المحرر حذف ما يصل إلى مئة صفحة منها، إضافة إلى علاجات جراحية في صياغة الجمل والفقرات، لتتمكن في النهاية من الوصول إلى مئات الملايين من القرّاء بتلك الصيغة الساحرة دون مطبات أو حواجز.

هذه الحقيقة لا تقلل من أهمية ماركيز أو أي كاتب آخر، قد يغفل أو يستطرد في بعض التفاصيل البعيدة عن محور العمل، وقد تكون هناك فجوات في أدواته اللغوية والفنية، التي قد تعرقل تقديم العمل بأفضل صيغة ممكنة.

أشعر بالشفقة على معظم الكتاب العرب الذين يمكن لأعمالهم أن تحقق نجاحات كبيرة لو خضعت لسكين المحرر الأدبي، الذي يمكن أن يشذّ ترهل الجمل ويحذف الزوائد المرهقة ويعزز ترابط وانسياب العمل الأدبي.

صدمتني مرات كثيرة الفوارق الشاسعة بين بعض الروايات العربية والصيغة التي ظهرت بها عند ترجمتها إلى لغات أخرى، بعد أن تم شطب أجزاء كبيرة ونحت أسلوبها بصياغة حادة وجذابة.

صورة كواليس صناعة الكتاب اتضحت لي أكثر حين خضت تجربة التحكيم في جائزة سيف غباش بانيبال للأدب العربي المترجم إلى اللغة الإنكليزية، لأكتشف كيف يحرص المترجمون ودور النشر على تقديم الكتاب من أجل أن يصل إلى أكبر عدد من القرّاء.

كان علي أن أقرأ 18 كتابا باللغة العربية ومقارنتها بالترجمة الإنكليزية لأن الجائزة مخصصة للترجمة وليس للعمل الأصلي، ليتضح لي مأزق المترجم والناشر الإنكليزي مع العمل الأصلي.

صناعة المحرر الأدبي العريقة في معظم ثقافات العالم تستند إلى إرث طويل، وهناك محررون يطاردهم الكتاب ودور النشر لأن خبرتهم ولمستهم الساحرة يمكن أن تنقلا العمل إلى مدار آخر.

أولئك المحررون يتقاضون أجورا مرتفعة جدا ولا يقبلون على أي كتاب إلا إذا وجدوا أن فيه ما يمكن أن يستهوي أعدادا كبيرة من القرّاء. هم ليسوا كتابا بل خبراء في ذائقة القرّاء وسوق الكتاب ويعرفون العوامل الحاسمة في نجاح أو فشل الكتاب. لديهم أدوات صانع المجوهرات من مواد ثمينة لكنها خام.

المحرر الأدبي يختزل تاريخ صناعة الكتاب في تقديم تلك "السلعة" إلى المستهلك، والتي يمكن أن تصنع الفارق بين توزيع الملايين من النسخ أو أعداد ضئيلة.

جميع الصناعات تحتاج لخبرة في الاستجابة لحاجات المستهلك لتتمكن من الوصول إليهم، وإذا كان الكتاب والناشرون العرب لا يسعون إلى ذلك فالأجدر بهم ألا يكتبوا ولا ينشروا.

في الدول الغربية، حتى المحرر الأدبي الكبير حين ينجز كتابا فإنه يسلمه لمحرر آخر ينظر إليه بحياد وبعين القارئ والسوق والناشر ويعزل المسافة الملتبسة بين الكاتب وكتابه ويخضعها لمعايير الصناعة المجردة.

يعتقد معظم الكتاب العرب أن خضوع كتبهم لسكين المحرر الأدبي ينتقص من قدراتهم الإبداعية ويقاومون حذف أي كلمة من كتبهم، وهو وضع نكاد ننفرد به عن جميع ثقافات العالم.

تشعر أحيانا حين تقرأ بعض الكتب العربية وخاصة الروايات وكأنها غير معنية بتقديم نص لذيذ ممتع. وتضطر أحيانا لإعادة قراءة الفقرة عدة مرات لمعرفة ما الذي يريده الكاتب.

جمل طويلة تصل إلى مئة كلمة أو أكثر دون نقطة أو فاصلة وعدد كبير من الجمل الاعتراضية دون إدراك أن ذلك يرهق القارئ ويقطع أنفاسه، وهي بديهية بيولوجية علمية.

> تجرأت أحيانا وأخبرت عددا من أنجح الروائيين العرب بأن كتبهم بحاجة ماسة إلى محرر أدبي وجراحة عميقة لتتحول إلى أعمال ناجحة

ترهل في الصياغة دون مبالاة بأن القارئ يمكن أن يضيع في التفاصيل ويصيبه الملل فيفقد التواصل مع الكتاب ويرميه في سلة المهملات.

تجرأت أحيانا وأخبرت عددا من أنجح الروائيين العرب بأن كتبهم بحاجة ماسة إلى محرر أدبي وجراحة عميقة لتتحول إلى أعمال ناجحة. وقد فجر ذلك غضبهم في جميع الحالات وأفسد صداقتنا.

كلنا حاول بحرص شديد قراءة بعض الكتب، لكنه عجز عن ذلك بسبب ركاكة الأسلوب وضعف البناء وتشتت فكرة الكتاب في تفاصيل لا تخدم محور الفكرة. ولو تم تحريره بقسوة لكان جديرا بالقراءة.

يمكنني بثقة أن أقول إن غياب صنعة المحرر الأدبي هو المسؤول عن واقع أننا أمة لا تقرأ. ينبغي ألا نلوم الشعوب على واقع أن أغلب الناشرين العرب لا يستطيعون طباعة وبيع أكثر من مئات النسخ من أي كتاب أدبي، إلا في حالات استثنائية نادرة.

علينا أن نقول إن دور النشر بلا بوصلة وهي تختار إصداراتها عشوائيا وفي أحسن الأحوال استنادا إلى علاقاتها بأشخاص الكتاب. وهي لا تعرف طريقا إلى نشر كتب يمكن أن تستقطب أعدادا كبيرة من القرّاء.

الحقيقة المرة هي أن الكتاب ودور النشر أمامهم سوق تضم مئات الملايين من القرّاء المحتملين لكنهم لا يعرفون كيف ينتزعون انتباههم. ولو كان لدينا محررون أدبيون يعرفون كيف يجعلون الكتب تجذب القرّاء لتغير واقع أننا أمة لا تقرأ.

أساطيرنا والمسرح

عواد علي
كاتب من العراق

❏ تُعدّ الأسطورة، في المنظور الشعري، "دفئا للعقل والجسد"، فالشعب الذي لا أساطير له يموت من البرد، كما يقول الشاعر الفرنسي باتريس دولاتور دوبان، ذلك أن الطاقة التخيلية التي تكتنزها الأسطورة فيها ما يتيح التأسيس لبؤرة من العلاقات الإنسانية، إضافة إلى ما تولده في الإنسان من القدرة على الاستباق والاستشراف. ولعل هذا الدفء الذي تبعثه الأسطورة كان واحدا من أهم أسباب تكييف شعراء التراجيديا الإغريقية لملاحمهم وأساطيرهم في نحو ألف نص مسرحي تراجيدي، خلال مدة لا تزيد عن مئة عام، لم يصلنا إلا القليل منها.

ويُلاحظ أن هذه النصوص التراجيدية قد كيّفت المادة نفسها التي قامت عليها ملحمة الإلياذة، خاصة حرب طروادة، ومنجزات هرقل، ومآسي أوديب وسلالته، ومآسي أجاممنون وسلالته، على كثرة الأساطير التي تحفل بها الميثولوجيا الإغريقية.

وإذا قارنا بين التراث الأسطوري اليوناني والتراث الأسطوري الذي ابتدعه أجدادنا في العراق ومصر وبلاد الشام، نجد أن الثاني أعرق وأضخم من الأول، ويتسم بثرائه الدلالي والجمالي، وتعدد نصوصه (المتمحورة حول الخصب، والإخصاب، والحب، والزواج المقدس، والآلهة والبشر، والحضارة، والسلطة، والموت والبعث والحياة الأبدية، في إطار الأسئلة المقلقة التي رافقت الوجود البشري)، التي تشكّل ما يمكن تسميته بـ"الفكر الميثي".

وتشتمل رمزيتها على كل ما اهتزّ في دخائل مبتدعيها من المعاني الحيوية المهمة. لكن رغم ذلك لم يكيّف كتّاب المسرح العربي، خلال قرن ونصف القرن من عمر هذا المسرح، ملاحمهم وأساطيرهم إلا في نصوص قليلة، وبصيغ درامية يمكن تحديدها في ثلاثة أنواع: يتمثل الأول بالنصوص التي كيّفها كتّابها للمسرح من دون أن يحدثوا تغييرا في أحداث النصوص الأسطورية، أو شخصياتها، أو الرؤى التي تحكمها. أي بمعنى أنهم أضفوا عليها طابعا مسرحيا فقط من خلال التقنية، ولم يمسوا نواتها الأساسية، أو بُناها الدلالية.

ويتمثل الثاني بالنصوص التي كُيّفت الأساطير بتأويلها وفق رؤى معاصرة أحدثت تغييرا في أحداثها، أو شخصياتها، أو نواتها الأساسية، أو منظوراتها، لتتناغم ومشاغل عصرنا الحالي، انطلاقا من منظومة الأفكار والأيديولوجيات والتصورات التي يحملها هؤلاء الكتّاب. أما النوع الثالث فيتمثل بالنصوص التي انتزع فيها كتّابها الشخصيات الأسطورية من محاضنها وزرعوها في الحاضر، وافترضوا لها وجودا ومواقف وأفكارا متخيلة أو وضعوها في فضاءات معاصرة غريبة عليها، وزجوها في صراعات مع شخصيات معاصرة.

ويمكن القول إن الشاعر خزعل الماجدي من أبرز الكتّاب العرب الذين أنتجوا نصوصا مسرحية مكيّفة عن التراث الأسطوري الرافديني، في سياق اشتغاله البحثي على الميثولوجيا والأديان والسحر.

وقد ذاعت شهرة هذه النصوص، التي صدرت مع نصوص أخرى له في مجلد كبير ضمن أعماله الكاملة، في أرجاء الوطن العربي، وحضيت باهتمام وحضور واسعين في العديد من المهرجانات المسرحية العربية والدولية، وكُتبت عنها دراسات ومقالات ورسائل وأطروحات جامعية كثيرة، أجمع أغلبها على أنها "نصوص مفتوحة" اتخذت من الينابيع والمصادر الدينية ونصوص التصوف والإشراق والغنوص رافدا جرى امتصاصه لإظهار رموز لها وظائف جديدة من خلال حذف وحدات نصية أو إعادة تركيبها وتسليط الضوء على وحدات أخرى لم تكن مقروءة سابقا، وإضافة "موتيفات" أو ثيمات جديدة إليها لإثرائها دراميا ودلاليا.

رواية خادعة

حكاية لا تقول شيئا ومع ذلك فهي تقول كل شيء

سعد القرش
كاتب من مصر

أبطاله ليسوا ابطالا واحداث روايته ليست أحداثاً.. لكن القارىء يلهث وهو يقرأ

❏ في روايته "صباح ومساء" لا يفاجئ الكاتب النرويجي يون فوسه قارءه بشيء، فلا يذكر كلمة أو مصطلحا غامضا، ولا يستعرض بفائض معرفة بعالم الصيادين، ولا يورد تفاصيل يجهلها أي قارئ قد يقول حين يفرغ من الرواية إنها لا تقول شيئا، ولكن هذا القارئ الذي لن تغادره الرواية سيغمض عينيه، ويستعيد الأحداث والمشاهد منذ ما قبل ولادة يوهانس حتى وفاته، ويتأكد له أن هذا العمل الماكر يقول كل شيء، ويغوص في أعماق النفس البشرية، بتلقائيتها وتعقيدها، ويتقصى فلسفة الوجود بين لحظتيْ "صباح ومساء"، بين صدمة استقبال دنيا مجهولة ثم ذهاب إلى لا مكان أكثر غموضا، إنها ثنائية الميلاد والموت، شروق الحياة وغروبها.

لا يدّعي يون فوسه حكمة ما يقولها على لسان أي من شخوص الرواية، ولا يخبئ شيئا لكي يفاجئ به القارئ ويضيء له مساحة معتمة، ولكن الدهشة تلازم القارئ، وهو يلهث في متابعة أحداث ليست أحداثا، وأبطال ليسوا أبطالا، فهي أحداث لا تختلف عن تفاصيل الحياة، وهم شخوص يشبهون كل من نراهم ونصادقهم أو نقابلهم مصادفة ويعبرون حياتنا ويمضون. لا جديد إذن إلا في السرد الخادع والآسر في بساطته وسحره، وإثارته الناعمة لأسئلة الحياة والموت والفقد والحب والصداقة واللهو والبراءة من دون طرح أي أسئلة، وإنما عبر دراما تتسم بالدفء الإنساني، ولا تتوسل التعقيد وإرباك القارئ الذي يخوض تجربة قراءة لا يعوقه شيء إلى أن يفاجأ بالموت الفعلي لبطل الرواية يوهانس، والقس ينثر التراب على نعشه، أما ابنته الصغرى سيجنه فتستعيد غرابة أطوار أبيها وعناده وطيبة قلبه.

لا أسى يصاحب موت يوهانس الذي تبدأ الرواية بلحظات ما قبل ميلاده، والقابلة العجوز آنا توجّه أباه إلى ما يجب أن يعمله لكي يساعدها في عملية الولادة. الأب أولاي لا يجيد التصرّف وهو يستقبل ميلاد ابنه يوهانس، كما تربكه الحياة فلا يطمئن إلى يقين، ويحمد الله أن ذهب اليوم بابنته ماجدا إلى أخيه، وهو في طريقه لإحضار القابلة. أولاي يحمد الله، وهو "على يقين بأن الشيطان يحكم العالم بقدر ما يحكمه الله، ففي معظم الأحيان يحكم العالم إله أدنى أو حتى الشر نفسه، ولكن ليس على الدوام، لأن الله الرؤوف يظل هنا أيضا". هكذا يتذبذب الرجل بين إيمان بوجود إرادة للشيطان وحلول روح إلهية في كل شيء، وأحيانا يؤمن بأن صراعا يجري بين هذه القوى الخفية، يفكر في ذلك وهو يتأمل ابنه يوهانس، الذي منحه اسم جده، وفي نهاية الرواية ستكون لحفيدته سيجنه ابنة يوهانس بنت اسمها ماجدا أيضا، تحمل اسم شقيقة يوهانس. أسماء يتوارثها خلف عن سلف، في قرية صيادين نرويجية، أهلها يرثون أيضا حياة رتيبة، ومن هذه الرتابة استطاع روائي بارع أن يصوغ عمله في لغة فاتنة، تبدو عفوية، وترجمها بالروح نفسها من اللغة النرويجية إلى العربية كل من شيرين عبدالوهاب وأمل رواش، وصدرت الترجمة عن دار "الكرمة" في القاهرة.

تفتح الأم عينيها وتنظر إلى الوليد، فيقول الأب أولاي إن ابنه سيكون صيادا "مثل أبيه تماما"، وتعلق القابلة العجوز "هذا شيء طيب"، فيقول الأب "نعم نعم". تطمئنه القابلة أن ابنه سليم البدن، فيقول "وسيكون صيادا، نعم"، وترد القابلة "هكذا سيكون". ويبدأ الفصل التالي وقد صار يوهانس صيادا منذورا لحياة قاسية تندر فيها رفاهية الاختيار، لم يكن على وفاق مع أبيه أولاي، وهو الآن راض، ولكنه وحيد ومحبط، تثقل سنه المتقدمة ذكرياته مع زوجته إرنا، وقد رحلت فجأة، وتركت له سبعة أطفال، انشغلوا بأبنائهم، وإن كانت سيجنه صغرى بناته تمر عليه يوميا لتطمئن على أحواله. ويمضي يوهانس أيامه الأخيرة في البحث عن أحد يشغل معه ساعات النهار، ولا يكون إلا صديقه بيتر فيخوضان معا جولات صيد، وفي إحداها يقول بيتر إن "البحر لم يعد يريد يوهانس الآن". يتأمل يوهانس كلام صديقه، ويقدر أن البحر الضنين ليس وحده الذي لا يريده، فحياته خلت من الجدوى وافتقدت المعنى، ولم يعد يشعر بطعم شطيرة جبن الماعز التي كان يحبها، وهي الآن "لا طعم لها على الإطلاق، لا هي بالحلوة ولا هي بالمرة".

يجلس الصديقان على حافة الماء، ويشعلان السجائر، وكان بيتر يريد أن يقص شعره، ويراه يوهانس بالفعل قد صار رماديا وطويلا يهبط إلى منكبيه، ويذكّره بأنهما وفرا نقودا كثيرة منذ بدأ كلاهما يقص لصاحبه شعره، قبل أربعين سنة كما يقدر بيتر، أما يوهانس فيرى أنها خمسون سنة. ويلمح يوهانس بريقا في عيني بيتر، ويتأمله من جديد وقد نحل جسده، ولم يكن شعره أشيب وطويلا هكذا من قبل، ويخبره بأنه لم يقص له شعره من وقت طويل، وأنه سيمر عليه غدا ليقصه. يفكر يوهانس ويجفل، ويتساءل عما إذا كان بيتر "الماثل أمامه حيا يرزق، أوَليس بيتر قد مات؟ ألم يمت بيتر منذ أمد بعيد؟ نعم لقد مات، ولكن أليس بيتر هو من يقف هناك يجر قاربه؟ نعم يستطيع يوهانس أن يرى ذلك بأم عينيه، بيتر بالتأكيد حي، لا شك في ذلك" (ص 70). ويرى أن يخرج من هذه الحيرة بسؤال بيتر عما إذا كان ميتا أم حيا؟ ثم يتردد، وتحدثه نفسه بأن هذا سؤال لا يليق.

في هذه المسافة البينية الغائمة تمضي بقية أحداث الرواية التي تبلغ 147 صفحة، فلا شيء يؤكد حياة بيتر أو موته، وينشغل يوهانس عن هذا السؤال بصيد المزيد من الأسماك، ومشاغبة صاحبه، ويقضيان وقتا طيبا مع آنا بيترسن الخادمة لدى عائلة أسلاكسن، وتتأبط ذراع يوهانس، وتشكره على أنه أرسل إليها خطابا رقيقا، ويلاحظ بروز بطنها قليلا، ثم تذهب تاركة الصديقين في حيرة وتساؤل عن ذلك الوغد الذي جعل "الفاتنة حاملا".

ويقطع الأسئلة قدوم فتاتين تقضيان معهما وقتا على الشاطئ، ثم يقرر يوهانس العودة إلى البيت، عودة تخلو من البهجة؛ لأن زوجته إرنا ماتت قبله، ولكنه لا يوقن بذلك، وسيتأكد من حكاية موتها حين يدخل البيت. ثم يسمع وقع خطى إرنا، ويتبادلان الحديث عن الريح والبحر، وتقول له "فلتمسك بيدي"، ويشعر ببرودة يدها الخالية من أي دفء، ويمشيان متشابكي اليدين، وتعده بصنع القهوة حين يصلان إلى البيت، ويفرح بفكرة احتساء قهوة طازجة مع سيجارة، "ويلتفت يوهانس نحو إرنا فلا يستطيع أن يراها في أي مكان"، ويتجدّد حزنه مرة أخرى؛ "إنه لشيء مريع أن يكون عليه البقاء وحيدا مرة أخرى، مريع حقا"، ولا يحتمل البقاء في بيت لا يصلح للسكنى، وعند الخروج يرى إرنا أمام المطبخ، تنصحه بتوخّي الحذر عند البحر، ويجيبها "سأفعل"، تقول إنه لا يستطيع السباحة، ويردّ بأن هذا شيء سيء.

ويخرج يوهانس فيرى سيجنه تُقبل نحوه، ولا تنتبه إليه، يناديها ولا تجيب، ثم "تخترقه وتنفذ عبر جسده فيشعر بدفء جسدها"، وتشعر سيجنه بجسده باردا، وتفكر "هل مات هو أيضا وهو نائم"، ولماذا ترك البيت غير مضاء؟ وهو يراقبها، ويقبل عليها ويكلمها ولا ترد.

كان في طريقه إلى بيتر ليقص شعره، ويفكر في الرجوع إلى البيت؛ فلا بد أن ابنته آتية لزيارته، ويمكن تأجيل قص شعر بيتر. وتفتح سيجنه الباب، وتشعل المصباح، وتنادي أباها فلا يجيب، وتتناول يده وهو في سريره، وتلمس برودة جبينه ويده، تخاطبه ولا يرد، "الآن إذن قد مت يا أبي"، وتتصل بالطبيب، وتتذكر أباها وهو يمسك بيدها، ويقطعان الدرب، ويوهانس يفكر في قدوم بيتر ليقص شعره كما اتفقا، ويصل بيتر، ويستعد يوهانس لقص شعره، فيقول "لا لن تستطيع قص شعري بعد الآن يا يوهانس"، ويرد "لا أدري"، فيقول بيتر "أنت الآن ميت الآن يا يوهانس"، ثم يشرعان في قطع الدرب، ويخبره بيتر بأنهما سيرحلان إلى مكان آخر، ويؤكد بيتر لصديقه أنه مات صباحا، "ولأنني كنت صديقك الأثير، فقد بعثوا بي كي أحضرك"، لكي يذهبا إلى مكان لا اسم له. يسأله عما إذا كان هذا المكان خطرا؟ فيقول إن "خطر" كلمة، ولا يوجد كلام حيث نحن ذاهبان. "هل يؤلم؟"، فيجيب بيتر "لا توجد أجساد حيث نحن راحلان، ومن ثم لا ألم هناك".

> «صباح ومساء».. رواية تقرأ بعين الروح، وينصت إليها كمقطوعة موسيقية في مديح الحياة، والتدرب على استئناس الموت ومسامرته

من غير أن يصعدا إلى متن قارب بيتر، يجدان نفسيهما على متنه، ولا يسمعان ضجة المحرك، ولا يشعران ببرد أو خوف. ويسأله يوهانس: هل إرنا هناك؟ ويقول بيتر: كل شيء تحبّه كائن هناك، بمن فيهم أخته ماجدا التي ماتت قبل أن تبلغ، ويمضي بهما القارب إلى هناك، ويرى بريق عيني إرنا، "وعندئذ لم يعد بيتر مرئيا"، ولكنه يطمئن صديقه: نعم نحن على دربنا.

"صباح ومساء".. رواية تقرأ بعين الروح، وينصت إليها كمقطوعة موسيقية في مديح الحياة، والتدرب على استئناس الموت ومسامرته.

رف الكتب

رام الله العثمانية

❏ يعود الكاتب والباحث الفلسطيني سميح حمودة، في كتابه "رام الله العثمانية"، أكثر من خمسمئة عام إلى الوراء، ليدخل مدينة رام الله من بواباتها العثمانية، في دراسة تؤرخ لتكوينها الاجتماعي وعائلاتها ومؤسساتها ومحاكمها الشرعية. ويمهد لدراسته بمقدمة تاريخية يؤكد فيها أن منطقة رام الله شهدت استيطاناً بشرياً منذ الفترة الكنعانية، وثمة دلائل أثرية تشير إلى وجود مثل هذا الاستيطان في منطقة "ردانة" القريبة من موقع رام الله الحالي، وقد دلت الحفريات الأثرية منتصف القرن الماضي على وجود ثلاث مراحل استيطان في العصور البرونزية والحديدية والبيزنطية.

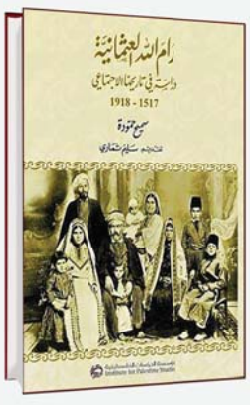

ويسبر حمودة، في الكتاب الصادر عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية، غور طبيعة العلاقات الاجتماعية لرام الله في المرحلة الممتدة بين عامي 1517 و1918، منذ حملة نابليون حتى الحرب العالمية الأولى، مبيناً أن الحياة في رام الله خلال العهد العثماني امتازت بالبساطة، وحكمتها القيم القبلية والعشائرية العربية، وقامت بين سكانها علاقات تعاون.

التأريخ العربي وتاريخ العرب

❏ يضمّ كتاب "التأريخ العربي وتاريخ العرب: كيف كُتِب وكيف يُكتب؟ الإجابات الممكنة"، الذي يقع في 1056 صفحة، 32 بحثاً محكّماً قدّمها مشاركون في المؤتمر الثالث للدراسات التاريخية الذي أقامه المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات في بيروت في الفترة من 22 إلى 24 أبريل 2016، ليعرفوا إنْ كان ثمة تاريخ للعرب وحدهم، أو تاريخ واحد للعرب، وليبحثوا في مسألة التحقيب التاريخي العربي.

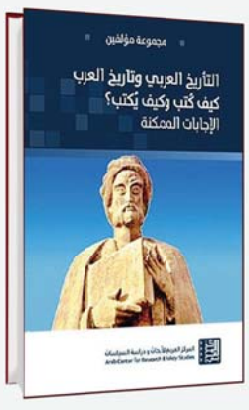

يقدّم خالد زيادة مدخلاً للكتاب بعنوان "استخدام الوثائق في كتابة التاريخ العربي"، يؤكد فيه أنّ الوثائق تُبطل استناد التاريخ إلى أخبار الإخباريين أو أصحاب التراجم، بل تسنده إلى تراكم المعطيات التي تنقل التاريخ من سرد للوقائع والأخبار إلى مواجهة مع صفحات متحركة ومتطورة تتضافر فيها مجموعة من المعطيات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية.

يحتوي الكتاب على ثلاثة أقسام، يتناول القسم الأول "كتابة التاريخ العربي حقلاً وتحقيباً ومنظوراً"، ويتناول القسم الثاني "مسائل واتجاهات في التواريخ الوطنية.

ما بعد تزوير التاريخ

❏ يفنّد الكاتب الأردني الدكتور فايز رشيد، في كتابه "ما بعد تزوير التاريخ: رداً على نتنياهو"، الصادر عن دار دجلة في عمّان، منذ صدور كتابه "مكان تحت الشمس" عام 1997 حتى عام 2017، بالمصادر المختلفة، والوثائق التاريخية العديدة، من أضاليل وأساطير تزويرية، منها مثلاً "أن الأردن جرى اقتطاعه من الوطن اليهودي"، و"أن العرب لا تنفع معهم سوى لغة القوة"، إضافة إلى كل المقولات والأكاذيب الصهيونية التي جرى اعتمادها من أجل بناء دولة "إسرائيل"، التي يخطط نتنياهو، كما كل القادة الإسرائيليين، لأن تكون "دولة يهودية خالصة ونقية"، بما يعنيه ذلك من تداعيات ترانسفيرية (خطط ترحيل الفلسطينيين العرب أصحاب الأرض من وطنهم).

من العناوين التي يتضمنها الكتاب: "الفساد في إسرائيل، وعائلة نتنياهو تحديداً"، "الغيتو" الذي انطبع في أذهان الناس بأنه مرتبط باليهود، في حين أنه ليس خاصاً باليهود، و"نتنياهو واليهود وعقلية الأسوار". كما يبين رشيد، في الكتاب، الدور الإسرائيلي في نمو التنظيمات الإرهابية المتطرفة، ويتطرق إلى حقيقة التحولات السياسية- الاجتماعية الإسرائيلية على مدى يقارب السبعة عقود.

بستان الأنوثة

فنانات ينتصرن للمؤنث في «غاليري الكحيلة» بالقاهرة

شريف الشافعي
كاتب مصري

❏ ماذا تعني المرأة فنيّا؟ يجيب الفنان: هو نفسه الذي تعنيه المرأة حياتيّا، إنها باختصار وبساطة: تعني العالم.

أن تأخذ الألوان زينتها، فهذا تأويله الأبرز أن ترتدي إهاب الحقيقة وتاج الأنوثة، فلربما الصورة التي لا تؤنَّث لا يُعوَّل عليها، ولربما تاء التأنيث هي الوعاء المفتوح الذي فيه نقطتان: بداية الوجود، ونهايته.

المرأة، مفتاح الخصوبة والأمومة والتكوين والميلاد والنماء، خميرة التشكيل التي لا ينقطع أثرها النشط في الكائنات والموجودات، اتصال الأقدام ببطن الأرض والفروع السامقة بقلب السماء.

هكذا يثير المعرض التشكيلي الجماعي "امرأة تعني العالم"، المنعقد حاليا في القاهرة، إشكالاته حول ما تعنيه المرأة فنيّا وحياتيّا، من خلال أعمال لافتة لتشكيليات متمردات يرين أن المرأة هي العالم.

> المعرض الجماعي يفصح عن جرأة في طرح البورتريه غير التقليدي وفتح مساحات واسعة للتجريب والتجريد وتحرير المرأة من إطارها النمطي وتمثلاتها الجسدانية

يحتضن غاليري الكحيلة بحي المهندسين بالجيزة، القريبة من القاهرة، المعرض الجماعي "امرأة تعني العالم" خلال الفترة من 9 إلى 19 إبريل الجاري، بمشاركة مجموعة من التشكيليات من أجيال مختلفة، جمعتهن الرغبة في الانتصار للأنوثة وإبراز قوتها وقدرتها وتمكينها من توصيل كلمتها وبث صوتها، بالقدر نفسه الذي تنشر فيه عطرها الناعم ووهجها الأخاذ.

"امرأة تعني العالم"، عنوان دال على أن الألوان ذاتها التي تأخذ زينتها عند كل لوحة وهي تصور المرأة هي أيضا التي تعري العالم وتفضح سوءاته وتفك شفراته الخفية من خلال تمثيل الوجوه والملامح والسمات النفسية والمشاعر الداخلية للنساء كبوابات سحرية للعبور إلى المعاني العميقة.

ولأنه ليس أقدر من المرأة على رسم تجاربها، فقد اضطلعت التشكيليات أكثر من الفنانين الرجال بمهمة استلهام المرأة كتيمة تعبيرية خصبة تسع الوجود، مع جرأة كبيرة في طرح البورتريه غير التقليدي، وفتح مساحات واسعة للتجريب والتجريد وتحرير المرأة من إطارها النمطي وتمثلاتها الجسدانية والغرائزية.

قماشة فنية خصبة

من أبرز الفنانات المشاركات في معرض "امرأة تعني العالم": وفاء النشاشيبي، بريت بطرس غالي، دينا فاضل، حنان يوسف، فتنة جلال، أماني شكري، زيزت سلطان وأخريات. ويثري هذا التعدد فكرة المعرض، بالانفتاح على تيارات ومدارس فنية مختلفة تتعدد آليات تفاعلها مع قماشة المرأة.

قوة المرأة هي ترجمة مباشرة لقوة ألوان الفنانة وفاء النشاشيبي، التي اختارت التفرغ لدراسة الفن اعتبارا من العام 1992، حيث حصلت على دورات تدريبية في الرسم والتلوين بمدارس الفنون التشكيلية، كما مارست التشكيل من خلال خامات الفخار والخزف.

تأتي الألوان المباشرة القوية في تجربة وفاء النشاشيبي للتعبير عن مشاعر الإنسان المتأججة ومعاناته، بغض النظر عن اختلافاته وتنوع بيئته وتحدياته، وتمثل المرأة لدى الفنانة حالة من السيولة والتوقد والتفجر الدائم للطاقة الخلاقة، والقدرة على التجدد، وملء الفراغ بعناصر الحياة الإيجابية، في البر والبحر والجو.

ومن ضمن ما تلجأ إليه وفاء النشاشيبي من الحيل الفنية، تقنية الإيهام، حيث المزج بين الحقيقة والخيال، والأجساد والأشباح، إذ تتخذ المرأة صفات أسطورية تجعلها غير بعيدة الصلة عن عروس البحر وجنية الحكايات الشعبية والنداهة والساحرة، بما يزيد طاقتها حيوية ويمنحها وجها من وجوه الخلود.

ويمنح التجريد الفنانة بريت بطرس غالي مساحة أرحب للكشف عن جوهر الأنوثة والمعاني الكامنة في جوانيات المرأة، حيث المشاعر الداخلية والانفجارات المتقدة التي تشمل بالتة الألوان كلها، خصوصا أحمرها وبنيها وأزرقها، ورماديتها المتدرجة، فحيثما تكون المرأة يكون حريق التخلق، ويكون المخاض، والفوران، وتكون الأدخنة.

تحرر الفنانة بريت بطرس غالي المرأة أيضا من ضعفها المزعوم، فتجسدها عادة في عنفوانها واكتمالها لا في لحظات انكسارها كالمعتاد، وتتخلص من ميراث التعبير عن المرأة بوصفها جسدا غرائزيّا أو شجرة مثمرة بالرغبة، كما تتحلل ملامح المرأة لديها من الطابع المحلي أو السمات الإقليمية.

وقد ولدت بريت بطرس غالي ودرست النحت والرسم في النرويج، وأقامت أول معرض لها في باريس في العام 1965، وتجاوزت معارضها 35 معرضا خاصّا في سائر أرجاء العالم، ونالت جوائز دولية عدة، منها أرفع وسام في النرويج "سان أولاف" في 1996، لإسهاماتها المتميزة في الفن المعاصر.

أنوثة الطبيعة

أما الفنانة دينا فاضل، التي ولدت في بريطانيا في العام 1982 لأبوين مصريين وأقامت العديد من المعارض داخل مصر وخارجها ونالت مجموعة من الأوسمة والجوائز، فإنها تفتح القماشة النسوية المتسعة على كائنات الطبيعة، بوصف المرأة أيقونة تلك الكائنات.

الأزهار، أوراق الأشجار، الأصداف، السحابات، الأمواج وغيرها، دوال أنثوية بامتياز، مثلما أن المرأة دفتر عملاق تنطوي صفحاته اللانهائية على الغابات والصحراوات ومنابع الأنهار ومنابت الأشجار وأوكار الطيور.

وتستخدم الفنانة فتنة جلال الخامات المتنوعة في لوحاتها، وفي بورتريهاتها غير النمطية، تتداعى الرموز والدلالات، وربما الكلمات، من العيون والشفاه، وتقترب الملامح أحيانا من الوجوه الأفريقية، حيث الحدة والصراحة والوضوح، وتكثيف التعبير الانفعالي كأنها تصوّر بؤرة ضوء.

وتقترح الفنانة حنان يوسف في تشخيصها للجسد الأنثوي خرائط تفصيلية لجغرافيا المرأة تتجاوز أبعادها الفيزيائية إلى مدارات الروح المحلقة وهالات الضوء المصاحبة، وهي صاحبة رصيد في هذا السياق، حيث قدمت من قبل معرضا فرديّا بعنوان "ألوان البهجة" بلغت فيه المرأة ذروة شفافيتها.

زيزت سلطان: المرأة حقيقة العالم

وتعيد التشكيلية زيزت سلطان المرأة إلى جذورها الحضارية، وتستعيد تاريخها الممتد عبر العصور، إذ تجسدها في بيئات وأزمنة مختلفة، فيمنحها هذا التعدد معنى أنها هي حقيقة العالم مهما تغيرت الأمكنة وتوالت الأزمنة. وتحيط الفنانة أماني شكري نساءها بزخارف ونقوش ورسوم وطلاسم، خالعة على المرأة وأثوابها عناصر تراثية وتصاوير ذات دلالات وإيقاعات خاصة، تعرفها الحكايات الشعبية والذاكرة البصرية، بما يثري حضور المرأة ويعمقه، فتبدو كأيقونة حياة بسيطة، قابلة للتجدد.

"امرأة تعني العالم"، معرض تتسع رؤيته من تشخيص المرأة الكائنة إلى محاولة اقتراح عالم جديد لانهائي بأصابع نسوية بارعة تعي كينونتها.

وفاء النشاشيبي: تقنية الإيهام

حنان يوسف: الجسد الأنثوي

بريت بطرس غالي: جوهر الأنوثة

ليس مجرد قلم

معرض باريسي يحتفي بفنون القلم «بيك»

عمار المأمون
كاتب من سوريا

❏ كلنا استخدمناه في أحدى مراحل حياتنا، وخصوصا في المدرسة، والبعض منا، ما زال يستخدمه إلى الآن، يكتب به، يرسم به أو حتى يخربش، هو قلم البيك– Bic الفرنسي، الذي بدأ إنتاجه عام 1950، ويعتبر من أشهر أنواع الأقلام الشعبية، وحتى إن لم نعرف اسمه، إلا أن شكله الشفاف ورأسه المدبب مألوف للجميع، وهو الخيار الأول لكل من يخطر بباله أن يشتري قلما.

> يمتلك قلم البيك، الكثير من الدلالات الثقافية والتاريخية، فهو منتج شعبي متاح للجميع، رخيص الثمن وقابل للاستبدال بسهولة، ما جعله قادرا على نزع الهالة المحيطة بالقلم الثمين

قلم البيك، ليس مجرد قلم "حبر ناشف" حاد الحواف، إذ تم اعتماده ضمن المجموعة الدائمة في متحف الفن المعاصر في نيويورك، تحت تصنيف العمارة والتصميم، ويعتبر واحدا من مجموعة "تحف متواضعة" التي يمتلكها المعرض، وهذا العام يستضيف مركز المئة وأربعة في باريس، معرضا مميزا، تحضر فيه أعمال أكثر من ثمانين فنانا، المشترك بينهم استخدامهم لقلم البيك، فالمجموعة التي تمتلكها شركة بيك، تحوي أكثر من 150 عملا، أُنتجت منذ الخمسينات حتى الآن، تستخدم فيها أقلام ومنتجات الشركة المتنوعة بوصفها وسائط فنية ومواد لصناعة العمل الفني، سواء عبر الاستخدام التقليدي لها أو ذاك الذي يقترحه الفنان.

الأعمال في المعرض، أشبه بنتاج مختبر فنيّ، يسائل فيه الفنانون القلم، بوصفه الوسيط الأبسط المستخدم لصناعة العمل الفنيّ، إذ نشاهد تخطيطات بقلم البيك لفنانين مشاهير، كتلك التي تعود لألبيرتو جياكوموتي، والتي يمكن اعتبارها دراسة لبورترية شخصية، إلى جانب تخطيطات أخرى لرينية ماغريت وجورجيو كولومبو وغيرهم، وعلى النقيض نرى أعمالا لا يقتصر فيها استخدام القلم على الرسم، بل توظف أجزاءه ويُعاد تشكيل مكوناته، لتحضر كجزء ضمن العمل الفنيّ، كما في لوحة للفنان هشام برادة، والتي يستخدم فيها حبر القلم لتكوين مساحات لونيّة مختلفة.

نشاهد في المعرض أيضا، التقنيات المختلفة لاستخدام قلم الحبر، كالتنقيط، الذي نراه في لوحة للفنان تشارلز لايب بيتون، الذي يتلاعب بالكثافة اللونيّة عبر توزيع النقاط المختلفة على الورقة، لنرى أمامنا منظرا طبيعيا، تتداخل فيه الأضواء مع الظلال كلوحة انطباعيّة، بعكس ما نراه في لوحة للفنان تيمي ذاكيد، والتي نشاهد فيها بورتريه واقعي مصنوع بحرفيّة عالية تحاكي الواقع.

يحوي المدخل إلى المعرض، عمل تجهيز ضخم للفنان النمساوي هيربيرت هينترغر، والذي نشاهد فيه ما يزيد عن ألف قلم مثبت على الجدران من حولنا، لتحيط بنا الأقلام الشفافة ورؤوسها الزرقاء من كل الجهات، والجدير بالذكر أن الكثير من أعمال هينترغر تعتمد على أقلام البيك التي يوظفها عضويا ضمن منحوتاته.

يمتلك قلم البيك، الكثير من الدلالات الثقافية والتاريخية، فهو منتج شعبي متاح للجميع، رخيص الثمن وقابل للاستبدال بسهولة، ما جعله قادرا على نزع الهالة المحيطة بالقلم الثمين، الذي لا يجوز أن نفقده، إذ يصفه أومبيرتو إيكو، بالمثال الفريد على الاشتراكية، فقد ألغى كل حقوق التملك وأشكال الاختلاف الطبقي. وهذا ما يحاول المعرض أن يخبرنا به، أن القلم في متناول الجميع، سواء كان طفلا يتعلم الكتابة أو فنانا يجهّز للوحته القادمة.

يُذكر أن شركة بيك، بدأت جمع وإنتاج مجموعة الأعمال الفنيّة هذه، منذ نهاية التسعينات، احتفاء بمارسيل بيك الذي صمم واخترع القلم، ويقول برونو بيك، رئيس الشركة الحاليّ، إن هذه المجموعة تسمح بالتعرف على مدى تأثير منتجات شركة بيك على المستهلكين، وقدرتها على غواية الفنانين من كل أنحاء العالم، سواء استخدموها كأداة للعمل الفنيّ أو كمصدر للإلهام، والأهم أن هذه المجموعة، تعرض علنا للمرة الأولى، وهي مقسمة في المعرض حسب الموضوعات إلى: " فنانين من التاريخ، معرض للبورتريهات، التصميم والموضة، والعمارة المتخيلة"، والتي يعكس كل منها، استخداما مختلفا لمنتجات الشركة.

التلاعب بالكثافة اللونية

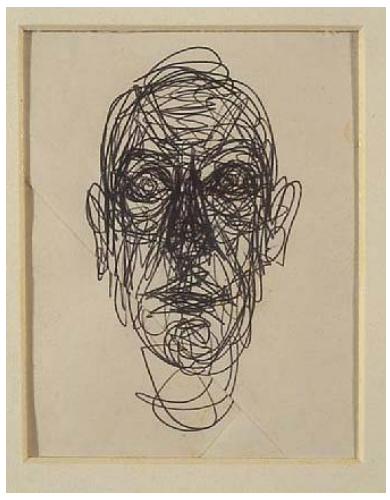

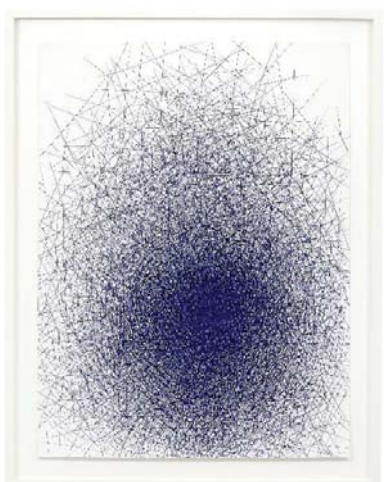

ثلاثة أعمال من معرض اشبه بمختبر

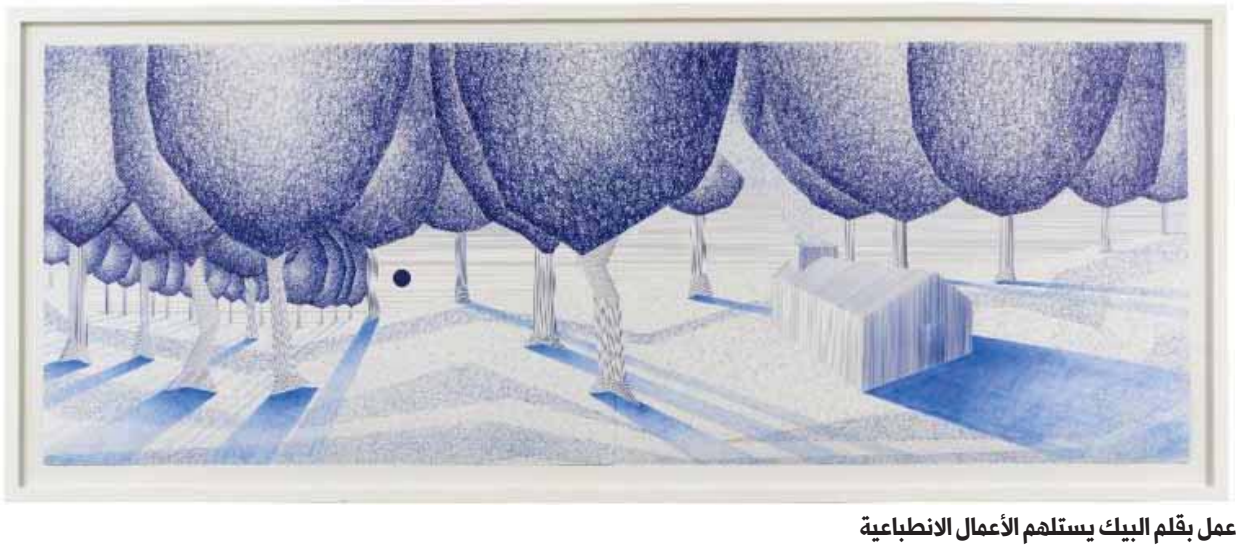

عمل بقلم البيك يستلهم الأعمال الانطباعية

كائنات الجوع والحديد

الفنان سبوداه غوبتا يستحضر تفاصيل الهند في باريس

❏ تستضيف مؤسسة العُملة في باريس معرضا للفنان الهندي سبوداه غوبتا، المشهور بمنحوتاته الضخمة، التي يكوّنها باستخدام المواد اليومية المتداولة في الهند، خصوصا آواني الطبخ المعدنية، التي تستخدم لصناعة الطعام ونقله من مكان إلى آخر، إذ يجعل منها صروحا تشهد على الحالة الاقتصادية لبلاده، خصوصا أن المطبخ هو المساحة الحميمية التي تربط الفرد بالطعام، والفضاء الأساسي كي يستمر الشخص بالحياة، وأول ما يتأثر بالمتغيرات الاقتصادية في الهند ملايين الفقراء، الذين لا همّ لهم سوى تأمين طعامهم وطعام من حولهم.

يحوي المعرض المنحوتة الأشهر لغوبتا، وهي "إله جائع جدا"، التي أنهاها عام 2006، وتتألف من الأوعية المعدنية والنحاسيّة، شديدة النظافة، التي تستخدم عادة لحفظ الطعام المنزلي، ونقله من مكان إلى آخر على شكل وجبات صغيرة. هذه الأوعية التي يفوق عددها الألف وخمسمئة، يشكل باستخدامها غوبتا، جمجمة بشرية كبيرة الحجم.

يتلاعب غوبتا في هذه المنحوتة، بثلاث مستويات ثقافية، الأول، مرتبط بالأغراض اليومية مسبقة الصنع، والتي تنتج بالآلاف ويستخدمها الجميع بوصفهم متساوون استهلاكيا، والثاني مرتبط بخصوصيّة الطعام في الثقافة الهندوسية وقدسيته، وإثر مزجه لهذه المكونات، يخلق لنا جمجمة تستحضر المستوى الثالث، النقدي والسياسي، فهي تمثل خطاب الموت والهيمنة الاقتصادية على المتطلبات الحيويّة، فالجوع الذي يحكم الكثيرين، أشبه بإله رأسماليّ، متطلب، نزق، يلتهم الأفراد دون أي شبع، هو وليد المتغيرات الاقتصادية التي تسحق الحاجات الطبيعية.

المميز في الأوعية، أن كل منها أشبه بوثيقة تعكس تاريخ الأسرة الشخصي وحميمية طعامها وكميته وطرق تقسيمه، كما تحوي آثار علاقة المال بالطعام، وتختزن فن وخصوصية الطهو التي تمارسه كل أسرة، ويصف غوبتا هذه المنحوتة بقوله:" أنا اللص المثالي، أسرق من دراما حياة الهندوس ومن مطبخهم، فالأوعية أشبه بالهة صغيرة مسروقة، مهربة خارج البلاد، فالمطابخ الهندوسية مقدسة كغرف الصلاة".

المفارقة أن هذه المنحوتة عُرضت سابقا في فرنسا، إلا أن اختيار مؤسسة العملة في باريس يحمل دلالة رمزيّة، فالمؤسسة مسؤولة منذ عام 864م عن صك النقود المعدنية والميداليات، وكأن المعادن التي تهيمن على الاقتصاد، هي ذاتها التي تحفظ قوت الأفراد وسبب نجاتهم من الجوع.

نشاهد في المعرض أيضا، منحوتة "بقرتين"، المنجزة عام 2003، وهي عبارة عن دراجتين هوائيتين مصنوعتان من البرونز، تحملان أوعية تستخدم عادة لنقل الحليب، وكأن غوبتا يعيد إنتاج الثقافة الهندوسية من وجهة نظر معاصرة، فالمقدسات تتحول إلى تكوينات ميكانيكية مع ذلك نراها تمتلك ذات الألق، وهذا ما يرتبط بطبيعة المعادن المستخدمة، التي تلمع دون أي خدش. في ذات الوقت نتلمس نوعا من التدنيس المرتبط بإعادة إنتاج المقدس عبر اليومي والاستهلاكي، وتحويله من الصيغة الفيتشيّة إلى أخرى وظيفية بحتة، عبر جعل الوظائف الحيوية الداخلية للبقرة ذات شكل ميكانيكي، بشري الصنع، خال من تعقيدات البيولوجيا، لتُصبح أداة فعّالة فقط، أشبه بمنتج صناعي رخيص، بسيط المكونات، يؤدي مهمة الاحتفاظ بالحليب ونقله.

يحضر في المعرض عدد من أعمال غوبتا الجديدة، كمنحوتة "كنز غير معروف"، التي أنجزها العام الماضي، وفيها نرى كبسولة للزمن، مفتوحة أمامنا ومحتوياتها معلقة في الهواء، لكن ما يثير الاهتمام أن ما في داخلها يعود لقبيلة بدائيّة، يحاكي عبرها الفنان مفهوم كبسولة الزمن، التي تُحفظ فيها أغراض تعكس نسق الحياة، الذي كان سائدا أثناء الفترة التي صنعت بها، إذ يستعيد الهالة المحيطة بمفهوم الكبسولة، بوصفها رسالة إلى المجهول، إلى أولئك الذين لن نلتقيهم، تاركا لنا حرية التفكير بما يمكن لنا أن نتركه لمن يأتون من بعدنا.

> غوبتا يعيد إنتاج الثقافة الهندوسية من وجهة نظر معاصرة، فالمقدسات تتحول إلى تكوينات ميكانيكية مع ذلك نراها تمتلك ذات الألق

* ع.م

المنحوتة الأشهر لغوبتا: إله جائع جداً

بائع الحليب على الدراجة المذهبة

البروفة جنة المخرج المسرحي

جواد الأسدي: المسرح هذا الجحيم المحبب

جواد الأسدي، الحاضر دائماً فوق خشبة المسرح، الغريب الذي حمل حقائب المسرح في رحلته التي لا يريد لها أن تنتهي، ذاكرته المتوهّجة على تجارب الحياة التي سكنت روحه في العراق، الوطن، والأصدقاء، وشغف البروفة وجمالياتها وعذاباتها التي تحوّلت إلى مرجعيات يحفر في أعماقها وهو يمارس مسرحتها في تجربته الجمالية. يتوق العودة إلى الوطن والعمل مع المسرحيين من أجل مسرح عراقي مثير للجدل والجمال. جواد الأسدي المخرج والمؤلف وصانع الجمال في فضاءات المسرح العربي سوف يجيب هنا عن أسئلة تطال جوانب مختلفة من تجربته الرائدة ورحلته الثريّة مع المسرح، وقد أشعل أضواءه في غير عاصمة عربية، ودوّن اسمه بين أبرز المسرحيين العرب المغامرين، ممن تركوا بصماتهم في تطوير لغة المسرح وجعله منتجاً لجماليات فنية حديثة، وتعبيرا خلاقا جعله أكثر قربا من الناس.

صميم حسب الله
ناقد من العراق

■ الجديد: ماذا يشكّل "المسرح والفلسطيني الذي فينا" في ذاكرتك؟

● **جواد الأسدي: الفلسطيني الذي فينا هو الوجع الذي فينا، أو يوم القيامة الكبير الذي اسمه فلسطين التي تعني فعليّاً كل الذين توجّعوا، وجرى تدميرهم تحت خيمة الاحتلال. فلسطين، التي كانت بالنسبة إلينا حلماً كبيراً أو يوتيوبيا مقدسة، هي أشبه بسمفونية الوجع الكبير. يجتاح روحي شعور دائم بأن ثمّة مكاناً في هذا العالم يجري إنهاكه وتدميره، وتتم إعادة كتابته ديموغرافيّاً وإنسانيّاً ومكانيّاً.**

■ الجديد: هل يعني ذلك أن فكرة "الفلسطيني الذي فينا" غادرت حدودها القومية وتحوّلت إلى فكرة كونية؟

● **جواد الأسدي:** بالتأكيد هي فكرة كونية. الفلسطيني الذي فينا يعنيني أنا كعراقي. كنت أبحث دائما عن ذريعة لوجودي في سوريا. بعد أن عدتُ إليها قادماً من بلغاريا، حاملاً معي شهادة الدكتوراه في الإخراج المسرحي، بدأت البحث عن المصطبة التي يمكن لها أن تتسع لمقترحاتي، المصطبة التي هي المنصّة أو المسرح الآخر، خصوصاً أنني ما عدت قادراً على العودة إلى العراق، بلادي التي تحوّلت في ذلك الزمن إلى مرجل كبير للحرب والموت. أحسست بأنّ ما يوازي إحساسي ببلادي ويوازي افتكاكي القسري عنها؛ كانت فلسطين وطناً آخر يُشبه العراق في طبيعته وجماليته، ولأجل هذا كله يمكن القول إنّ الفلسطيني الذي فينا، فلسطين التي في داخلي، في داخل كتاباتي وإحساسي، داخل هذه الدورة الدموية الملغومة بالتفجّع والمرارة والحلم والرغبة والمسرّة، كان هذا خياري في التعامل مع المسرح الفلسطيني كأنني أعود فيه إلى العراق، كما لو أني أعود إلى بغداد تلك العودة التي لم تكن ممكنة في وقتها، لذلك فإنّ العمل على تركيب جماليات النص الفلسطيني على خشبة المسرح كما لو أني أصنع من فلسطين حالة استعادية لبلدي العراق، وكما لو أني أنتج طاقة ممزوجة من وجع البلدين، تلك الطاقة التي تعطيني النار والموقد الكبير الذي يغذّي روحي الملتهبة في أعماقي حتى أستطيع أن أقود بروفاتي وأكتب نصّي، وأتمكّن من السير قدماً في تلك الممرّات.

■ الجديد: بدا لي أنك كنت تبحث عن الفلسطيني المختلف عن ذلك الذي تتقاذفه العواطف العربية، بل كنت تبحث عن إحداث الصدمة في الحاضر الفلسطيني، وقد تجلّى ذلك بينك وبين الكاتب المسرحي الكبير سعدالله ونوس، لا سيما في مسرحية "الاغتصاب" التي قدّمتها للمسرح الوطني الفلسطيني، وقد بدا أن النصّ استفزّك أكثر من غيره من النصوص التي كانت تتناول القضية الفلسطينية في تلك المرحلة؟

● **جواد الأسدي:** صحيح، لأن مسرحية "الاغتصاب" هي بالأساس مأخوذة عن نص الكاتب الإسباني أنطونيو بانييخو بعنوان "القصة المزدوجة للدكتور بالمي"، وبعد قراءتي للنص، أحسستُ بشكل فعليّ أنه قابل لأن يتحوّل إلى حالة فلسطينية، خصوصاً في ما يتعلّق بفكرة المحقّق والضحية. من جهة أخرى فإنّ سعدالله ونوس كان قد أحجم عن الكتابة تماماً في تلك الفترة، واختار الجلوس في البيت، ولم يكن يزاول فعل الكتابة لمدة عشر أو خمس عشرة سنة، وكان توقفه نوعاً من الاعتراض الخطير على السلطة والدولة بمفهومها الكبير والواسع عربيّاً وغير عربي، فقد أحسّ بخيبة ضخمة جداً، وبأنّ كل ما كان يجري لا ينبغي أن يكون، ولذلك قررت أن أقدّم له النص، أردتُ التحرّش بروحه وعاطفته وكتابته، فطلبتُ منه أن يقرأ النص، ومع أنه كان قد قرأه في السابق، ولم يخطر له أن هذا النص يمكن الاشتغال عليه، فأخذه مني، وبدأنا سلسلة لقاءات أسبوعية، وكنا ندخل في حوارات طويلة ونقاشات مستمرة، كان يقول لي "يا جواد مقترحك في مكانه، وأنا لديّ شهيّة كبيرة في استعادة الكتابة على هذا النص". بالنسبة إليّ كان الأمر أشبه بالعيد الكبير، لأن سعدالله ونوس قرّر العودة إلى الكتابة، والقرار بحدّ ذاته فكرة خطيرة وجميلة. قدّم لي كتابته الأولى لنص "الاغتصاب"، وبات مع تلك الكتابة في رحلة من التصادمات وتبادل التصوّرات، وكان يتقبّل الأمر بصعوبة كبيرة لأن سعدالله ونوس كاتب محترف لا يتقبّل الملاحظات بسهولة، ولكن ما حصل بيننا كان أشبه بنوع من تبادل الثقافات التي تأسست بدءاً من فكرة الاعتراض، ومن ثمّ على فكرة الاستماع إلى الرأي الآخر، وفي النهاية أعطاني النص بنسخته النهائية، فأحسست أنّ في هذه النسخة النهائية مشكلةً ضخمةً جداً تمثّلت في فكرة شخصية "الإسرائيلي". كنت أتساءل عن ماهية تلك الشخصية، من هو "الإسرائيلي" في هذه المرحلة؟ وتحديداً في عام (1990)، ثم من هو "الإسرائيلي" بالنسبة إلى ونوس؟ ومن هو "الإسرائيلي" بالنسبة إلى جواد الأسدي؟ فإذا كان "الإسرائيلي" من وجهة نظر ونوس يتمثّل في منوحين، الذي هو بطل من أبطال المسرحية، أو هو كل من إسحاق ومائير، فبالنسبة إليّ كنت أظن، ولا أعرفُ الآن إن كنتُ مخطئاً أو على صواب، أنّ ثمّة عقماً في الحوار مع ذلك "الإسرائيلي" الذي يعيش في إسرائيل، عقم في التفاوض معه، كيف يمكن أن يتفاوض هذا "الإسرائيلي" مع إسماعيل الفلسطيني؟ وكيف يمكن أن نجد التجاور مع النص الذي تحوّل بعد اشتغال سعدالله ونوس عليه إلى نصين، يعود الأول إلى نص الإسباني أنطونيو بانييخو، والآخر فلسطيني من كتابة ونوس، الذي أفاد كثيراً من نص بانييخو في الكتابة؟ وقد ظهرت لديّ أسئلة كبيرة في ما يتعلق بهوية "الإسرائيلي" في تلك المرحلة، ولم أكن موافقاً على فكرة أن هناك إمكانية للحوار مع الإسرائيلي منوحين الذي كان يعيش داخل إسرائيل، وتحت خيمة الاحتلال وظلاله وسلوكه في تلك الفترة. كنت دائماً أشير إلى سعدالله ونوس بأن الحوار سيكون ممكناً لو كان منوحين يعيش خارج إسرائيل، من سكان باريس مثلاً، أو يكون ذلك اليهودي المتنوّر، وهو الأمر الذي دفعني للمسير بهذه المنطقة من الحوار والافتراض، مشيت على الضد من النص، وبذلك فقد أدخلتُ النص في قراءة جديدة، وعندما حضر ونوس لمشاهدة البروفة النهائية في دائرة الثقافة الفلسطينية في دمشق، وكان معه الناقد فيصل دراج، قال لي بعد العرض، بالحرف الواحد، "جواد هذا أجمل ما يمكن أن أشاهده على صعيد التمثيل، ولكن أرجوك أن تحذف أسمي وتكتب أن هذا النص من تأليف جواد الأسدي".

■ الجديد: كأنك كنت تبحث، في جدالك مع سعدالله ونوس، عن شخصية الفلسطيني المثالية، وفي المقابل كان ونوس رافضاً لوجود تلك الشخصية، على اعتبار أنّ الفلسطيني في تلك الظروف إنما هو فلسطيني منتهك من قبل المحتلّ، كما هو العراقي "المقدّس" الذي رفضت وجوده في مسرحية "حمام بغدادي". يبدو أن جواد الأسدي قد غادر الفكرة التي تقول بوجود الشخصية العربية المثالية، وقرر التعامل معها كما هي في الواقع العربي المُلتبس اجتماعيّاً وسياسيّاً؟

● **جواد الأسدي:** لا أظن أن هذه الملاحظة صحيحة لسبب واحد هو أنني حاولتُ أن أخرج بعيداً عن مسطرة الخطابة الفلسطينية على مستوى الكتابة، سواء في النصوص التي كانت لمؤلفين آخرين كما هو الحال مع نص "الاغتصاب"، أو مع النصوص التي كتبتها بنفسي بدءاً من نص مسرحية "خيوط من فضة". كنت أقاتل لكي لا أحوّل القضية الفلسطينية إلى تمثال شمعيّ، وألاّ أحوّل الفلسطيني إلى كينونة "جبسية" أو شيء غير قابل للتفكيك، كنت أحاول دائماً الصدام مع المتفرّج بفكرة أن هذا الفلسطيني الذي أقوم أنا بنسجه وكتابته هو فلسطيني آخر أكثر حرية وأكثر إمكانية من أن تناقشه، وأن تتصادم معه، هو ذلك الآخر الذي نتوق دائماً إلى إحداث الجدل معه، وهذه هي المشكلة التي كانت تحصل مع سعدالله ونوس، وقد ازداد الأمر تعقيداً عندما قُدّم عرض المسرحية في بيروت، فقد استقبله اللبنانيون بجنون على صعيد الكتابة (نص العرض)، وهم إلى اليوم يعتبرون مسرحية "الاغتصاب" التي قدّمت في بيروت هي من أجمل ما قُدّم في تاريخ المسرح اللبناني عربيّاً، لأن النص كان فيه جملة بصرية خطيرة، والتمثيل كان من طراز كبير، الأمر الذي جعل سعدالله ونوس ينزعج أكثر فأكثر لأن قراءتي مخالفة لقراءته، وفي كل مكان يقدّم فيه العرض كان يحصد الإعجاب الكبير الذي كان له علاقة كبيرة بـ"الإعداد النصّي"، ولكن الإعجاب الأخطر كان يأتي لمصلحة التمثيل وجماليات العرض.

جواد الأسدي: فلسطين وطني البديل

■ الجديد: ما الذي دفعك إلى تدوين البروفة؟ هل هي فكرة مفاجئة؟ أم نتيجة لخبرة متراكمة؟

● **جواد الأسدي:** لا، ليست مفاجئة أبداً. المحاولة الأولى في تدوين البروفة كانت في كتاب "المسرح والفلسطيني الذي فينا"، وقد كانت نتيجةً لإحساسي بالغربة، ولأني كنتُ أسمّي نفسي بالغريب الذي يرحل إلى المدن وعنها، الطارئ الذي يمشي على الأرصفة، الشخص الذي بلا سند وبلا سقف وبلا سرير وبلا أهل وبلا ناس، كانت مملكتي الحقيقية هي رحلتي بين البروفة والعرض، لكن البروفات كانت أكثر وقعاً على روحي، ولأنها كانت تضع في حياتي، أو في صيرورة يومياتي، مجموعةً من الشهوات العالية السحر على صعيد العلاقة الحارّة مع التمثيل ومع الممثل وعمليات الهدم والبناء، ومشاكسات الممثل والمحاولة للذهاب بعيداً مع جسده وروحه وكيانه، من أجل الوصول إلى مناطق يجهلها الممثل بنفسه. البروفة هي الجنّة التي كنت أحاول أن أضع أركاناً لها لأني كنت أشعرُ دائماً بأني رجل منفيّ، وأن تلك الشوارع والأرصفة والمقاهي لا تسعفني بالمسرّة بشكلها النهائي. البروفة هي المسرّة الوحيدة التي كانت تعطيني فرصة وإحساساً بأني شخص ذو كينونة وجسد وصوت ومعنى، وانطلاقاً من معلومة تقول إن المسرح وبمجرد انتهاء العرض يصبح قابلاً للزوال، بهذا المعنى أحسستُ أنّ عندي شهيّة كبيرة ورغبة تلحّ عليّ أن أكتب يوميّات البروفة، وفعلاً أصبحتُ بعد تجربة "المسرح والفلسطيني الذي فينا" مُدمناً على تدوين البروفات، فعمدتُ إلى ذلك في "جماليات البروفة" و"المسرح جنّتي"، وقد تحوّلت الكتابة عندي إلى شيء موازٍ للعرض المسرحي.

وأحبّ أن أشير إلى أنّ فعل الكتابة لم يكن بإيعاز مسبق للكتابة، بمعنى آخر، فأنا لم أكن أقرّر الكتابة، وإنما أفرض على نفسي تدوين بروفات اليوم السابق، كانت الكتابة تأتي دائماً عندما تنتهي البروفات وتعطى مساحة كبيرة من التأمل، الكتابة تأتي عندما يكون ثمّة هاتف أو ثمّة وحي أو ثمّة مخلوق ينادي أو ثمّة نار أو رغبة تحثّني باتجاه الأوراق، ولهذا عندما تقرأ "جماليات البروفة" أو "المسرح جنّتي" تجد أنّ اللغة التي فيها تكاد تكون مصنوعة من نار، لغة فيها اضطراب وغربة وألم ووجع، وفيها تفكيك وقراءة للممثل ومشاكسته، وقراءة في الإخراج والنص، وفي هذا النوع من الكتابة التي تخرج في كثير من الأحيان خارج البروفات، وعندها أتمكّن من اصطياد علاقاتي وأنا على سرير غربتي، وأنا في وحدتي، وفي مكالماتي الهاتفية مع أمي ومع أخي الذي أعدم، ومع أصدقائي، لذلك كله صارت الكتابة بالنسبة إليّ كتابة الحياة بمجملها، واستحقت عليّ أن أكتبها بشهيّة هائلة.

■ الجديد: ألا يسهم كل هذا التداخل في تدوين البروفة في إنتاج مقترحات مشهدية تدخل في كتابة البروفة من دون أن يكون له حضور فعليّ في صناعة المشهد المسرحي؟

● **جواد الأسدي:** لا أبدا.

■ الجديد: أشرت في معرض حديثك عن تدوين البروفة إلى أنك تقوم بالكتابة بعد الانتهاء من البروفات بشكل نهائي، كيف تتذكر كل تلك التفاصيل التي تحصل في يوميات البروفات؟

● **جواد الأسدي:** نعم هذا صحيح، فضلاً عن ذلك أنا نادراً ما أقوم بإعادة كتابة البروفة، والسبب أنني عندما أكتب أصاب بلوثة، أو بما يمكن أن تسمّيها حمّى خطرة، قد تمتد رحلة الكتابة فيها إلى ساعات طويلة، تقطعها لحظات من الراحة، التي أتنبه فيها إلى كمية الأوراق التي تحتشد بين يديّ، والتي يبدو عليها الوجع من فعل الكتابة الذي يحدث بشهيّة هائلة ورغبة كبيرة.

■ الجديد: يكتشف قارئ نصوصك المسرحية ويوميات بروفاتك أنك تعتمد أسلوبا مختلفا في كل منهما، وكأن القارئ يكتشف جواد الأسدي على نحو مختلف، هل تشعر بذلك الاختلاف؟

● **جواد الأسدي:** أكيد، ويعود ذلك إلى وجود مزاج مختلف، ومرايا مختلفة، لأنني عندما أكتبُ عن البروفة أفتح الباب أمام لغة مختلفة، لغة متشظية هي أشبه بالنهر الجارف الذي تهجم عليه المياه بعد انقطاع طويل، أمّا كتابة النص المسرحي فإنها شيء مختلف تماماً، لأنّ الكتابة للمسرح فيها مشكلة خطيرة تتعلق بما يمكن أن تقول، وماذا تكتب، وما هي الفكرة، وكيف تكتب هذه الفكرة، كما أنني كنت أعمل دائماً على تدوين ملاحظاتي حول الشخصيات التي أريد الكتابة عنها، وقد بدأت ذلك في مسرحية "خيوط من فضة"، من جهة أخرى فإن كل النصوص التي كتبتها هي مقترحات للإخراج، ولا يمكن أن تكتمل خارج البروفة، ولهذا كنت أحذف وأمزّق كثيرا، ثم أعود لأرمي كل ذلك داخل روح الممثل، لكي يقوم بدوره في إعادة إنتاج النص مرّة أخرى، وفي مرّات كثيرة كنت أترك للممثل حرية الالتحام مع النصّ الذي شكّلته أنا في البداية.

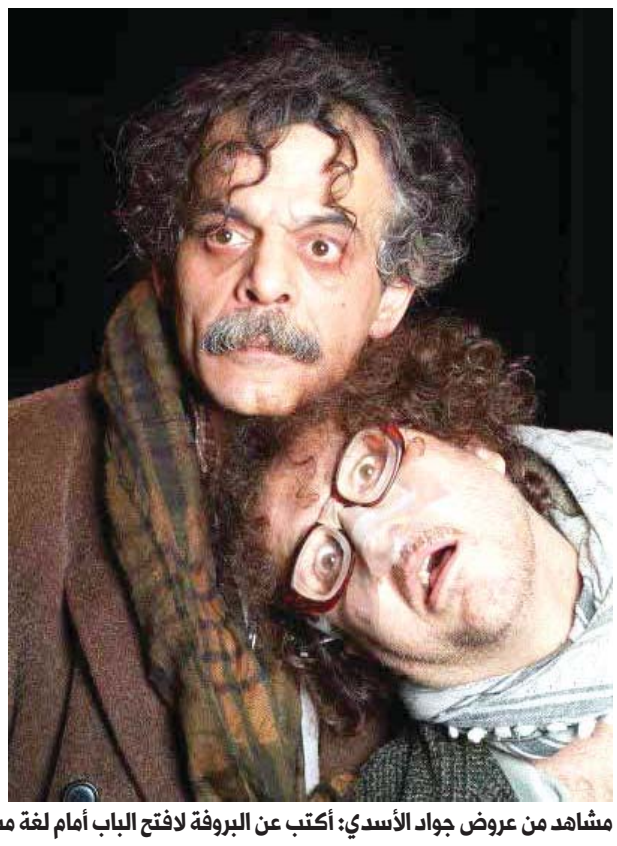

مشاهد من عروض جواد الأسدي: أكتب عن البروفة لافتح الباب أمام لغة مسرحية مختلفة

ينشر الحوار بالاتفاق مع «الجديد» الشهرية الثقافية اللندنية والنص كاملا على الموقع الإلكتروني

عالم أنطونيوني مكثفا في آخر أفلامه

فنان السينما الكبير يحاول معرفة ألغاز الحب

أمير العمري
ناقد سينمائي من مصر

❏ تقول الأنباء إن هناك فيلما جديدا بعنوان "برقيتان" عن قصة قصيرة للمخرج الإيطالي الراحل مايكل أنجلو أنطونيوني، كتب له السيناريو الأميركي رودي ويرليترز. وكان آخر ما أخرجه أنطونيوني قبل رحيله عن 95 عاما عام 2007، فيلم تسجيلي قصير هو "العين بالعين" وجزء من فيلم "إيروس" الذي اشترك فيه مع سودربرغ وكاي واي وونغ.

أما فيلم "وراء السحب" فهو الفيلم الروائي الطويل الأخير الذي أخرجه عام 1995، بعد أن ظل لعشر سنوات مقعدا بسبب المرض الذي سبب له الشلل والعجز عن الكلام.

في هذا الفيلم يلخص أنطونيوني حكمته وفلسفته الخاصة التي ظل يعبّر عنها بأسلوبه البصري المتميز، عاكسا تجربته الثرية في الحياة، طارحا كعادته أفكاره الأثيرة: لغز السعادة الإنسانية، كيف ينظر الرجل إلى المرأة، وما الذي يجذبه فيها وكيف أصبحت تتعامل مع الرجل بعد أن فقدت الكثير من عذوبة روحها في عالم جديد تسيطر عليه فكرة التسليع والترويج والمظاهر السطحية البراقة، وهل من الممكن أن يوجد الحب الجسدي بعيدا عن الروح، وهل يتحقق التواصل من خلال الحب، وما طبيعة هذا الحب ومكنونه وجوهره، وهل يكبر الإنسان حقا أم يظل يخفي بداخله طفلا يتشبث في عناد، بأفكاره الملحة التي لا تنقطع قط، وهل تستطيع الفكرة أن تهزم الواقع؟

عن قصصه القصيرة

هذه الأفكار والتساؤلات يجسّدها الفنان الكبير من خلال تناوله السينمائي لأربع قصص من قصصه القصيرة التي كتبها ونشرت ضمن مجموعته التي صدرت عام 1983.

> فيلم مثالي يعبر عن عالم أنطونيوني القديم، عن تلك العلاقة الغامضة التي تشد الرجل إلى المرأة، وتجعل المرأة تستسلم للرجل دون أن تدرك ما يدور من أفكار معقدة داخل ذهنية الرجل. لكنه في الوقت نفسه فيلم عن الصعوبة أو حتى استحالة التواصل

لم يكن لمشروع أنطونيوني السينمائي أن يتحقق إلا بفضل قوة إرادته ورغبته المدهشة في قول كلمته الأخيرة قبل أن يرحل عن دنيانا، سوى بفضل المساعدة الكبيرة التي قدمتها له زوجته إنريكا أنطونيوني التي وقفت إلى جانبه طوال فترة مرضه الطويل الذي لم يستطع أن يسلبه القدرة على التأمل والتفكير. وكان وراء تحقيق هذا الفيلم الحماس الكبير من جانب المخرج الألماني المرموق فيم فيندرز الذي كان دائما يكن لأنطونيوني وسينماه إعجابا خاصا وكان يعتبره معلمه ودليله إلى فهم السينما. لم يبادر فيندرز فقط بتدبير تمويل مناسب للفيلم، لكنه ساعد أنطونيوني في تنفيذ بعض المشاهد.

شارك بالتمثيل في الفيلم عدد من ألمع نجوم السينما الأوروبية من بينهم صوفي مارسو وإيرين جاكوب وكيارا كاسيللي وبيتر ويللر وفاني أردان، والممثل الأميركي جون مالكوفيتش، إضافة إلى ضيفي الشرف اللذين يظهران في مشهد واحد من الفيلم: مارشيللو ماستروياني وجان مورو.

أنطونيوني في فيلمه هذا يهمس بضمير المتكلم، يصف مشاعره كفنان من خلال المعادل السينمائي له في الفيلم أي شخصية الرجل الذي يظهر في شكل مختلف في القصص الأربع، يخوض التجربة تلو الأخرى، يلقي بنفسه في أتون النفس البشرية ويطرح الكثير من التساؤلات التي لا يملك في معظم الأحيان إجابات شافية لها.

عين الفنان

هذا فيلم مثالي يعبر عن عالم أنطونيوني القديم، عن تلك العلاقة الغامضة التي تشد الرجل إلى المرأة، وتجعل المرأة تستسلم للرجل دون أن تدرك ما يدور من أفكار معقدة داخل ذهنية الرجل. لكنه في الوقت نفسه فيلم عن الصعوبة أو حتى استحالة التواصل، ليس بسبب التناقضات الطبقية في مجتمعات الغرب الصناعية الاستهلاكية التي شغلت الكثير من أبناء الجيل الذي ينتمي إليه أنطونيوني في السينما الإيطالية، كما كانت أيضا الفكرة الأساسية التي تدور على خلفيتها أفلام أنطونيوني الشهيرة التي أخرجها في الخمسينات والستينات، بل على المستوى الروحاني. هنا نلمح العلاقات الداخلية وكيف تتكثف وتتبدى في سلوكيات خارجية للشخصيات، يطبعها المكان بسحره الأخاذ في قصص الفيلم الأربع التي ينتقل خلالها أنطونيوني بين أكثر المدن الصغيرة جاذبية في الريف الفرنسي والإيطالي: من كوماتشينو وفيرارا إلى بورتوفينو.. ومن إيس- أون بروفينس في فرنسا، إلى المرآة الكبيرة لمعرض النفوس البشرية في باريس.

البطل- الرجل، هو عين المخرج فهو المصور المتجول، وهو أيضا بمثابة المرآة التي تتطلع فيها المرأة التي تعتبر محور القصص الأربع إلى نفسها. في القصة الأولى وهي بعنوان "يوميات حب لم يوجد" نشاهد كيف تنمو علاقة حب غريبة كل الغرابة، بين شاب وفتاة، يلتقيان مصادفة ثم يفترقان، وبعد مرور فترة يلتقيان مجددا ويتذكران بعضهما البعض. يتشبث الشاب باللقاء ويريد أن يستعيد الحب ويعيده إلى الحياة، يذهب مع الفتاة إلى مسكنها، يتأملها مسحورا وكأنه يريد أن يصل إلى ما في أعماق نفسها من مشاعر، تعرض هي عليه الجانب السطحي فقط منها، أي جسدها، وهنا تكون لحظة النهاية والفراق. يغادر الشاب ولا يعود أبدا، فقد أراد أن يبقي على الحب نقيّا صافيا إلى الأبد، كزهرة يتأملها دون أن يقطفها أبدا. أنطونيوني يقول لنا إن علاقة الحب الغريبة هذه استمرت 12 سنة دون أن تتحول إلى علاقة جسدية كاملة. فما هذا اللغز الإنساني. هل هذا انحياز للحب العذري الذي كان معروفا في الماضي؟ هل هو رهان على زمن الحب العظيم والفن العظيم الذي لم يعد قائما؟

يتركنا هذا الجزء الأول من الفيلم وسحره ماثل أمامنا، تملأ علينا العيون والنفوس لوحات كأنها عادت إلينا من عصر النهضة، الطبيعة الساحرة التي تخفي الكثير من الأسرار في مدينة ريميني الغامضة التي استمد منها الكثير من الرسامين لوحاتهم المليئة بالأفكار الميتافيزيقية. وهي بالمناسبة المدينة التي جاء منها مخرج آخر عظيم هو الساحر فيلليني.

تدور أحداث القصة الثانية في بورتفينو، وهي قرية للصيادين تقع على ساحل الريفييرا الإيطالية. هنا نرى كيف تشد فتاة فرنسية (صوفي مارسو) بطلنا إليها من النظرة الأولى. إنها عاملة في محل صغير لبيع الملابس (بوتيك).. يصفها هو في قصته بأنها تتحرك حركات محسوبة تدرّبت عليها طويلا، كأنها ممثلة مدربة، وهي تحرص دائما على عدم لفت أنظار المشترين لكي تتيح لهم الفرصة كاملة للتركيز على الأشياء المعروضة في المكان. إنها تبدو كما لو كانت إحدى قطع الديكور الموجودة في المكان. وهي عادة لا تجذب أحدا، لكنها في حالة بطلنا هذا كانت العنصر الوحيد الذي انجذب إليه نظره حتى قبل أن يضع قدميه داخل الحانوت، فقد لفتت نظره بقوة وهو يتطلع إلى المكان من الخارج عبر فتحة الباب في الصباح الباكر والضباب مازال منتشرا في كل مكان، وكأنه يتحرك في منطقة تقع بين الحلم واليقظة.

لغز الحب

ابتسامة وكلمتان أو ثلاث ثم لقاء، والرجل لا يعرف ما الذي يجذبه إلى هذه الفتاة. تريد هي أن تفضي إليه بشيء ما. يعرف هو أن في داخلها سرا تنطق به عيناها. لقد قتلت أباها منذ فترة. تشير إليه وهما يتمشيان على شاطئ البحر إلى المكان الذي ارتكبت فيه جريمتها التي لم يتم اكتشافها قط.. لكنها تعيش مع الجريمة، مع مزيج من الإحساس بالخوف والذنب. إنها إذن ليست على ما تبدو عليه من دعة وحلاوة ورقة، فهي قادرة أيضا على القتل. رغم ذلك لا يستطيع أن يقاوم رغبته فيها، بل لعل الرغبة أصبحت أكثر وطأة بعد هذا الاعتراف. ويتحقق اللقاء الجسدي كأروع ما يكون في مشهد يحيطه أنطونيوني بالبرود حتى يدفعنا إلى تأمل مغزى ما نراه وليس إلى الاندماج معه أو التأثر العاطفي به. وبعد تبادل الحب، يجلس بطلنا على أرجوحة أطفال أمام البحر، يتأرجح ويفكر في ما كان. من هذه المرأة وماذا وراءها؟ لقد قضى الليلة معها لكنه خرج أكثر جهلا بها عما كان، أو أن هذا هو شعورنا الشخصي بعد مشاهدة هذه المقطوعة الفنية الأخرى من الشاعر السينمائي الكبير.

حضور البحر

يتكرر وجود البحر في معظم قصص الفيلم، لكن ليس بغرض تكثيف الرغبة في التحرر كما في أفلام فيلليني، بل للإيحاء بالغموض الذي يكمن داخل النفس البشرية وما في داخلها من تناقضات لا قبل للمرء بالإحاطة بها.

في القصة الثالثة التي تدور في باريس، هناك زوج وزوجة، يعانيان من عدم القدرة على التواصل معا. المرأة توهم نفسها بالحب أو لعلها تحب زوجها فعلا بطريقتها الخاصة، لكنه مشغول عنها، يحادثها من مخدع امرأة أخرى، ثم يصارحها برغبته في الانفصال. وتدرك هي الأمر وتسعى إلى البحث عن سلوى لها، لكنها تلتقي برجل انهارت علاقته حديثا بحبيبته أيضا، ومن هنا وعلى أنقاض علاقتين، تنشأ علاقة جديدة بين الرجل والمرأة لا نعرف ما إذا كانت ستستمر أم ستنتهي بسرعة، كما لا نعرف ما إذا كانت العلاقة التي أصبحت تربطهما هي علاقة حب أم احتياج نشأ في ظروف خاصة، بل ولا نعرف ما إذا كانت حقيقة أم وهما، فأنطونيوني يتأمل ويكتفي بطرح التساؤلات القلقة المعذبة.

تدور القصة الرابعة في بلدة إيطالية صغيرة تمتلئ بالكنائس والأبراج القديمة والشوارع والأزقة الحجرية الضيقة وكأننا في إحدى قرى العصور الوسطى. الريفيون يستيقظون مبكرا يوم الأحد تأهبا للذهاب إلى الكنيسة، ومن بينهم فتاة جميلة كالزهرة المتألقة، مليئة بالسحر والجمال والرونق، وأثناء ذهابها إلى الكنيسة يلتقيها شاب ينجذب إليها ويصحبها دون أن يدري السبب. يكتشف أنها ذاهبة إلى الكنيسة فيدخل معها رغم معارضته للكنيسة، تشارك هي في الأناشيد الكنسية الطويلة في قداس الأحد الذي يستمر ساعات وساعات حتى المساء، وصاحبنا يرهقه الانتظار الطويل إلى جانب الفتاة فيرقد من التعب على أريكة خشبية ولا يدري إلا والفتاة توقظه في المساء كي يصحبها في رحلة العودة. إنها منجذبة إليه، ترغب فيه وتريد صحبته، لكنها في نصف وعيها متجهة بروحها إلى الكنيسة، إلى حب من نوع آخر. ويأتي سؤال الشاب: هل أستطيع أن أراكِ غدا؟ تبتسم هي لعدة ثوان قبل أن تمنحه الجواب اللغز الذي لم يفهم الشاب مغزاه أبدا: غدا سألتحق بالدير!

ما هذا اللغز المحيّر، كيف يستطيع الإنسان أن يقاوم رغباته العاطفية والحسية وأن يحسمها هكذا في عمر مبكر إلى الأبد، وكيف يتكون هذا الانفصال بين العقل والعاطفة، وبين الروح والجسد، وهل الحب الإلهي بديل عن الحب الإنساني؟

كالعادة، هي تساؤلات تدعونا إلى التأمل لكنها لا تشفي غليلنا أبدا إلى اليقين.

الفن والطبيعة

إنه لغز الوجود ذاته كما يريد أنطونيوني أن يقول لنا في فيلمه البديع الذي يحيطه بكل ما يميز هذا الوجود من جمال في الصورة، وعذوبة في حركة الكاميرا الرصينة الهادئة التي تتسلل بين الشخصيات، تصنع بينها وبين المكان علاقة تبدو كأنها الدهر نفسه.

يقطع أنطونيوني سياق القصة الثانية بمشهد غريب خارج عن الحكاية، نرى فيه فنانا يرسم منظرا طبيعيا في البلدة، تقترب منه امرأة وتطرح عليه في استفزاز واستنكار تساؤلات عن مغزى ما يرسمه وقيمته قياسا إلى الطبيعة نفسها التي يصورها. هل تسمي هذا فنا وهل سيمكنك حقا أن تحاكي الطبيعة وتحيط بها في لوحتك هذه، وما مغزى إضاعة الوقت في شيء لا يمكنه أن يصل قط إلى جوهر وروح الأصل؟

تأتي إجابات الفنان دفاعا تلقائيا عن قيمة الرسم، عن معنى الفن. يشترك في تمثيل هذا المشهد مارشيللو ماستروياني وجان مورو. وهو المشهد الذي أخرجه فيم فيندرز لكي يكثف فيه خلاصة نظرته، وربما يكثف من خلاله أيضا تساؤلات أنطونيوني حول قيمة عمله الفني.

"وراء السحب" فيلم يسعى إلى سبر أغوار ما يرقد تحت السطح الظاهري للإنسان، من تناقضات يغلفها بستار من المظاهر، ما يوجد وراء العيون ووراء سحب الروح. إنه باختصار فيلم عن الإنسان ككينونة فريدة يصعب اختراقها، لكن الفنان لا يكف أبدا عن المحاولة!

الرجل العاشق أمام لغز المرأة القاتلة

أنطونيوني مع المخرج الألماني فيم فيندرز الذي ساعده في إنجاز الفيلم

حيرة الحب بين الروح والجسد

سيارة فولكسفاغن قديمة تنعش قطاع السياحة في الأردن

بلدة مهجورة تستعين بأصغر فندق في العالم لاستقطاب السياح

يحاول ستيني أردني لفت انتباه العالم إلى قريته المهجورة القريبة من صرح الشوبك التاريخي، عبر نصبه خيمة قريبة من هذه القلعة بهدف حثّ زائريها على أخذ استراحة في هذه الخيمة أو كما يحبّذ تسميتها المغارة، إلى جانب تحويله لسيارته القديمة إلى أصغر فندق في العالم، عسى أن تساعد فكرته الفريدة على إنعاش قطاع السياحة في منطقته.

أدوات بسيطة تحاول إعمار المنطقة بالزائرين

روفان نحاس
كاتب في العرب ويكلي

❑ **معان (الأردن)** – يقع "أصغر فندق في العالم"، وهو عبارة عن سيارة من طراز فولكسفاغن بيضاء قديمة رابضة على جانب الطريق بين قلعة الشوبك الأردنية (وتسمى باللغات الأوروبية قلعة مونتريال بمعنى الجبل الملوكي وتقع على بعد 120 كم إلى الجنوب من الكرك، و35 كم إلى الشمال من البتراء).

ويتألف "أصغر فندق"، وفق مالكه محمد الملاحيم، من مرتبة مع وسائد مطرزة وملونة، قائلا حول فكرة الفندق "بعد تقاعدي في عام 1990، قررت أن أبدأ عملا في مجال السياحة للترويج لقريتي الصغيرة الجاية (منطقة سكنية تقع في لواء الشوبك، محافظة معان في الأردن)، التي أصبحت مدينة أشباح حيث أن العديد من السكان قد هجروها بحثا عن حياة أفضل"، مشيرا "قمت في البداية بتركيب خيمة صغيرة للسياح الذين يزورون قلعة الشوبك حيث يمكنهم الحصول على فترة استراحة وبعض الماء والقهوة ومتجر للمنتجات اليدوية".

وقرر الملاحيم، المُلقّب بأبي علي، مع استقطاب أعماله البسيطة للمزيد من الزوّار، التوسع، وقد استعان بقرض بنكي من وزارة التنمية الاجتماعية لتحويل كهف صغير على جانب الطريق إلى "لوبي فندقي" وقام بتجديد سيارته القديمة من طراز فولكسفاغن بيتل، لتكون بمثابة مكان للنوم.

وأكد الملاحيم "لقد نجحت، أحب السياح الفكرة وسألوا عما إذا كان لدي خطط لإضافة المزيد من السيارات التي أفكر في القيام بها ولكن بالطبع أحتاج إلى دعم مالي".

تم تزيين السيارة، بعد إزالة المحرك، بملاءات ووسائد مطرزة يدويا مع أنماط تقليدية مزينة بخرز ملون.

وقال الملاحيم إن السياح يمكنهم الاستمتاع "برفاهية أصغر فندق في العالم" مقابل 56 دولارا في الليلة، تتضمن وجبتي الفطور والغداء.

وأضاف "يمثل هذا الفندق بالنسبة لأي سائح يحب المغامرة شيئا مختلفا، أعتقد أنني أستطيع أن أقول بسهولة إن بيتل تقدّم نوعا من الرفاهية الممتزجة مع الأصالة، بالإضافة إلى أن الطعام محليّ الصنع فهو طعام تقليدي من إعداد زوجتي وابنتي"، إذ أن أبا علي حرص على أن يحظى فندقه بكل ما تتوفر عليه الفنادق عادة من خدمات، مثل الحمامات ومتاجر الهدايا التذكارية، إلى جانب تقديم وجبات الإفطار والغداء التي تعكف عائلته على إعدادها، كما أنه يعرض في مغارته التي أطلق عليها تسمية "مغارة بلدوين"، نسبة للملك بلدوين الذي شيّد قلعة في الشوبك ضمن إطار مشروع عسكري يهدف إلى تقوية الحضور العسكري الفرنجي في المنطقة آنذاك، الحلي والإكسسوارات للراغبين في اقتناء هدايا تذكارية.

وتمتلئ جدران المغارة بالكثير من الأشياء التي خلفها السياح وراءهم أثناء إقامتهم بالفندق، بالإضافة إلى أن الملاحيم يضع على ذمة زائريه كراسا كبيرا يقبع على منضدة داخل المغارة، لكتابة انطباعاتهم وقد دوّنت عليه العديد من كلمات الثناء بمختلف اللغات للتأكيد على استقطاب أصغر فندق في العالم لعدد من السياح من مختلف أنحاء العالم.

وشدد الملاحيم على أن حوالي 200 سائح قضوا ليلتهم على الأقل في ما يسمى أصغر فندق في العالم، مؤكدا على ضرورة الحجز المبكر. وقال "بالطبع، عليهم الحجز في وقت مبكر، لأن الغرفة الوحيدة الآن لا تناسب إلا شخصين فقط".

ويأتي معظم ضيوف الستيني الأردني بالأساس إلى قلعة الشوبك القريبة، وهي عبارة عن تحصين صليبي يعود إلى القرن الـ12، ويقع على جانب جبل صخري ضيق على ارتفاع 1300 متر فوق مستوى سطح البحر.

وبحسب وزارة السياحة الأردنية، زار حوالي 9000 زائر، بما في ذلك أكثر من 6000 سائح أجنبي، قلعة الشوبك من يناير إلى يونيو من العام الماضي، مقارنة مع حوالي 5000 سائح، بما في ذلك حوالي 3000 أجنبي، في نفس الفترة من عام 2016.

ولفت الملاحيم إلى أن الأمر برمّته لا يتطلب إلا "مزيجا من الابتسامات، وفكرة فريدة وموضع ترحيب"، مؤكدا أن "السياحة هي العمود الفقري لهذا البلد، لذا نحن بحاجة إلى رعاية هذا القطاع، لا شيء يضاهي البقاء على مقربة من الطبيعة مع منظر رائع للقلعة محاط بالصحراء".

ويعتقد مراد غصون، مالك وكالة الأسفار سكاي جيت في عمان، أن مثل هذه الأفكار المبتكرة يمكن أن يكون لها تأثير إيجابي على السياحة.

وقال "تحتاج السياحة عموما إلى أفكار جديدة، ويعتبر أصغر فندق في العالم المصنوع من سيارة قديمة بالفعل فكرة عظيمة وحقيقية، وحتى الآن، فإنه يقوم بالهدف الذي شيّد من أجله، إذ أنه يجذب المزيد من السياح".

وأضاف أن "امتلاك تجربة شخصية جيدة في المنطقة سيؤدي في النهاية إلى زيادة عدد السياح بها، وهذا ما حدث لمنطقة شوبك، في حين أن الاستفادة من السياح، مثل فرض رسوم بقيمة 85 دولارا على البطيخ، هي بالتأكيد نقطة تسوُّق سيئة"، في إشارة إلى حادث تورط فيه سياح باكستانيون في البتراء العام الماضي.

وتعتمد أعمال الملاحيم بشكل كبير على السياح الأجانب الذين يقيمون لليلة واحدة على الرغم من وجود تحفظات في أماكن أخرى أو في عمان، جاذبية وفردية من الفندق يجعله على قائمة الراغبين في التوجه إليه ممن سمعوا عنه.

> السياحة تحتاج إلى أفكار جديدة، ويعتبر أصغر فندق في العالم المصنوع من سيارة قديمة بالفعل فكرة عظيمة جذبت حتى الآن المزيد من السياح

وقال الملاحيم إنها "متعة بسيطة لتجربة شيء جديد، أنا لا أقول إن فندقي الصغير هو الأفضل، ولكن أستطيع أن أقول إنه بطريقة ما يقوم بهذه المهمة، أنا أقوم بمساعدة السياحة في بلادي عبر مثل هذه الأفكار الفريدة من نوعها".

السياحة.. خطة الصين لتوسيع نفوذها في منطقة الشرق الأوسط

ماسون هينسدال

❑ **بكين** – تزداد أهمية الشرق الأوسط بالنسبة للصين تزامنا مع سعيها لتوسيع نفوذها الدولي، ودائما ما اتبعت الصين سياسة "عدم التدخل" في مجالات مثل التجارة والسياحة في علاقتها بالشرق الأوسط، ولكن من المحتمل أن يتغير هذا الآن ويصبح قطاع السياحة من ضمن أولوياتها بالمنطقة العربية.

وكثفت وسائل إعلام الحكومة الصينية، تزامنا، مع معرض قطاع الثقافة والسياحة الأخير في العاصمة الإماراتية أبوظبي، الترويج نحو تغطية نمو السياحة الصينية إلى الإمارة الخليجية.

وساعدت هذه الدعاية الإعلامية على زيادة معدل السياح الوافدين للإمارات بنسبة 40.9 بالمئة، حيث بلغت أعدادهم 86 ألف سائح في الشهرين الأولين من هذا العام مقارنة بالعام 2017.

كما سافر بعض مسؤولي قطاع الثقافة والسياحة في العاصمة الإماراتية أبوظبي إلى ثلاث مدن صينية رئيسية، وهم بكين ونانجينغ وكوانزو، بصحبة ممثلين من العديد من شركات أصحاب المصالح السياحية في أبوظبي، بما في ذلك شركة الاتحاد للطيران.

ويرجح أن أبوظبي، ووجهات خليجية أخرى مثل دبي، تمثل أكثر الوجهات السياحية التي تحظى بتقدير السياح الصينيين، وكنتيجة لذلك تم تطوير العلاقات الجوية بين المدن الخليجية الكبرى، وخاصة أبوظبي ودبي، ومدن الصين الرئيسية، مثل بكين، وكوانزو، وتشنغدو، وشنغهاي.

علاوة على ذلك، فإن الطبيعة المتميزة التي تتمتع بها دولة الإمارات تمثّل عامل جذب مهم للقليل من السياح الأثرياء الذين يحققون الكثير من العائدات. ويأتي هذا على عكس بعض الوجهات الأخرى التي تقع خارج محيط الصين، مثل روسيا وتايلاند وفيتنام، التي تكافح من أجل إنشاء مصادر دخل مربحة من خلال المجموعات السياحية.

أما في حالة دولة الإمارات، فقد وجدت نفسها في وضع جيد غير مضطرة إلى أن تقلق بشأن الأرباح والعائدات التي تجنيها من قطاع السياحة.

وبغض النظر، فإن هذا النمو في مجال السياحة يعتبر صفقة أو سلسلة من المعاملات التي يتم عقدها بين هذه الدول الخليجية والحكومة الصينية.

ونظرا إلى سيطرة الحكومة الصينية الصارمة على سفر سيّاحها خارج نطاقها، فإنه ينبغي اعتبار أي نمو في هذا المجال على أنه تصريح رسمي بالسفر.

ويمكن اعتبار السياحة الصينية في الشرق الأوسط نوعا من "القوة الناعمة"، أي استخدام بعض الحوافز الاقتصادية لتحقيق هدف الوصول إلى الموانئ الاستراتيجية والموارد الطبيعية.

وتأتي هذه المحاولات بتكاليف أقل نسبيا من تلك المحاولات التي تعتمدها السياسة الأميركية لفرض نفوذها في المنطقة من خلال إرسال المركبات الأميركية، والبعثات وإنشاء القواعد العسكرية.

وعلى الرغم من ذلك، أنشأت الصين قاعدة بحرية عسكرية في دولة جيبوتي الأفريقية، مما يمنح السفن العسكرية الصينية القدرة على التواجد في المنطقة والسيطرة على مسارات الشحن وحراستها.

> وسائل إعلام صينية كثفت، تزامنا مع معرض قطاع الثقافة والسياحة الأخير في أبوظبي، الترويج نحو تغطية نمو السياحة الصينية إلى الإمارة الخليجية

وتتركز بغض النظر عن ذلك، معظم جهود فرض النفوذ الصيني في مجالي التجارة والسياحة، والتي تتطلب القليل من الالتزامات، لتوفير الأمن المباشر.

ومع ارتفاع استهلاك الوقود الأحفوري في الصين، ستظل أهمية الحفاظ على العلاقات الودية والمستقرة مع دول الشرق الأوسط قائمة، والتي ستمكّن الصين من الوصول إلى هذه الموارد، إما من خلال الإنتاج وإما الشحن.

ومع ذلك، يمكننا أن نتوقع أيضا استمرار البعثات السياحية والجهود الكبيرة المبذولة لتوطيد العلاقات الاقتصادية بين الصين والخليج.

السياحة بوابة الصين للخليج

أخبار سياحية

● استقبل مطار القاهرة الدولي في ساعة مبكرة من صباح الخميس أول رحلة طيران للخطوط الروسية (إيرفلوت) قادمة من موسكو، وذلك بعد استئناف رحلات الطيران بين مصر وروسيا المتوقفة منذ أكثر من عامين عقب سقوط طائرة روسية بوسط سيناء.

● دشّنت فلاي دبي، مؤخرا، أول رحلة مباشرة من دبي إلى مدينة دوبروفنيك الكرواتية، وكان في استقبال وفد الرحلة في مطار دوبروفنيك وزير السياحة الكرواتي، كما استقبلت الطائرة برشاشات المياه التقليدية.

ومع إطلاقها لرحلاتها إلى مدينة كراكوف البولندية في 8 أبريل الجاري ورحلاتها المقبلة إلى مدينتي كاتانيا الإيطالية وسالونيك اليونانية في يونيو المقبل ترتفع وجهات فلاي دبي في القارة الأوروبية إلى 26 وجهة توفر 135 رحلة أسبوعيا.

● يجري على قدم وساق العمل في مدينة البصرة (جنوب العراق) لتطهير أحد القنوات المائية الرئيسية في إطار خطط حكومية لتحويل المنطقة إلى مقصد سياحي، إذ يهدف المشروع إلى تحويل منطقة العشار إلى مقصد سياحي.

وقال كاظم عبدالرزاق، مدير المشروع، إن البصرة مدينة ذات أهمية اقتصادية كبيرة تقصدها وفود وتجار من جميع أنحاء العالم، وبالتالي فإنها تحتاج إلى نهضة عُمرانية كبيرة، إضافة إلى مشاريع خدمية تعطي طابعا ترفيهيا لتشجيع المواطنين والأجانب من خارج العراق على زيارتها.

العقل البشري يظل سيد الذكاء الاصطناعي دائما

الكمبيوترات والأدمغة تعالج المعلومات بصورة مختلفة

على الرغم من التقدم المذهل الذي حققه الذكاء الاصطناعي حتى انتشرت المخاوف من سيطرته على البشر وإحالتهم على التقاعد المبكر والقيام بمهام دقيقة حتى في الحياة المنزلية، الا أن العلماء يعلمون جيدا أنهم لم يفكوا بعد كل شيفرات الدماغ المعقدة، وهم على يقين تام من أن قدرة الذكاء الاصطناعي ستتوقف عاجزة أمام العقل البشري المذهل.

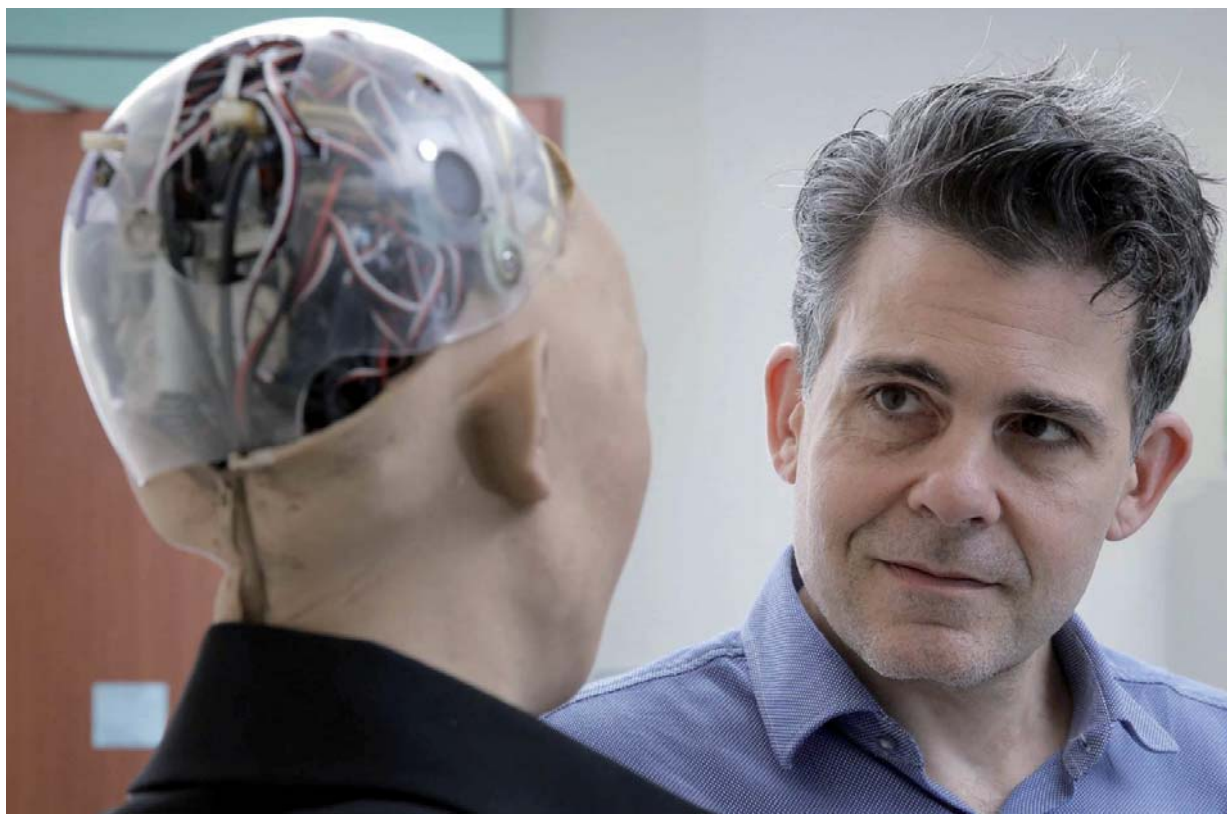

قدرة الذكاء الاصطناعي تتوقف عاجزة أمام الدماغ البشري

❏ **لندن** – منذ منتصف القرن الماضي ظهرت ورقات بحثية تتساءل عن إمكانية تحقيق ذكاء اصطناعي للآلات، يجعلها تفكر بطريقة بشرية، وبدأت المؤسسات العلمية والبحثية في تدشين تجاربها وبرامجها سعيا لحل هذه المُعضلة.

وعلى الرغم من التطور الهائل الذي لحق بمفهوم الذكاء الاصطناعي خلال هذه السنوات، إلا أن العلماء والباحثين أدركوا أن الأمر ليس بهذه السهولة والتلقائية ابدا، وأنهم كلما توصلوا إلى إنجاز في هذا الشأن، ظهرت لهم معوّقات أخرى ومشاكل متعددة تزيد من تعقيدها.

وعلى الرغم من المخاوف المتعددة من سيطرة الذكاء الاصطناعي على العالم واستعباد البشر، مازال هذا الاحتمال مستبعدا، وخاصة عندما يستمر باتخاذ قرارات غبية تلو الأخرى، كأن يقف أمام الباب في لعبة كمبيوتر مبنية على اختيار الأوامر ويختار "حرق المنزل" أو "ري الغابة" بدلا من "طرق الباب".

> لا تستطيع برمجية الذراع الاصطناعية أن تتابع كافة الوسائل التي يحاول بها الدماغ أن يتحكم بالذراع

وكشفت دراسة أجراها باحثون من جامعتي أوكسفورد البريطانية وييل الأميركية في 2017، أن هناك احتمالا بنسبة 50 بالمئة بأن يتفوق الذكاء الاصطناعي على الذكاء البشري في جميع المجالات في غضون 45 عاما كما من المتوقع أن يكون قادرا على تولي كافة الوظائف البشرية في غضون 120 عاما. ووفقا للدراسة، فإن "الآلات ستتفوق على البشر في ترجمة اللغات بحلول عام 2024، وكتابة المقالات المدرسية بحلول عام 2026، وقيادة الشاحنات بحلول عام 2027، والعمل بتجارة التجزئة في 2031، بل وفي كتابة واحد من أفضل الكتب مبيعا بحلول عام 2049، وفي إجراء الجراحات بحلول عام 2053".

وفي المقابل يشير جستين سانشيز من وكالة مشاريع البحوث المتطورة الدفاعية "داربا" في ورقة بحثية نشرتها صحيفة وول ستريت جورنال إلى أن الكمبيوترات والأدمغة تعالج المعلومات بصورة مختلفة جدا، ولذلك لا تستطيع برمجية الذراع الاصطناعية أن تتابع كافة الوسائل التي يحاول بها الدماغ أن يتحكم بالذراع، فتمضي الأطراف الاصطناعية وقتا طويلا بلا حراك.

وحول توائم برمجيات الذكاء الاصطناعي بصورة أفضل مع الكيفية التي تعمل بها الأدمغة البشرية، ترى وكالة داربا أن ذلك يتم عن طريق تدريب الذكاء الاصطناعي على قراءة إشارات الدماغ والتكيف معها، كي يتعلم ما يفكر به الدماغ والكيفية التي يفكر بها؛ أي تدريب الذكاء الاصطناعي على التصرف كالدماغ البشري.

وفي علاقة الذكاء الاصطناعي بالعقل البشري يعمل عدد من العلماء على تطوير خوارزميات يمكنها قراءة أفكار الإنسان ورؤية ما يدور داخل عقله.

وأعلن علماء الذكاء الاصطناعي في الصين وأميركا واليابان عن أبحاث تؤكد قدرة الكمبيوتر على تكرار ما يفكر به الإنسان.

وتعتمد هذه العملية على أجهزة التصوير بالرنين المغناطيسي التي تقيس نشاط الدماغ المرتبط بالشبكات العصبية العميقة، ما يسمح له برؤية الطريقة التي يؤدي بها الدماغ البشري وظائفه.

هذا لا يعني أن الآلة سيكون بإمكانها التخاطر مع العقل البشري والتخاطر هو الإحساس عن بعد، وتواصل المشاعر والأفكار من غير توسُّط أدوات الحسّ، أو توارد فكرة معيّنة على خاطري شخص وكمبيوتر.

فقط ستكون الآلة قادرة على معرفة ما يريده الإنسان في ظروف معينة، كأن يتعرف على صورة معروضة أمام إنسان كان يعرفها في السابق، وبالتالي تستطيع الآلة معرفتها من خلال تحليل نشاط دماغ الإنسان وذكرياته عنها.

وأعلنت مختبرات يابانية للعلوم العصبية وجامعة "كيوتو" عن تطوير خوارزمية تسمح للآلة بإعادة رسم أو تصميم صورة معينة بناء على تفكير الإنسان بها، حتى لو لم تكن الآلة مدربة على تصميم التفاصيل التي يفكر بها العقل البشري.

علماء من جامعة "كارنيجي ميلون" في الولايات المتحدة الأميركية، يدعون أيضا اقترابهم من تصميم خوارزمية يمكنها توقع ما يفكر به الإنسان، عن طريق فك شفرات الدماغ.

وتوجد حاليا أنظمة اصطناعية ليست أقل شأنا من الإنسان في حل المسائل التطبيقية، كما أن العقل الاصطناعي تجاوز الإنسان في مسألة التعرف على الوجوه وعلى لغة المخاطبة والتعرف على الأشكال في اللوحات ذات الخلفية المعقدة.

وفي المقابل يؤكد الكثير من العلماء أن مرحلة وصول الذكاء الاصطناعي إلى مستوى الذكاء البشري نفسه، ستتطلب حتما فترة طويلة، ربما تبوء بالفشل الذريع في النهاية، ففكرة تدريب الذكاء الاصطناعي على قراءة إشارات الدماغ تبدو جيدة، لكنها تغض الطرف عن عقبة كبيرة تعثر بها باحثون كثر في سباقهم نحو آلة ذكية تماما، وهي معرفة كيفية عمل الدماغ في المقام الأول، إذ يترتب على تلك المعرفة تحقيق اتصال مباشر بين الدماغ والآلة، والذي من شأنه إن حدث، أن يمنح مبتور اليد تحكما تاما بأطرافه الاصطناعية.

وتسعى وكالة داربا إلى ابتكار ذكاء اصطناعي يحاكي الدماغ البشري كي يحقق ذلك التحكم التام، غير أنها فكرة يستحيل تنفيذها اليوم على أرض الواقع.

والحقيقة أن بعض العلماء تمادوا في تشبيههم للذكاء الاصطناعي بالدماغ البشري، فذهبوا إلى دراسة قدرة الذكاء الاصطناعي على الهلوسة أو الاكتئاب، لكن آخرين يؤكدون أن معرفتنا بالدماغ البشري مازالت ضئيلة، فضلا على أن عددا من كبار الباحثين في الذكاء الاصطناعي يرون أن محاولات محاكاة الدماغ البشري وفك تشفيره ليست إلا مضيعة للوقت. ويصف الفيزيائي في معهد ماساتشوستس للتقنية ماكس تجمارك خلال حلقة نقاشية عن الذكاء الاصطناعي عقدت في سبتمبر الماضي، محاولات إعادة ابتكار الدماغ البشري رقميا على أنها "شوفينية كربونية"، مضيفا "نحن مهووسون كثيرا بكيفية عمل أدمغتنا، ويظهر هذا في رأيي افتقارا للمخيلة الخصبة".

ويقول بارت سلمان وهو باحث ذكاء اصطناعي في جامعة كورنيل، "يتجسد التقدم الرئيسي حاليا وفي المستقبل القريب في الوصول إلى أداء يضاهي المستوى البشري دون الخوض في تفاصيل الدماغ البشري وإدراك خباياه".

وداعا لكلمات المرور.. الإنترنت تتجه نحو وسائل أمان بيومترية

❏ أصبحت أيام كلمات المرور البسيطة معدودة، وهذا أمر جيد باعتبارها أصبحت سهلة الاختراق بالبرامج الخبيثة، لذلك تحاول شركات التكنولوجيا التخلص من كلمات المرور، إذ أطلقت منظمات معايير الإنترنت مواصفات جديدة لمعيار يسمح لمتصفحات الويب ومواقع الويب بدعم طرق التشفير البيومترية بدلا من كلمات المرور.

وتقول رابطة الشبكة العالمية، المنظمة الدولية التي تضع معايير شبكة الإنترنت، إن أسلوبا جديدا سيغير طريقة ولوج المستخدمين إلى المواقع الإلكترونية.

الأسلوب الجديد، أو واجهة برمجة التطبيقات (أيه بي آي)، والمسمى "ويب أوثنتيكيشن" أي "مصادقة الويب"، سيمكن مستخدمي شبكة الإنترنت من ولوج المواقع التي تتطلب كلمات سر باستخدام أجهزة يمتلكونها بدلا من ذلك.

ومثال ذلك، إذا أراد مستخدم دخول موقع فإنه يدخل اسم المستخدم فيما ترسل الواجهة الجديدة رابطا إلى هاتفه الذكي ينقره المستخدم، أو عبر ماسحات البصمة المتاحة على هذه الهواتف ليلج الموقع من دون الحاجة لكلمة سر.

الأرقام والحروف سهلة القرصنة

ويمكن إدماج "ويب أوثنتيكيشن" في متصفحات الإنترنت. وتعطي الواجهة الجديدة المستخدمين خيارات جديدة لتأمين دخولهم إلى شبكة الإنترنت.

استخدام معيار مصادقة الويب على الهاتف الذكي سهل جدا، لكن ما حال الأجهزة التي لا تحتوي على قارئ بصمات أو جهاز للتعرف على الوجوه؟ ستحتاج عندها إلى قطعة خارجية من الأجهزة للامتثال لمعيار مصادقة الويب، وربما لا يكون هذا أمرا سلسا، لكن شركات الأمن الإلكتروني مثل يوبيكو طورت مفاتيح تشبه وحدات الذاكرة الفلاشية وتعمل كمصادق.

وحسب بيان رابطة الشبكة العالمية فإن شركات غوغل ومايكروسوفت وموتزيلا بدأت بإدماج الواجهة الجديدة في متصفحات الإنترنت التي تملكها.

ويدعم متصفح فايرفوكس "فايرفوكس موتزيلا" في الوقت الحالي هذه التكنولوجيا، والتي يجب أن تصل إلى متصفح كروم "غوغل كروم" من غوغل و"إيدج ميكروسوفت" من مايكروسوفت خلال الأشهر القليلة القادمة، في حين التزم متصفح أوبرا بدعم تكنولوجيا "ويب أوثنتيكيشن".

ولم تقدم شركة أبل أي إشارات على نيتها في استخدام التقنية ضمن متصفح سفاري حتى اليوم، على الرغم من أنها بدأت العمل مع مجموعة عمل مرتبطة بالموضوع، وقد تواكب الركب قريبا في تبني التقنية. وقد تؤدي هذه الخطوة تقنيا إلى إنشاء شبكة إنترنت أكثر أمانا، إذ نظرا لظهور سلسلة طويلة من عمليات الاختراقات والخداع وسرقة البيانات على مدار السنوات القليلة الماضية، فإن كلمات المرور وحدها ليست بالضرورة ضمانة مناسبة للحفاظ على البيانات، مما دفع الشركات إلى الانتقال لطريقة المصادقة الثنائية، والتي تتطلب من المستخدمين إدخال رمز تم إرساله إلى هواتفهم الذكية بالإضافة إلى كلمة مرور للتحقق منها.

ويبدو أن هذه الطريقة لا تزال غير آمنة بالمقارنة مع القياسات الحيوية، إذ خلال حدث كشف النقاب عن هاتف آيفون الجديد في شهر سبتمبر من العام الماضي تحدثت أبل بالتفصيل عن الأمن البيومتري، وقالت الشركة إن الماسح الضوئي لبصمات الأصابع يمكن خداعه في حالة من أصل 50 ألف حالة، في حين قفز هذا الرقم إلى حالة من أصل مليون حالة مع الماسح الضوئي للوجه.

وتجدر الإشارة إلى أنه بالرغم من أنك قد لا تتمكن من التخلي على الفور عن جميع كلمات المرور الخاصة بك، ولكن يمكن لهذه التكنولوجيا أن تتيح لك الاعتماد على تسجيلات الدخول البيومترية أكثر بشكل مستمر بالمقارنة مع الماضي، ويمهد هذا المعيار الطريق لمواقع الويب والمتصفحات لدعم بدائل لكلمات المرور، ولكن يقع العبء الآن على مالكي مواقع الويب وشركات متصفحات الويب لدعمه.

متفرقات

اكتشاف أول إشارة على «الحياة بعد الموت»

❏ أجرى علماء تجربة طموحة، تلقوا خلالها معلومات فريدة عن نشاط الدماغ في الحياة ولحظة الموت وبعدها مباشرة. وكان أهم إنجاز للعلماء في هذه التجربة اكتشافهم أدلة غير مباشرة على احتمال استمرار الحياة بعد موت جسم الإنسان. واعتمد العلماء في هذا الاكتشاف على رصدهم زخما (نبضا) كهربائيا قويا منبعثا من دماغ الشخص الميت.

ووفقا للباحثين، وبعد وفاة الشخص، تصبح هذه الإشارات التي أطلقوا عليها اسم "انتشار الاكتئاب" مكثفة وأقوى مما في الحياة. واستنادا إلى هذا أعلن العلماء أن نظرية وجود الحياة بعد الموت ليست من دون أساس..

ويذكر أن العديد من العلماء واثقون من أن وعي الإنسان لا يتوقف عن كينونته حتى بعد الموت.

جديد غوغل.. تنبيه عن المكالمات المزعجة

❏ أصدرت غوغل برنامجا تجريبيا لاختبار خاصية تصفية المكالمات المزعجة، وذلك استعدادا لطرح الخدمة خلال الأسابيع القادمة.

وكانت شركة غوغل قد أصدرت خصائص متميّزة تنبه المستخدم للجهات المتصلة التي يُشتبه في كونها مزعجة، وذلك بأن تومض شاشة الهاتف باللون الأحمر ويظهر التنبيه "المُتصل قد يكون مزعجا" تحت رقم الهاتف لتحذير المستخدم.

أما التحديث الجديد فسيقوم بتصفية المكالمات تماما، أي أن المكالمة سيتم تحويلها آليا إلى جهاز الرد الصوتي الآلي دون إزعاج المستخدم بأي شكل، ولن تظهر حتى عبارة "مكالمة لم يرد عليها" على شاشة الهاتف في هذه الحالة.

التعرف على المتاجر الإلكترونية المزيفة

❏ حذر مركز حماية المستهلك بولاية بريمن الألمانية من عمليات النصب والاحتيال عن طريق الدفع المسبق للمشتريات عبر الويب.

وينصح الخبراء الألمان المستخدم عند اكتشاف متجر إلكتروني يعرض منتجات بأسعار منخفضة للغاية، بضرورة التحقق من صحة هذا الموقع، حتى لا يتم التعامل مع المواقع المزيفة أو المتاجر الإلكترونية الوهمية.

ومن ضمن العلامات التي تشير إلى المواقع المزيفة، عدم وجود بيانات عن الجهة المشغلة للموقع أو عدم اكتمال هذه البيانات، كما أن طريقة الدفع المسبق تكون هي طريقة الدفع الوحيدة المتوفرة على الموقع، علاوة على أن عنوان الإنترنت يكون مشابها للشركة المنتجة للعلامة التجارية.

وإذا تعرض المستخدم لعملية احتيال بواسطة أحد مواقع الويب المزيفة فلا بد من الاتصال بالبنك أو المؤسسة المالية من أجل التراجع عن عملية الدفع. وإذا قام المستخدم بالكشف عن بيانات الحساب البنكي أو بطاقة الائتمان فلا بد أن يقوم بحظر استعمالها على الفور.

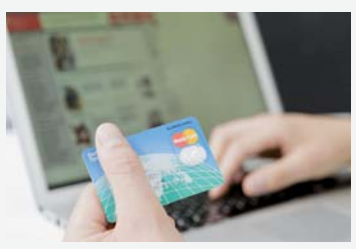

رياضة «تاي تشي» تعزز قدرة الرئتين وتنشط الدورة الدموية

التدريب بديل فعال لعلاجات الانسداد الرئوي

تساعد رياضة "تاي تشي" على تحسين التنفس وتنشيط الدورة الدموية بشكل أكثر فاعلية وسلامة، من علاجات التأهيل التي يصفها الأطباء للمصابين باضطرابات في الجهاز التنفسي أو من يعانون من بعض المشكلات بالقلب والأوعية الدموية.

❑ **بكين** – أفادت دراسة صينية حديثة بأن رياضة "تاي تشي"، يمكن أن تكون بديلا فعالا لبرامج إعادة التأهيل الرئوي التي تساعد في علاج مرض الانسداد الرئوي المزمن.

الدراسة أجراها باحثون بمختبر أمراض الجهاز التنفسي الحكومي في مدينة قوانغتشو الصينية، ونشروا نتائجها في دورية "تشاست" العلمية.

والانسداد الرئوي المزمن، هو أحد أمراض الرئة الخطيرة، التي تجعل التنفس صعبا، وتزداد حالة المريض سوءا مع مرور الوقت إذا لم يتم علاجها، وتشمل أعراضه الصفير والسعال وضيق الصدر وصعوبة التنفس.

وبجانب العلاجات التقليدية، عادة ما يحتاج مرضى الانسداد الرئوي المزمن إلى برامج إعادة التأهيل الرئوي التي تهدف إلى معالجة الأعراض وتحسين الأنشطة اليومية، وتتمثل في النشاط الجسدي لرفع قدرة التحمل وطريقة التنفس لتحسين فعالية الرئتين والتغذية الملائمة والدعم والإرشاد. غير أن برامج إعادة التأهيل الرئوي قد لا تكون متاحة لجميع المرضى، خاصة من يسكنون في المناطق النائية، لذلك اختبر الباحثون فاعلية رياضة "تاي تشي" كي تكون بديلا لتلك البرامج.

وراقب الباحثون 120 مشاركا صينيا كانوا يعانون من مرض الانسداد الرئوي المزمن، وبدأوا يتناولون عقار "إنداكاتيرول" عادة لمرضى الذي يوصف المزمن لتوسيع الانسداد الرئوي الهوائية. الشعب

وقسّم الباحثون المشاركين إلى مجموعتين؛ الأولى انخرطت في برامج إعادة التأهيل الرئوي، فيما انخرطت المجموعة الثانية في رياضة "تاي تشي" الصينية لمدة 5 ساعات أسبوعيا، واستمرت لمدة 12 أسبوعا.

وقيّم الباحثون نتائج المتدخلين باستخدام أداة قياس تستخدم لمراقبة النتائج الصحية عند الأشخاص المصابين بأمراض الجهاز التنفسي.

ووجدوا أن رياضة "تاي تشي" الصينية كانت بديلا مناسبا لبرامج إعادة التأهيل الرئوي، كما أنها حققت نتائج أكثر استدامة.

وقال الباحثون إن تنفيذ برامج إعادة التأهيل الرئوي المعروفة، يتطلب مهنيين مدربين وعيادات خاصة، ما يجعل العلاج مكلفا ويصعب الوصول إليه بالنسبة إلى الكثير من المرضى.

> ممارسة رياضة «تاي تشي» التي تشمل التنفس العميق والحركات البدنية البطيئة والخفيفة تعد أكثر ملاءمة لمرضى القلب

كما كشفت دراسة جديدة أجرتها جمعية القلب الأميركية أن ممارسة رياضة "تاي تشي" الصينية تساعد على تحقيق نفس تأثير إعادة تأهيل القلب للمرضى الذين يرفضون برامج إعادة تأهيل القلب التقليدية.

وأوضحت الدراسة التي أشرف عليها أستاذ مساعد في كلية الطب بجامعة براون في الولايات المتحدة، أن أكثر من 60 بالمئة من مرضى القلب يرفضون المشاركة في البرامج التقليدية لإعادة تأهيل القلب لأن الكثير منهم يعتقدون أن هذه البرامج تسبب لهم الكثير من الألم، أو أن حالتهم البدنية ليست مناسبة لها، إلا أن ممارسة رياضة "تاي تشي" التي تشمل التنفس العميق والحركات البدنية البطيئة والخفيفة تعد أكثر ملاءمة لهم.

وذكرت وكالة أنباء شينخوا الصينية أن الدراسة قد أُجريت في مستشفى ميريام في "بروفيدانس" عاصمة الولاية الأميركية "رود إيلاند"، وتضمنت 8 نساء و21 رجلا، بلغ متوسط أعمارهم 67.9 سنة، وكان معظمهم قد تعرضوا لنوبة قلبية سابقة أو أجروا جراحات لفتح شريان القلب المسدود.

وتم تقسيم المرضى الذين شملتهم الدراسة إلى مجموعتين؛ الأولى شاركت في برنامج علاجي استمر 12 أسبوعا، والثانية شاركت في آخر استمر 24 أسبوعا، وتلقى جميع المرضى "سيديهات-دي في دي" تعليمية ليتمكنوا من ممارسة "تاي تشي" في المنزل بمفردهم.

وأظهرت النتائج أن تلك الرياضة قوبلت بثناء كبير من المشاركين الذين أكدوا أنهم شعروا براحة بدنية ونفسية كبيرة أثناء ممارستها، وقالوا إنهم سيوصون جميع أصدقائهم بها.

ووجدت الدراسة أيضا أنه على الرغم من عدم تحسن القدرة الشاملة لهؤلاء المرضى على ممارسة التمارين الرياضية المُجهدة، إلا أن نشاطهم البدني قد تحسن بشكل ملحوظ، وعلى المدى البعيد سيشهدون معدلات أعلى بكثير.

وسبق أن كشفت دراسة أجرتها جامعة هان يانغ الطبية الكورية الجنوبية حول كيفية الوقاية من أمراض القلب، أن ممارسة رياضة "تاي تشي" تساعد على تحسين وظيفة بطانة الأوعية الدموية وتصلب الشرايين، مما يقلل من مخاطر إصابة مرضى التهاب المفاصل الروماتويدي بأمراض القلب.

واختار الباحثون 56 مريضة لا تزيد أعمارهن عن 50 سنة يعانين من التهاب المفاصل الروماتويدي أو الروماتيزم، وحالتهن مستقرة، ومن بينهن 29 امرأة يمارسن رياضة "تاي تشي"، و27 امرأة وضعن كمجموعة للمراقبة.

وعرضت المجموعة الأولى لممارسة رياضة "تاي تشي" لمدة 60 ثانية للمرة الواحدة خلال 3 أشهر، وأظهرت النتائج أن مؤشرات تصلب الشرايين عند المريضات الممارسات لـ"تاي تشي" قد تحسنت، بعكس المجموعة الأخرى.

وبالإضافة إلى ذلك، شهدت المجموعة التي تمارس "تاي تشي" انخفاض مستوى الكولسترول الكلي في الدم.

وتُمارس رياضة "تاي تشي" بأدوات مختلفة مثل العصا والمنديل والسيف، ولها 13 وضعا أساسيا، وكما هو معروف فهي رياضة تستمد قوتها من الطبيعة وانسيابية الحركة الكونية التي تدمج العقل والروح.

وأوضح الباحثون أن رياضة "تاي تشي" لها فوائد صحية عديدة، لا تقتصر على خفض ضغط الدم وتحسين صحة القلب وعلاج أمراض الجهاز التنفسي، بل يمكن أن تساعد أيضا في تحسين التوازن والمرونة لدى كبار السن.

تمارين التاي تشي ترفع قدرة التحمل

ونشأت رياضة "تاي تشي" في الأصل كأحد فنون الدفاع عن النفس في الصين في القرن الثالث عشر، لكنها الآن أصبحت فنا شعبيا يعمل على تقوية العضلات وزيادة ليونة المفاصل وتخفيف الضغط.

وتعد رياضة عسكرية دفاعية تتعلمها الأجيال الصينية جيلا بعد جيل. وتقوم هذه الرياضة على مبدأ أن التمرين المستمر يساعد على تدريب الجسم والاستجابة السريعة حال الأزمات، كما أنها تساعد في عمليات الاسترخاء والتركيز السلبي.

ويعني مصطلح تاي تشي باللغة الصينية القوة المطلقة، حيث أن بإمكان الشخص أن يرى ازدواجية ديناميكية في كل الأشياء التي تحيط به، فيرى السلبي والإيجابي والظلام والنور.

وتعتمد "تاي تشي" على أداء حركات دائرية باسترخاء وانسيابية وبطء شديد، والمشي بخطوات أكثر ثباتا مع تنظيم التنفس والتفكير، وتهدف للسيطرة على الجسد والعقل.

ولا تحتاج هذه الرياضة إلى قاعة كبيرة، بل تكفي 10 أقدام مربعة من المساحة للقيام بالتمارين ويمكن أداؤها في الحديقة العامة أو على الشاطئ.

وأفادت بيتي شوتيرلاند خبيرة رياضة "تاي تشي"، التي تدرسها على مدى 20 عاما، أنه من الممكن ممارسة هذه الرياضة من دون الحاجة للوقوف. وأضافت في فيديو نشره موقع "بيلد" الألماني أن التمارين لا تستغرق أكثر من خمس دقائق.

ومن التمارين التي نصحت بيتي بالقيام بها تمرين "بناء جسر"، وهو تمرين يساعد على التأمل. وللقيام به ينبغي لمس سقف الحلق بواسطة اللسان مع إرخاء الفك والتنفس بعمق عبر الأنف، هذا التمرين يساعد على الاسترخاء ويمكن القيام به لدى الشعور بالتوتر.

أماكن العمل تقيد الحركة وتزيد من الوزن

❑ **واشنطن** – يكتسب الكثير من الناس الوزن الزائد نتيجة بعض العادات السيئة اليومية، في أيام العمل، ولا سيما من يعملون في وظائف مكتبية لا تتطلب الكثير من الحركة.

وبحسب ما ورد في موقع "بولدسكاي"، المعني بالشؤون الصحية، فإن هناك العديد من الأسباب التي تجعلنا نكتسب هذه الكيلوغرامات غير المرغوب فيها بأماكن أعمالنا. وتلك الأسباب تشمل:

● المشاركة في الطعام حتى في حالة الشبع: في عيد ميلاد أحد الزملاء أو إحدى الزميلات يتم إحضار بعض أنواع البسكويت المطهوة في المنزل لتوزيعها على البقية. أحد الزملاء يرغب في شخص ليشاركه وجبة الغداء. وفي الكثير من الأحيان يتشارك الموظفون الطعام، حتى بعد الانتهاء من الأكل.

● عدم التفكير قبل اختيار الطعام: ففي العادة عندما يكون يوم العمل مزدحما بكل تلك الضغوط والاجتماعات، ولا يجد الموظف الوقت الكافي لكي يعد طعاما منزليا صحيا، فإنه يفكر في تناول الوجبات السريعة أو البيتزا المليئة بكميات كبيرة من الدهون والمكونات غير الصحية.

أظهرت دراسة أميركية حديثة أن بعض المنتجات الكيميائية المستخدمة في تغليف الأطعمة وعلى أوعية القلي غير القابلة للالتصاق وفي الملابس تزيد من خطر الوزن الزائد خصوصا لدى النساء من خلال التأثير على عمل الأيض في الجسم.

وأكد المعد الرئيسي للدراسة تشي سون من قسم التغذية في جامعة هارفرد "للمرة الأولى سمحت نتائجنا باكتشاف مسار جديد يمكن من خلاله للمركبات الألكايلية المشبعة بالفلور أن تتدخل في وضع كتلة الجسم لدى البشر والمساهمة بالتالي في انتشار معضلة البدانة".

هذه الدراسة التي نشرت نتائجها في مجلة "بلوس ميديسين" المتخصصة وقد أجريت في العقد الماضي، ركزت على آثار أربع حميات غذائية جرى اتباعها خلال عامين. وتم قياس فقدان الوزن ومعدلات المركبات الألكايلية المشبعة بالفلور في الدم لدى 621 مشاركا يعانون البدانة أو الوزن الزائد. وفي المعدل، فقد المشاركون 6.4 كيلوغرامات خلال الأشهر الستة الأولى غير أنهم استعادوا 2.7 كيلوغرام خلال السنة ونصف السنة التالية.

وجاء في الدراسة "أولئك الذين استعادوا الوزن الأكبر هم أيضا أولئك الذين كانت لديهم المعدلات الأعلى من المركبات الألكايلية المشبعة بالفلور في الدم، وهذا الرابط كان أعلى لدى النساء".

وتنتشر المركبات الألكايلية المشبعة بالفلور في بيئتنا منذ 60 عاما وقد تسببت خصوصا في تلويث المياه قرب المواقع الصناعية والقواعد العسكرية ومصانع تكرير المياه.

ولفت فيليب غرانجان المشارك في إعداد الدراسة وهو باحث أيضا في جامعة هارفرد إلى أن "النتائج تشير إلى أن تفادي التعرض للمركبات الألكايلية المشبعة بالفلور أو الحدّ منها من شأنه المساعدة في الإبقاء على كتلة الجسم عند مستوى ثابت بعد فقدان الوزن خصوصا لدى النساء".

● الإضاءة ودرجة حرارة الغرفة: توصل الباحثون إلى أن الغرف ذات الإضاءة المعتمة تحفز الشهية وتجعل المرء يتناول كميات أكبر من الأطعمة، بينما لا يحدث ذلك في حالة وجوده في غرفة مضاءة جيدا. كذلك إذا كانت درجة حرارة الغرفة تميل إلى البرودة، فإن ذلك يدفعه لتناول كميات أكبر من الطعام.

● العمل لساعات طويلة وقلة النوم: بلا شك فإن زيادة ساعات العمل تساهم في زيادة الوزن، وذلك بسبب قضاء معظم ساعات اليوم في المكتب، فليس هناك وقت فراغ كاف للمشي أو القيام ببعض التمارين الرياضية. كما أن قلة النوم تحفز الشهية وتسبب الشعور بالجوع خلال فترات الليل على الأخص. وتوصلت دراسة جديدة إلى أن التخلص من الدهون الزائدة ربما يصبح مهمة أصعب إذا لم يحصل الإنسان على قسط كاف من النوم.

وطلب الباحثون من 15 بالغا من ذوي الأوزان الزائدة أو البدناء التركيز على تقليل السعرات الحرارية في نظامهم الغذائي فيما طلبوا من 21 مشاركا آخرين خفض السعرات الحرارية والنوم لعدد ساعات أقل، وذلك على مدى ثمانية أسابيع.

وبنهاية التجربة، خسر كل المشاركين في الدراسة نحو 3.2 كيلوغرامات من الوزن، لكن أعضاء المجموعة التي كان عدد ساعات النوم فيها أقل خسروا دهونا أقل بينما زادت نسبة الأنسجة الرخوة في أجسامهم.

وتقول كريستن كنوتسن، وهي باحثة في مجال النوم في "كلية فينبرغ للطب" في جامعة نورثوسترن بمدينة شيكاغو المزيد والمزيد من الطعام.

> في الكثير من الأحيان، يتشارك الموظفون الطعام حتى بعد الانتهاء من أكل وجباتهم وهو ما يزيد كمية السعرات الحرارية

الجوائز الأدبية نافذة المبدعين الشباب للوصول إلى الجمهور

النقاد لا يهتمون بالقراءة إلا لأسماء بعينها في ساحة مزدحمة تظلم الشباب

وجد الكثير من الشباب في الجوائز الأدبية، فرصة للانتشار والوصول إلى الجمهور، كما يعتبرونها بمثابة اعتراف من المؤسسات المعنية بالثقافة بموهبتهم، فضلا عن أنها تفتح عيون النُقاد على إبداعاتهم التي لا يعرفها أحد، إلا أن المشكلة لدى البعض تكمن في نسبية تعريف الشباب والتفاوت الكبير بين الأعمار في المسابقة الواحدة.

مثال عربي في الانطلاق من الجوائز العربية نحو العالمية

مصطفى عبيد
كاتب مصري

القاهرة – يشعر الشباب المُبدع في العالم العربي بالإحباط بسبب تجاهل المؤسسات الثقافية الرسمية والنقاد لهم، ورغم التطور الواضح في أنماط الكتابة لدى الأدباء الشُبان عن الأجيال السابقة وتميز عدد كبير منهم، إلا أنهم يعانون من الإقصاء والتهميش مع وجود استثناءات قليلة أو نادرة.

منحت مؤسسات عربية معنية بالثقافة والإبداع نافذة أمل للأدباء الشباب للاعتراف بإبداعاتهم عبر مسابقات اكتشاف المواهب في الكتابة وتقدير التجارب الفائزة والتفاعل معها، وتصاعد الاهتمام بالمسابقات بين المُبدعين الصغار، وتولدت حالة من المنافسة الجادة، أملا في حجز مكان لهم على الساحة الثقافية في العالم العربي.

أسماء بارزة

عرف جمهور الأدب العربي في السنوات العشر الأخيرة الكثير من الأسماء اللامعة في عالم الكتابة الروائية والقصصية من خلال الجوائز. وسلطت ترشيحات القوائم الطويلة والقصيرة لجائزة الرواية العربية "البوكر" في الإمارات الضوء على جيل من المُبدعين العرب تقل أعمار مُعظمهم عن الأربعين.

وبرز اسم الكاتب العراقي أحمد سعداوي الفائز بجائزة البوكر العربية سنة 2014 عن رواية "فرانكشتاين في بغداد"، من خلال الجوائز الكُبرى، وصدرت له رواية "البلد الجميل" وعُمره 31 عاما وفازت بجائزة دبي للرواية سنة 2004. وكانت عاملا في ترجمة رواياته إلى الإنكليزية والفرنسية والألمانية ووصلت نُسخته المترجمة من "فرانكشتاين" بالإنكليزية إلى القائمة الطويلة في مسابقة "مان بوكر" البريطانية.

ويعد الكاتب الكويتي سعود السنعوسي (37 عاما)، مثال آخر، حيث لمع اسمه بعد فوزه عام 2010 بجائزة ليلى عثمان لإبداع الشباب عن روايته "سجين المرايا"، قبل أن يتوج مسيرته عام 2013 بحصوله على جائزة "البوكر"عن رواية "ساق البامبو".

بدوره الكاتب السعودي محمد حسن علوان من مواليد 1979 فاز بجائزة البوكر العربية في الرواية عام 2017 عن روايته "موت صغير". وكانت الأوساط الثقافية التفتت إليه عام 2013 عندما رشحت روايته " القندس" ضمن القائمة القصيرة في مسابقة البوكر العربية.

كما كانت البوكر أيضا سببا لاهتمام النُقاد بالروائي المصري محمد ربيع البالغ من العُمر 40 عاما عندما اختيرت روايته "عطارد" ضمن القائمة القصيرة سنة 2016.

وفتحت جوائز أخرى شهية الشباب العربي للمزيد من الإبداع، لأنها خُصصت تحديدا لهم. وتختلف شروطها نسبيا من دولة إلى أخرى وإن كان يجمعها أمران، الأول: تسميتها بأسماء مثقفين ومبدعين عرب ورجال أعمال مُهتمين بالإبداع، والثاني تركيزها على اكتشاف مواهب حقيقية من خلال معايير نزيهة وشفافة في الترشيحات. ويرى الأدباء الشباب في تلك الجوائز مُحفزا حقيقيا لهم للحرص على الإجادة وتطوير أدواتهم وقدراتهم. كما يعتبرونها بمثابة اعتراف من المؤسسات المعنية بالثقافة بموهبتهم، فضلا عن أنها تفتح عيون النُقاد على إبداعاتهم التي لا يعرفها أحد.

تحفيز الإبداع

تتعدد الجوائز المُخصصة للشباب في العالم العربي، غير أن أبرزها في مجال الأدب هي جائزة الشيخ زايد للآداب "فرع المؤلف الشاب" وتشترط ألا يزيد عُمر المرشح للجائزة عن أربعين عاما.

وتُعد أيضا جائزة الشارقة للإبداع أحد الجوائز الهامة الموجهة للشباب، وتشمل ستة فروع، هي: الرواية والشعر والقصة القصيرة والمسرح وأدب الطفل والنقد. وتكرر الجائزة شرط الأربعين عاما للمتسابق.

وفي كل دولة عربية جوائز تشجيعية للإبداع الأدبي من بين عدة فروع معرفية تمنحها الحكومات ممثلة في وزارة الثقافة، وإن كانت تلك الجوائز محل تشكيك متكرر من المثقفين المُستقلين عن الدولة، الذين دائما ما يرون فيها محلا للمُجاملات والمواءمات السياسية.

ويقول أحمد القرملاوي الأديب المصري الفائز مؤخرا بجائزة الشيخ زايد فئة المؤلف الشاب عن روايته "أمطار صيفية " الصادرة عن الدار المصرية اللبنانية، إن "الجوائز الأدبية بشكل عام مُحفز جيد لحركة الثقافة والإبداع الشبابية".

ويرى القرملاوي، المولود في مصر عام 1978 وتخرج من كلية الهندسية سنة 2003، مُفتتحا مشروعه الأدبي بمجموعة قصصية بعنوان "أول عباس" قبل أن يصدر روايته "دوستينو"، أن تخصيص فروع للشباب ضمن الجوائز الثقافية الكُبرى ضروري لأنه يدفع النُقاد إلى الاهتمام بمبدعين صغار لم يحوزوا الاهتمام من قبل.

ويضيف في تصريحات لـ"العرب"، أن "المشروع الأدبي لأي كاتب يتطور مع الزمن، وهناك خبرات معرفية للأكبر سنا تمنحه قدرا من التميز عن أصحاب الأعمال الأولى". من هنا فإنه يرى أنّ مشاركة الأدباء الكبار إلى جانب الصغار في مسابقة واحدة يقلل بدون شك من فرص الشباب في التحقق.

وأوضح، أنه يمارس مهنة الكتابة منذ سنوات عديدة، ولا يلقى، مثل كثير من أبناء جيله، اهتماما من النقاد بسبب ازدحام الساحة الثقافية بالنصوص وصعوبة اكتشاف مواهب جديدة بين آلاف الكُتاب.

ويقر أنّ" كبار النقاد لا يهتمون بالقراءة إلا لأسماء بعينها يعرفون تميزها". ويضيف "إنني في الكثير من الأحيان ألتمس لهم العذر، لأن هناك أعمالا عديدة ضعيفة فنيا، وقراءة كافة الأعمال تستغرق وقتا طويلا".

عندما أصدر القرملاوي عمله الأدبي الأول لم يجد اهتماما من الأوساط الأدبية ولم توزع مجموعته القصصية سوى 200 نسخة، وهو أمر محبط بالنسبة له، غير أن معظم الأدباء الجدد يتشاركون في ذلك.

وبخلاف مقال صغير كتبه الناقد الراحل علاء الديب قبل سنوات عن ذلك العمل، فإن أحدا من النقاد لم يلتفت للكاتب على حد قوله.

ويلاحظ البعض أنّ كتابات بعض الحاصلين على الجوائز تتغير بعد نيلهم التكريم إيمانا بأنهم تحت دائرة الضوء، ما يخالف فكر القرملاوي الذي يؤكد أنّ المبدع الحقيقي يجب أن يكون لديه الحافز الدائم للتجويد والتطور. وأشار إلى أن "القصدية في الكتابة تتعارض مع الإبداع، لذا لا أتمنى أن تغير الجائزة من طريقة كتابتي".

ويشير إلى أنّ هناك البعض من الأنماط المختلفة التي يقدمها جيله رغم أنّ الانطباع الأول السائد لدى الكثير من النقاد هو أن معظم جيل الشباب يحاولون محاكاة مبدعين كبار من أمثال نجيب محفوظ أو جوزيه ساراماغو أو غابريال غارسيا ماركيز.

ويقول "إن هؤلاء بالطبع علامات مضيئة لنا على الطريق، لكنّ ذلك لا يعني المحاكاة والتقليد. لن يتطور الأدب ونحن ندور في فلك واحد"، مؤكدا أنّ هناك من يحرص على تقديم لغة فنية جديدة وأسلوب مغاير.

بعض أولئك الذين يعنيهم قدّموا بالفعل كتابات مغايرة في الأسلوب وطريقة السرد مثل الروائي حسن كمال صاحب روايات "المرحوم" و"الأسياد" و"نسيت كلمة السر"، والذي فاز سنة 2010 بجائزة ساويرس للشباب فرع القصة القصيرة عن مجموعته "كُشري مصر".

ويحاول الأديب مصطفى الشيمي كذلك تقديم نمط متمايز في روايته "سورة الأفعى" ومجموعاته القصصية "بنت حلوة وعود" و"مصيدة الفراشات". أما دعاء إبراهيم فتحاول اختيار موضوعات تبدو جديدة في معالجة قضايا فلسفية عن طريق الأدب، ووصلت مجموعتها القصصية "جنازة ثانية لرجل وحيد" إلى القائمة القصيرة لجائزة ساويرس في العام الماضي. كما أن الكاتب أحمد عبدالمجيد نجح سريعا في صناعة جمهور له من القراء من خلال رواياته "عشق"، "ترنيمة سلام" و"التابع".

ولفت القرملاوي إلى أن ساحة الإبداع العربي تشهد كل يوم بزوغ نجوم مبهرة قادرة على استحداث أساليب فنية جديدة، وتقديم متعة قصصية حقيقية. المهم في رأيه أن يكون المناخ صالحا لاستيعاب هؤلاء.

تطوير ضروري

تقول الروائية المصرية سمر نور لـ"العرب"، إن الجوائز الخاصة بالشباب ضرورية لدفعهم للمزيد من التألق، لكنها ترى في الوقت ذاته أن تخصيص جوائز للأعمال الأولى قد يكون أنسب، لأنّ هناك أعمالا أولى لبعض الأدباء تعد أكثر تميزا من أعمالهم التالية، مضيفة "العمل الأول دائما ما يمثل مغامرة للأديب، ومن خلاله تظهر دلائل الموهبة الحقيقية".

فازت سمر نور في العام الماضي بجائزة ساويرس في القصة القصيرة عن مجموعتها "في بيت مصاص الدماء"، وصدر لها مطلع العام الحالي رواية بعنوان "الست".

وتشير نور إلى أنّ تقديم الشباب لأعمالهم الأدبية إلى الجوائز الكبرى على مستوى العالم العربي مهم، لأنهم لا يعرفون تقييما حقيقيا لإبداعهم إلا من خلال تلك المسابقات، بغض النظر عن حجم مبيعات كتبهم أو استحسان البعض لها.

وتتابع "إنّهم يقدمون أعمالهم الأدبية إلى مسابقات لا يعرفون معايير التقييم المستخدمة فيها كنوع من الرغبة في الحصول على تقييم حقيقي لإبداعهم، وهذا يؤكد جديتهم في تعريف الوسط الثقافي بهم".

وترى أن المشكلة تكمن أن يكتب البعض مُسبقا مستهدفين جوائز بعينها، لأن ذلك لا يؤدي إلى صناعة أدباء حقيقيين، ويحرف قضية الإبداع وتشجيعه عن مسارها الأساسي.

وتوضح "من يلجأون إلى ذلك يخسرون كثيرا، لكن لا يمكن إنكار أهمية الجوائز في مسيرة المبدعين، وأنّ الشباب العربي يكتب بشكل مختلف، ويطرح رؤاه بصور غير نمطية تناسب عصر التكنولوجيا الرقمية، وترفض كثير من مُسلمات الماضي في ما يخص قواعد الكتابة وتابوهاتها".

مغريات مادية

الناقد والروائي مصطفى بيومي كان له رأي مختلف في سر اهتمام الشباب بالجوائز الأدبية، إذ يرجع السبب الأساسي إلى العائد المادي للجوائز.

وقال بيومي لـ"العرب"، "إنّ الكثير من الشباب المبدع مهموم بمرحلة التأسيس الحياتي ماديا بما قد يشغله عن الإبداع طلبا لوظائف إضافية، وحصول هؤلاء على عائد مادي من الجوائز يدفعهم إلى التركيز في الأدب مرة أخرى".

وأضاف "المستوى الاجتماعي والمادي للمبدع يؤثر عليه بشكل مباشر، وحسبنا أن الكثير من المبدعين لم يلتفت إليهم أحد إلا بعد وفاتهم نتيجة مصادفات غريبة".

ويعد الأديب أحمد خالد توفيق، مثالا حيا، فقد غادر الحياة مؤخرا، وبدأ الناس يلتفتون إلى إبداعاته عقب وفاته، وعبرت العناوين والمضامين التي كتبت في رثائه عن عمق التقدير له ككاتب ومبدع موهوب، بينما عاش طيلة حياته لا تعرفه الغالبية العظمى من الجمهور.

وفاز مصطفى بيومي سنة 1992 بجائزة سعاد الصباح للرواية عن روايته "لمحات من حياة المواطن م. ب"، وصدر له أكثر من خمسين كتابا أدبيا ونقديا. وأضاف "هناك تجدد دائم في الحركة الأدبية، والكثير من النقاد لا يهتمون بنماذج متميزة قد تكون موهوبة، إلا من خلال الجوائز".

وأكد أن الروايات العربية تعرف طريقها إلى العالمية بعد فوزها بجوائز معروفة، حيث تلتفت دور النشر الأجنبية إلى تلك النصوص وتسعى إلى ترجمتها، لافتا إلى أن أكبر حركة لترجمة روايات نجيب محفوظ جرت بعد فوزه بجائزة نوبل في الأدب سنة 1988.

وتبدو المشكلة الرئيسية في تخصيص جوائز أدبية للشباب، في تصور مصطفى بيومي، هي نسبية تعريف الشباب، لأن الارتفاع بسن الشباب إلى أربعين عاما قد لا يكون دقيقا، وهناك حاجة ماسة لاكتشاف المواهب الأدبية في وقت مُبكر عن ذلك.

ويرى أنّ تكريم شباب في العشرينيات من عمرهم ضرورة، لأن تراكم الخبرات لدى البعض يُرجح كفة من تقترب أعمارهم من الأربعين. ويضرب مثالا على ذلك بالقول "لا يُمكن إقامة مباراة كرة قدم بين فريق تحت 18 سنة مع فريق أكبر منه سنا".

أحمد قرملاوي:

الانطباع السائد لدى الكثير من النُقاد هو أن الشباب يحاولون محاكاة مبدعين كبار من أمثال نجيب محفوظ أو جوزيه ساراماغو أو غابريال غارسيا ماركيز

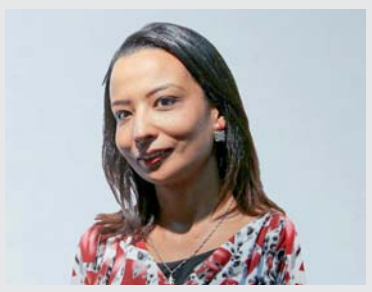

سمر نور:

الشباب العربي يطرح رؤاه بصور غير نمطية تناسب عصر التكنولوجيا الرقمية، ويرفض الكثير من مسلّمات الماضي في قواعد الكتابة وتابوهاتها

مصطفى بيومي:

الارتفاع بسن الشباب إلى أربعين عاما قد لا يكون دقيقا، وهناك حاجة ماسة لاكتشاف المواهب الأدبية في وقت مبكر عن ذلك

الطلاق الشفوي يجعل المرأة أسيرة كلمة ينطق بها الرجل

ضحايا الطلاق اللفظي يعشن بين دوامتي التحليل والتحريم

ساندت الحكومة المصرية في كثير من الأحيان قضايا المرأة، ودعمتها وشرّعت قوانين لحمايتها إلا أنها لم تستطع حتى الآن مداواة أوجاعها وحمايتها من الإرهاب النفسي الذي تتعرض له نتيجة "للطلاق الشفوي" الذي تزداد ضحاياه يوما بعد آخر، وفي كل مرة يتم فتح نقاش حول طرق معالجة هذه الظاهرة المتغلغلة في المجتمع تجري عملية وأده بطريقة سريعة.

شيرين الديدامونى
صحافية مصرية

الفضاء الافتراضي متنفس للبعض من المطلقات

❑ القاهرة – نكأت الكاتبة المصرية نوال السعداوي خلال الأيام الماضية جرح الطلاق الشفوي، الذي كان الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي تحدث عنه منذ حوالي عام، ولم تفلح دعوته إلى إقرار قانون يمنعه، وحثته على عدم التراجع في هذا الملف أمام السلطة الدينية التي وصفتها بـ"المتخلفة".

مطلب السعداوي في إثبات الطلاق وتقييد حق الرجل فيه، لوضع حدّ لمعاناة النساء المصريات، يأتي امتدادا لما قامت به الحركة النسوية تجاه تلك القضية، لكن المشكلة أن تلك المطالبات تدور في دائرة مفرغة تعود به إلى المربع صفر ويتم تجميدها.

وتشعر المرأة بالاضطهاد تجاه هذا النوع من الطلاق الذي يجعل مصيرها مقيّدا بلسان الزوج من خلال كلمات "أنت طالق"، "عليّ الطلاق بالثلاثة"، "لو خرجتَ من هذا الباب فأنت طالق بالثلاثة"، ينطق بها الرجل في لحظة غضب.

هناك من يسكن قلبه بعدها ويكون القاضي بعد أن كان جلادا، ويعود عن الطلاق تحت مبررات واهية، أنه حين نطق لم ينطق كلمة أو غيّر حرفاً بالقسم أو لم تتوافر النية، معتمدا على ما قاله مفتي الديار المصرية السابق الدكتور علي جمعة بأن "الطلاق الشفوي يقع إذا قيل بنصه من دون تحريف لأي من الحروف، لو قال لها أنت طالق يقع، أما إذا حرّف في لفظ الطلاق كأن يقول (أنت تالك أو طالئ)، يُسأل فيها عن قصده فإن كان قصده الطلاق يقع أيضا".

أما إذا لم يهدأ ولم يتراجع في قسمه تعاني المرأة الأمرين فلا هي باتت متزوجة "شرعا" وفقًا للأزهر ودار الإفتاء أو أصبحت مطلقة "قانونا".

المرأة العربية

في الوقت الذي يتغاضى فيه رجال الدين عن أوجاع المرأة التي تسببها تداعيات هذا النوع من الطلاق، ودائما ما يتم تأجيلها أو "تجميدها" أحرزت بعض الدول العربية تقدّما وأقرت قوانين لا تعتد بالطلاق الشفوي أو على الأقل لا تعترف بوقوعه قبل أن يتم توثيقه.

في تونس مثلا لا يوجد طلاق شفوي، والقانون يُلزم الزوج بالطلاق الكتابي ولا يعترف بسواه، هذا المكسب الذي حصلت عليه المرأة التونسية ليس وليد اللحظة بل له جذر تاريخي إذ نشأت حركات كان هدفها تجديد الفكر الديني وتقديم رؤية معاصرة للنصوص الدينية (قرآن وسنة).

أما في المغرب فتنص المادتان 79 و114 من مدوّنة الأسرة الصادرة في 5 فبراير 2004، أنه يجب على من يريد الطلاق أن يطلب الإذن من المحكمة.

هناك نصوص في قانون الأحوال الشخصية في الأردن وقانون العقوبات لإثبات الطلاق أمام الجهات الرسمية المختصة خلال مدة معينة، وإذا لم يفعل الزوج ذلك يتعرّض لعقوبة الحبس.

كذلك يقضي قانون حقوق العائلة في لبنان أنه لدى الطائفتين السنيّة والشيعيّة، بأنه يجب على الزوج الذي يطلّق زوجته أن يُخبر المحكمة الشرعية، وهناك دول أخرى أقرت عدم الاعتداد بالطلاق الشفوي مثل موريتانيا والكويت.

وأوضحت أمل يسري، باحثة بكلية الدراسات الإنسانية، أن الدعوة إلى توثيق الطلاق، ليست غريبة على الإسلام أو خروجا على شرعه، فالأصل في الإسلام الأخذ بمبدأ (لا ضرر ولا ضرار) وهو ما استفادت منه بعض الدول بإقرارها توثيق الطلاق.

وأشارت يسري إلى أنه يحق لولي الأمر أن يضع ما شاء من القيود على الممارسات الاجتماعية المنصوص عليها شرعا إذا ما خرجت عن أهدافها.

وأكدت لـ"العرب" أن عدم اعتداد بعض الدول العربية بالطلاق اللفظي جاء نتيجة لثقافة مجتمعية متجذرة ضد سلبيات هذا النوع من الطلاق وهو ما تفتقد إليه مصر، مشيرة إلى أن رجال الدين يتصدون لهذا الأمر حتى لو تم إصدار تشريع قانوني بذلك، فالتشريع وحده لا يكفي لتغيير الأعراف الاجتماعية.

حيرة الزوجات

"أنت طالق".. كلمات شفوية تترك الزوجة في دوامات البحث عن مخرج لإثبات هذا الطلاق رسميا متحملة بمفردها مغبة قرار الزوج الشفوي.

وطبقا لفتوى الأزهر "الطلاق الشفوي يقع طالما أن الزوج نطق به صراحة وبكامل قواه العقلية، وغير مجبر"، لكن يبدو أن الإجبار ومآسي الطلاق الشفوي السهل يظل حكرا على المرأة.

تلك المآسي تظهر بوضوح في محاكم الأسرة المنتشرة في المدن المصرية، ووصل عدد دعاوى إثبات الطلاق التي أقامتها الزوجات أمام محاكم الأسرة لـ7800 دعوى.

ورصدت "العرب" حالات كثيرة للآلاف من المصريات يعانين من إثبات الطلاق اللفظي، فالزوجة التي طلقها زوجها شفويا، ثم رفض توثيق الطلاق، تضطر لرفع دعوى في محكمة الأسرة لإثبات الواقعة، وربما تذهب لدار الإفتاء فتحصل على فتوى رسمية تفيد وقوع الطلاق شرعا، بينما تظل زوجة لطليقها أمام القانون.

وبحسب روايات الزوجات المدونة في سجلات تلك المحاكم فإن بعض الأزواج يرفضون إثبات الطلاق بالسجلات الرسمية كي يتمكنوا من ابتزاز نسائهم وإرغامهن على التنازل عن كافة حقوقهن المالية والشرعية، مقابل الحصول على ورقة الطلاق أو كنوع من العقاب لهن.

ولم تجد جيلان، ذات الثانية والعشرين ربيعا، أمامها سوى أن تطرق أبواب محكمة الأسرة بالزنانيري بوسط القاهرة، لرفع دعوى خلع بعد فشلها في إثبات صحة طلاقها الذي وقع هاتفيا من زوجها.

وأوضحت، لـ"العرب"، كان أمامها ثلاثة خيارات، إما أن تحاول إثبات هذا الطلاق أمام المحكمة بكافة طرق الإثبات، وإما أن تلجأ للخلع كحل سريع ومضمون للخروج من مأزقها، وإما أن تضرب بالقانون عرض الحائط وتعيش حياتها كما تريد.

وتساءلت السيدة لماذا كل تلك المعاناة، ألا تكفي أوجاعها وتحولها لمطمع لكل من يعرف بظروفها، من سيعوضها عن هذا الإرهاب النفسي الذي مرت به؟

ووفقا للمادة 21 من القانون رقم 1 لسنة 2000، لا يجوز للمرأة عند إنكار زوجها واقعة الطلاق الشفوي أن تثبت الطلاق إلا بالشهود والكتابة فقط، دون باقي طرق الإثبات.

وإذا يئست سيدة من إثبات طلاقها الشفوي، وحاولت استئناف حياتها مع زوج آخر، يكون زواجا عرفيا، وتكون معرضة للوصم المجتمعي، بالإضافة إلى عقوبة الحبس وفقا لقانون العقوبات المصري، نظرا إلى ارتكابها جريمة الجمع بين زوجين.

ووصفت (م. القاضي) سيدة ثلاثينية نفسها بـ"الضحية"، لما اعتبرته ازدواجية التعامل مع الطلاق الشفوي بين الشرع والقانون، وحصلت على فتوى مكتوبة من دار الإفتاء قبل سنوات بأنها مطلقة بعدما طلقها زوجها السابق شفويا، وبناء على هذه الفتوى تزوجت عرفيا من رجل آخر وعاشت معه لفترة حتى حملت منه.

لكن مأساتها بدأت عندما رفضت كل الجهات الحكومية إصدار شهادة ميلاد للطفل باسم الأب الشرعي، بدعوى أنها لا تزال متزوجة من طليقها ما أدخلها في دوامة من المشاكل لم تنته، مع تعنت طليقها في توثيق الطلاق إمعانا في إذلالها ومنعها من الحصول على حقها في حياة طبيعية.

وأوضح الشيخ عبدالحميد الأطرش رئيس لجنة الفتوى السابق بالأزهر الشريف، أن توثيق الزواج والطلاق ظهر في مصر عام 1931 للحفاظ على الزوجة وأولادها عندما استذئب بعض الرجال وانعدمت القيم والأخلاق، وظهرت المئات من الحالات لزيجات لا يعترف بها الرجال ولا يريدون تحمل تبعاتها.

وقال الأطرش لـ"العرب"، في الوقت الذي لا يعترف فيه القانون بالطلاق الشفوي نجد أن الدين يقر بصحته ما يضع المئات من آلاف المطلقات شفويا في حيرة بالغة.

محاولات متكررة

تختلف قضية (م. محمد) عن بقية القضايا ويبدو أن وجعها سيستمر، فهي سيدة متزوجة منذ سنوات ولديها ابنة فقط مشكلتها كما سردتها لـ"العرب" أن زوجها طلقها ثلاث طلقات وهو في كامل قواه العقلية ويعي ما يقوله ويقصده، وحتى لا يضطران إلى "المحلل" طرقت جميع الأبواب لإيجاد مخرج فقهي من اليمين المُغلظ الذي انتهكه الزوج.

ولجأت الزوجة لداعية معروفة أكدت لها أن الطلاق الشفوي باطل وحكمه عند بعض الفقهاء باطل، ومعظم ما كان موجودا أيام الرسول لا يصلح تطبيقه في هذه الأيام، وبناء على تلك الفتوى عاشت السيدة مع زوجها.

وتحبس الزوجة العشرينية أنفاسها وهي تقول "انقلبت حياتي رأسا على عقب، عندما علمت أن نفس الداعية كانت قد صرحت من قبل بأنه إن تلفظ الزوج بالطلاق بلفظ صريح يقع شرعا حتى وإن لم يتم توثيقه".

وتساءلت السيدة هل هي الآن تعيش مع زوجها في "الحرام" ولماذا لا يستقر علماء الدين على رأي موحد أم هم يتلذذون بأوجاع النساء وحيرتهن، وهل هي مطلقة في مصر طبقا للشرع وإذا سافرت إلى تونس أو المغرب ستكون متزوجة؟

تلك المآسي والآثار النفسية المترتبة على الطلاق اللفظي كانت سببا في هبَّة شهدتها الساحة المصرية على مدار عقود طويلة، رغم ذلك لم تتقدم خطوة إلى الأمام لأكثر من مئة عام ولم تحرز تقدما ملموسا؛ إلا أن المنظمات النسائية في مصر تتبع قاعدة "ما لا يدرك كله لا يترك جله".

وشغلت الحالة الاجتماعية للنساء المعلقات على رغبة أزواجهن في عدم توثيق الطلاق الشفوي؛ فلا هن متزوجات "شرعا" أو مطلقات "قانونا"، فالحقوقيات بح صوتهن على مدى سنوات من المطالبة بتعديل نصوص قانون الأحوال الشخصية وتقييد الطلاق اللفظي حماية للمرأة.

وطالبت هدى شعراوي في النصف الأول من القرن العشرين وتحديدا في عام 1926، وكانت رئيسة الاتحاد النسائي المصري آنذاك، بإصلاح قانون الأحوال الشخصية والتصدي لفوضى الطلاق وتوثيقه أمام القضاء.

وقطعت تلك المطالب شوطا لكي يقتنع المسؤولون بأهميتها، لكنها تعثرت فور إحالتها لمجموعة من رجال الدين والقانون لدراسة كيفية تفعيلها، فلم تلق قبولهم واعتبروها خروجا عن أساسيات الدين.

وتجددت المحاولات لتطبيق هذا المطلب في السبعينات من القرن الماضي، وتقدمت عائشة راتب (1928–2013) وزيرة الشؤون الاجتماعية آنذاك، بمشروع قانون جديد للأحوال الشخصية، يقضي بتوثيق الطلاق أمام القاضي بدلا من المأذون، واشترك في صياغته الشيخ علي الخفيف أستاذ الشريعة في جامعة القاهرة، والشيخ محمد خاطر مفتي الجمهورية آنذاك.

لكن وفقا لما أدلت به راتب في لقاء صحافي لها عام 2008، قوبل مشروع القانون بإضراب ومظاهرات من طلاب الأزهر بعد أن كتبت إحدى الصحف "أن عائشة راتب تريد حرمان الرجل من حق الطلاق"، ما دفع الرئيس المصري بسحب المشروع من مجلس الشعب.

الأمر ذاته تكرر عندما أطلقت السفيرة ميرفت التلاوي، رئيسة المجلس القومي للمرأة في مصر، منذ أربعة أعوام اقتراحا بإلغاء الطلاق اللفظي واعتباره "كأن لم يكن"، لكن ما طالبت به السفيرة تم تجميده بعدما أثار حفيظة الكثيرين واعتبروه مخالفا للشرع بشكل صريح والمطالبة به من باب "التعاطف" مع المرأة.

وتفجّر الجدل حول القضية العام الماضي، استكمالا للجهود التي تبذل لدعم المرأة، عقب مطالبة الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي بتنظيم الموضوع خلال إلقائه خطابا بمناسبة عيد الشرطة المصرية وكان يجلس في الصف الأول شيخ الأزهر الدكتور أحمد الطيب.

وتفاعلت الزوجات المعلقات بين الشرع والقانون وقتها وتوقعن رد فعل مختلف تجاه القضية بعد مطالبة رئيس الجمهورية، لكن تكرر أيضا مشهد الرفض بعد أيام قليلة من مطالبة الرئيس.

وأصدرت هيئة علماء الأزهر بيانا عدّه كثيرون تكريسا للأزمة المستمرة ووصفته جهات من العلماء والمثقفين بأنه "صادم" بعد رفضها لمطلب الرئيس.

شيوخ يخالفون شيوخا

لم يتوقف الصراع على تقييد الطلاق الشفوي بين الحقوقيات ورجال الدين، فقد تاهت المرأة المصرية في دهاليز التناقض بين رجال الدين وبعضهم وباتت لا تعرف أي درب تسلك، ففي الوقت الذي تمسك فيه علماء بوقوع الطلاق بمجرد نطق الرجل به، خاض العديد من المشايخ في المقابل معارك من أجل عدم الاعتراف به.

وشدد الدكتور علي جمعة، مفتي مصر السابق، على أن إلغاء الطلاق الشفوي يجعلنا أضحوكة الشرق والغرب، وهذا ليس تجديدا للخطاب الديني بل هو تبديد له، وليس إنارة بل إثارة، محذرا من أننا إذا قللنا من الطلاق الشفوي سنصاب بالأضرار ولن نحقق الفوائد وتذهب قيادة مصر وريادتها في العالم.

وسار على درب المفتي السابق أئمة ومشايخ تجاهلوا الأزمة الموثقة بالأرقام التي تعيشها النساء وأوجدت ضرورة لتوثيق الطلاق والإشهاد عليه، كما أن كبار الفقهاء والعلماء والدعاة أمثال ابن حزم وابن تيمية والإمام محمد عبده والشيخ محمد أبوزهرة وشيخ الأزهر جاد الحق علي جاد الحق وغيرهم، أقروا بضرورة توثيق الطلاق والإشهاد عليه، بل ووضعه في يد القاضي أو المأذون.

> ظاهرة الطلاق الشفوي مشروع قانون مؤجل تائه في أروقة الجدل بين العلماء والمشايخ في تجاهل تام لما تعانيه المرأة من أوجاع

في دراسة فقهية مقارنة تحت عنوان "فقه المصريين في إبطال الطلاق الشفوي للمتزوجين بالوثائق الرسمية" أكد الدكتور سعدالدين هلالي، أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر أن الطلاق لا يصح إلا إذا روعي فيه أصوله الثلاثة، تواجد أسبابه، وتحقق شروطه، وانتفاء موانعه، وهذه الأمور لا تتحقق من خلال الطلاق الشفوي.

هذا الموقف الفقهي لم يرض علماء كثيرين وتباروا في إثبات العكس وتحول الأمر في بعض الأحيان إلى مبارزات لفظية من خلال الفضائيات ووسائل الإعلام المختلفة.

وقال عمرو حمروش، أمين سر اللجنة الدينية بالبرلمان، لـ"العرب"، إن القاعدة القانونية تقول إن ما بدأ بوثيقة يجب أن ينتهي بوثيقة، وهذا هو الحال بالنسبة للزواج، وتوجد في بعض المجتمعات الريفية والمناطق الشعبية عمليات طلاق دون توثيق، ما يعرض حقوق الزوجة للضياع.

ولفت حمروش إلى قانون يتم إعداده منذ شهور يهدف إلى حماية المطلقة حتى لا تظل معلقة لا تستطيع الحصول على حقوقها ولا الزواج مرة أخرى.

وأضاف أن مشروع القانون يشمل ضرورة توثيق الطلاق خلال 24 ساعة من النطق به، منعا للتعرض لعقوبة السجن والغرامة، وفي حال مخالفة الأمر سيكون على الزوجة اللجوء إلى القضاء.

ومثل الكثير من القضايا الدينية التي تتوه في أروقة الجدل بين العلماء والمشايخ ما زال مشروع القانون "المؤجل" في البرلمان المصري لإلغاء وقوع الطلاق الشفوي يراوح مكانه بين معسكري التأييد والرفض، في تجاهل تام لما تعانيه المرأة من أوجاع تتفاقم لتصل في بعض الحالات إلى الانتحار أو السجن وكثيرا منها إلى العيادات النفسية.

شيوخ يقبرون كل محاولة للخروج بحل

هروب الأزواج ظاهرة خطيرة تترك بصماتها على الأسرة

الضغوط المالية والعاطفية من أسباب تنصل الأزواج من مسؤولياتهم

مع تزايد الضغوط الاقتصادية والاجتماعية في المجتمعات العربية، ومنها المجتمع المصري، تتصاعد ظاهرة تنصّل الأزواج من مسؤولياتهم، ليس فقط بالامتناع عن الإنفاق على زوجاتهم وأولادهم بل قد تفاجأ الزوجة بأن تصحو في صباح اليوم التالي فلا تجد زوجها بالمنزل، حيث يكون قد قرر أن يختفي ويترك زوجته وأبناءه دون سند في الحياة ودون أي مصدر رزق.

سلمى جمال

أسر بلا معيل جراء اختفاء الزوج

❏ ظاهرة هروب الأزواج من زوجاتهم ظاهرة اجتماعية خلفت نتائج خطيرة، وتركت بصماتها على المجتمع بعد أن تصل توابع اختفاء الزوج إلى سجلات المحاكم وساحات القضاء، خاصة وأن الإحصائيات تؤكد أنه في محكمة الأحوال الشخصية بالقاهرة فقط توجد أكثر من 11 ألف دعوى قضائية رفعتها زوجات هرب منهن أزواجهن، حيث يطلبن في هذه الدعاوى الطلاق من أزواجهن الذين اختفوا فجأة ولا يعرفن لهم طريقا، فهؤلاء الزوجات يرفضن الاستسلام للوضع القائم ولا يردن البقاء هكذا "معلقات" حتى يظهر الزوج من مخبئه.

وكشفت دراسة سابقة أعدها المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية أن عدد الأزواج الذين هربوا من زوجاتهم وحياتهم الأسرية بلغ 18 ألف زوج، تقدمت 11 ألف زوجة من هذه الحالات إلى محكمة الأحوال الشخصية لطلب الطلاق، في حين لم تفقد 7 آلاف زوجة الأمل في رجوع أزواجهن وإن طال غيابهم.

وتعود أسباب هروب الأزواج بحسب الدراسة إلى سببين رئيسين: الأوضاع الاقتصادية شديدة الصعوبة، وفشل الأزواج في التواصل مع زوجاتهم مما يحول الحياة الزوجية إلى جحيم لا يطاق.

> أسباب هروب الأزواج تعود إلى الأوضاع الاقتصادية شديدة الصعوبة وفشل الأزواج في التواصل مع زوجاتهم

كما أشارت الدراسة إلى تعدد البلاغات في أقسام الشرطة والقضايا المتعلقة بهروب عدد كبير من الأزواج بسبب عدم قدرتهم على تحمل مسؤولياتهم وتوفير احتياجات أسرهم، وهو ما يعني أن الظاهرة خلفت وراءها 18 ألف أسرة بلا معيل، و18 ألف زوجة معلقة بلا طلاق ولا زواج في ظل اختفاء أزواجهن تماما.

وأفادت الدراسة بأن الأزواج الهاربين تركوا منازلهم وتوجهوا إلى مكان آخر لا يعرفهم فيه أحد.

ووفقا لرأي خبراء في علم الاجتماع ترجع ظاهرة هروب الأزواج إلى عدة أسباب على رأسها الظروف الاقتصادية الصعبة التي تمر بها الكثير من الأسر ويعجز أمامها الأزواج عن تأمين متطلبات الحياة الأساسية الضرورية، فيرى الزوج أنه غير قادر على توفير أقل القليل، فيما لا تقدّر زوجته ذلك وتثقل عليه بكثرة طلباتها فيجد الهروب ملاذه الوحيد للخلاص من هذا الجحيم.

ويكون للزوجة بذلك دور في هروب الزوج من المنزل وتخلصه من أعباء الإنفاق على أسرته وأطفاله، لأن الزوجة هنا تظهر الزوج في صورة الرجل الذي لا يستحقها لأنه لم يحقق لها رغباتها في امتلاك أو شراء أشياء قد تكون شقة أو سيارة أو "شاليه للمصيف" مثل أختها أو بنت خالتها أو جارتها، فهي دائما تضعه في موضع مقارنة مع أزواج الأخريات، وفي مثل هذه الحالات من الشائع أن نجد الأبناء يرددون عبارات قاسية على نفسية الزوج مثل "إذا لم تكونوا قادرين على الوفاء بمتطلباتنا، فلماذا أنجبتمونا؟".

وبالإضافة إلى ذلك فإنه في الحالات التي تكون فيها الزوجة سليطة اللسان ودائمة الشجار وصوتها مرتفع باستمرار وتتشاجر لأتفه الأسباب، فكل هذا يؤدي إلى تمهيد المناخ أمام انفجار الوضع وهروب الزوج من سفينة الحياة الزوجية، ليترك أطفاله للمجهول، وتكون النتيجة أنه فجأة ودون مقدمات يخيّر الذهاب بلا رجعة، ويصبح المشهد مؤلما بعد أن يختفي رب الأسرة دون سابق إنذار، ويلقي ربان سفينة العائلة بمسؤولياته على الأرض، بعد أن يجد نفسه فاشلا في الاستمرار بمكانه، تاركا وراءه زوجة لا تجف دموعها، وأطفالا خائفين ينتظرهم المجهول.

وتعج سجلات محكمة الأسرة في مصر بقصص اختفاء الأزواج، حيث تقول "أمال.ك" إنه بعد قصة زواج وإنجاب أربعة أبناء فوجئت بزوجها الموظف البسيط، يختفي من حياتها، وبحثت عنه في كل مكان دون جدوى. وتبرر هروبه من البيت بأنه وجد نفسه عاجزا عن الوفاء باحتياجات الأبناء فآثر الهروب ناسيا أن هذه أنانية وعدم تحمل للمسؤولية.

ولا تقتصر أسباب هروب الأزواج على الجوانب المالية فقط، بل إن سجلات محكمة الأسرة تكشف عن أسباب أخرى قد تكون شائكة، مثل قصة "ناهد.م"، التي تقول إنه بالرغم من أنها تحدت أسرتها من أجل الزواج بزوجها الهارب، إلا أنه في ليلة الدخلة ظهر أن هذا الزواج مصيره الفشل، وتقول "كأي زوجة انتظرت ما تتمناه كل فتاة في ليلة الدخلة، لكنه فشل، وتكرر الفشل أياما وأسابيع، وفي كل مرة كان يعتذر وأقف بجانبه أهدئ من روعه وأشجعه لكن دون جدوى، إلى أن جاء يوم اختفى فيه تماما وأخذنا بالبحث عنه فلم نجده، وحررنا محضرا في قسم الشرطة بتغيّبه والآن مرت عشرة أشهر وأنا زوجة مع وقف التنفيذ".

أما عبير سالم، فلم يهرب فقط زوجها بل ابنها كذلك، وتركاها بمفردها تتحمل مسؤولية خلاص قرض من البنك، وتشير أوراق القضية الموجودة في سجلات المحكمة إلى أن زوجها اقترض مبلغ أربعمئة ألف جنيه لإقامة مشروع ووقعت هي في خانة الضامن، وللأسف فشل المشروع فشلا ذريعا وتعثروا في سداد أقساط البنك، ومع الضغوط من جانب البنك الذي بدأ فعلا في اتخاذ إجراءات قانونية ضد زوجها وضدها، وبدلا من أن يقف الزوج في موقف من يتحمل المسؤولية عن هذا القرض الذي ضاع بسبب المشروع الفاشل، فضل الهروب من المسؤولية تماما لتصحو يوما على اختفائه من المنزل ومن حياتها تماما.

ويقول منتصر محمود مجاهد، أستاذ التربية بجامعة قناة السويس في مصر، إن معظم الأسر في المجتمعات العربية تعيش هذه الأيام حالة من عدم الاستقرار النفسي والمعنوي، في إشارة إلى أن هذه الحالة من عدم الاستقرار تعود في جانب منها إلى الظروف الاقتصادية التي تمر بها المجتمعات العربية، وهي الظروف التي أدت إلى تفاقم المشكلات بداخلها فأصبحت جحيما لا يطاق، وهذا ما يرجعه البعض إلى الأزواج والبعض الآخر يرجعه إلى الزوجات، ولكن المؤكد أن المسؤولية يشترك فيها الطرفان.

ويضيف "إذا كانت الغالبية ترجع السبب إلى الزوجات، مستدلة في ذلك على ما كان منذ فترة قريبة من الزمن حيث كانت البيوت تعيش في استقرار ومودة أكثر بكثير مما هو عليه الوضع حاليا، وتعزو ذلك إلى أن الزوجة قديما كانت تقدر الظروف وتضحي، وإن كان البعض يقول عن هذه الفترة إن المرأة كانت فيها مقهورة وليس لها أي صوت يسمع، فأقول: وماذا فعل صوتها عندما خرج؟ لقد كانت هذه النتيجة التي نعرفها في المحاكم".

كما يشير إلى وجود عدة عوامل أدت إلى هروب الأزواج مثل تسلط المرأة بطريقة استفزازية دون مراعاة لما للرجل من حقوق، فضلا عما يتحمله الرجل من أعباء رهيبة في ظل الظروف الطاحنة، فضلا عن خوف الزوج مما يترتب على الطلاق من أعباء، وإن كان هذا لا يعفي الأزواج أنفسهم من المسؤولية طبعا.

طبق اليوم

بامية مع اللحم

*** المكونات:**

- كيلوغرام واحد من البامية
- نصف كيلوغرام من اللحم المقطع إلى مكعبات
- بصلة متوسطة الحجم
- حبتا طماطم مقشرتان
- ملعقتان من معجون الطماطم
- نصف ملعقة صغيرة من الملح
- نصف ملعقة صغيرة من الفلفل الأسود
- نصف ملعقة صغيرة من بهارات اللحمة
- ورقتان من الغار
- ملعقة صغيرة من الهيل
- ملعقة صغيرة من الزنجبيل
- 4 فصوص من الثوم
- نصف كوب من الزيت النباتي

*** طريقة الإعداد:**

- يغسل اللحم ثم يوضع على نار خفيفة مغمور بالماء لكي ينضج، مع الحرص على التخلص من الدهون التي تعلو الماء المغلى في كل مرة تظهر فيها.
- تضاف البهارات إلى اللحم المسلوق على النار ويترك حتى ينضج تماما.
- في الأثناء يتم غسل البامية وتزال أقماعها قليلا ثم تتم تقليتها على نار خفيفة في مقلاة متوسطة الحجم، ثم تترك جانبا حتى تصفى من الزيت. ويفرم البصل بشكل ناعم جدا ويوضع في مقلاة صغيرة الحجم، وتتم تقليته مع الطماطم المفرومة، ويضاف إليهما الملح والفلفل الأسود وبهارات اللحم وتقلب جيّدا حتى تنضج.
- توضع البامية مع البصل والطماطم وتحرّك على النار حتى تنضج نسبيا، ويضاف إليها معجون الطماطم مع مرقة اللحم وتترك على النار حتى تغلي وتصبح البامية ليّنة جدا.
- يفرم الثوم بطريقة ناعمة جدا ويقلى في المقلاة مع الزيت إلى أن يحمّر، ثم يضاف إلى البامية مع اللحم المسلوق سابقا، ويقلّب على النار حتى تنضج الطبخة كلها.
- تسكب البامية في طبق التقديم إلى جانب الأرز الأبيض.

موضة

تصاميم بلمسات مترفة

❏ قدّم المصمم رامي العلي مجموعته من الأزياء الراقية الخاصة بمناسبات هذا الصيف في فندق الريتز الباريسي العريق، وجمعت التصاميم بين الأناقة العصرية واللمسات المترفة.

وطغت ألوان الباستيل الرومانسية على معظم إطلالات هذه المجموعة الربيعية التي تنوّعت بين تدرّجات الزهري المبودر، الأزرق الفاتح والرمادي الحيادي، بالإضافة إلى تدرجات البيج المشرقة. أما القصّات فغلب عليها الطابع الهندسي الذي أضفى طابعا عصريا على أزياء المناسبات والسهرات.

وتكونت المجموعة من أثواب كوكتيل قصيرة، وفساتين سهرة طويلة وجامبسوت. وتزيّنت جميعها بتطريزات مبتكرة تجلّت فيها الحرفية العالية في الشغل اليدوي والمهارة في تنفيذ تصاميم تجمع بين الأناقة والترف.

وأكد خبراء الموضة أن العلي حرص على تنفيذ تصاميمه بخامات فاخرة تزيّنت بقصّات عصريّة وتطريزات مستوحاة من طابع جبل الباروك في لبنان، أدخل عليها اللون الذهبي ليزيد من طابعها المترف.

كما أولى اهتماما خاصا بتصاميم الأكمام التي رافقت أزياءه، والتي تميّزت بطابعها المبتكر وأضافت تميّزا لافتا على الإطلالات.

مشاعر الغربة تخمة من القبول والرفض

عبدالستار الخديمي
كاتب تونسي

❏ مصطلح الغربة يصطبغ دائما بإيحاءات وإحالات وجدانية من شأنها أن تقيم مقارنة بين ماض تولّى بما يحمله من ذكريات وجْدٍ أو وجع وبين حاضر يحاول التجاوز.

وعلى حدّ القول الشهير للأديب والمفكر أبي حيان التوحيدي "الغريب من كان في غربته غريب"، فإن الشعور بالغربة والاغتراب تختلف حدّته من شخص إلى آخر وفق ما يحيط بالمغترب من ملابسات جلّها يتعلق بأمرين؛ أولهما مدى التواصل الحاصل بينه وبين أفراد عائلته ومكونات مجتمعه وبالمكان أيضا من حيث هو علامة فارقة في الوجود. وثانيهما مدى القدرة على الاندماج في مجتمعات الاستقبال مع مراعاة الفوارق الفكرية والحضارية عموما.

لا تخلو أي عائلة في تونس وفي دول الشمال الأفريقي عموما من وجود مهاجر أو مهاجرين لديها، مما جعل التعامل مع أحاسيس الغربة شأنا عائليا يتجاوز المغتربين أنفسهم، أي أن الهجرة أضحت من المشاريع الأسرية وربما الاجتماعية بما أن هناك اتفاقيات ثنائية وجماعية بين الدول تبرم من أجل تنظيم عملية الهجرة.

ينظر عادة إلى الهجرة من زوايا مختلفة وهي أن الأسرة غالبا ما تدفع بأحد أفرادها وتشجّعه على خوض غمار التجربة بالطرق والوسائل القانونية وفق ما يعرف بـ"الهجرة المنظمة" إذا تيسّر الأمر، وقد تدفع به إلى إلقاء نفسه في أتون مغامرة غير مضمونة العواقب في إطار هجرة سرّية. الدافع الشخصي والأسري لخوض غمار الهجرة دافع مادي بالأساس وهو محاولة تحسين الوضع المادي للأفراد والعائلات لمجابهة متطلبات الحياة أمام العجز الذي يلاحقهم في أوطانهم.

أما الرؤية الثانية فهي فكرية وأخلاقية وقد تكون تعليمية-علمية، في إطار الانخراط الفعلي في العولمة بجميع تشكّلاتها المختلفة. وعادة ما يكون هذا النوع من الهجرة منظما وفق اتفاقيات دولية في إطار التعليم أو التكوين أو التشغيل. تحتفل العائلات -وخاصة في موسم العودة وهو عادة ما يكون صيفا- بعودة أبنائها من بلدان هجرتهم وإقامتهم بحفاوة كبيرة ترقى إلى حدّ الاحتفال الفعلي بعد ترقب قد يطول لسنة أو أكثر، فتسري في الأوساط العائلية والاجتماعية بوادر فرح واستقرار وإقبال على الحياة، وكأن هذا الموسم يساهم في كسر الطابع الروتيني للحياة. فيكثر السهر والسّمر وتتوطد العلاقات وتتجدّد وتعمّ الحركة الأجواء العامة وخاصة في الأيام الأولى للعودة من المهجر، فينسى المغترب ولو ظرفيا ما عاناه من أحاسيس الاغتراب المدمّرة في ظل الوحدة والانطواء على الذات وعسر الاندماج في المجتمع الجديد. العودة حلم من أحلام المغترب يعيش على وقعه أياما وشهورا وأعواما، يتخيّل كيف سيكون الاستقبال حارا يعيد إليه الدفء العائلي المفقود، ويعدّ الأيام والليالي عدّا كمن يتطلّع إلى هلال رمضان. هل هو الشوق إلى الحضن العائلي الكبير بمرجعياته الدينية والثقافية والاجتماعية والحضارية؟ أم هو إقرار ضمني بفشل تجربة الاندماج في مجتمع آخر؟

من الأكيد أن ما يحققه المغتربون على المستوى المادي هام، بل هو ضروري لتجاوز الأزمات، بحيث تتغير الملامح المادية للعائلة والتي قد تعيش الرفاهية بما يوفره المغترب من مال ومن متاع تختلف درجة قيمته. ولكنّ الكسب المادي ليس سهلا في ظل ما يبذله المغتربون من جهد ومشقة ليرضوا أرباب العمل الذين لا يعترفون سوى بكمّ وكيف الإنتاج. إنه سيناريو متعاود يكرّر نفسه في مشهد شبيه بالسينما، كثير من البذل والعطاء والصبر وحتى الحرمان، وقد يصل الأمر إلى الإهانة والميز العنصري لاعتبارات جنسية أو دينية، خاصة مع تصاعد وتيرة الإسلاموفوبيا بعد الهجمات الإرهابية التي شهدتها العواصم الأوروبية وخاصة في فرنسا وألمانيا.

فحياة المغترب لا تعدو كونها صراعا مستمرا من أجل الإقناع بانتمائه إلى حاضنته الاجتماعية في الهجرة، ما يدفع بعضهم إلى الانبتات والتنصّل من الجذور الحضارية التي تربطهم بأوطانهم الأصليّة. تبدو عملية الاندماج سهلة ولكنها تتطلب الكثير من التضحيات في شكل تنازل لا إرادي عن البعض من الثوابت الأخلاقية والحضارية.

كل المغتربين يعانون من ويلات الغربة والمشاعر التي ترافقها والتي تتردى بين الشوق العارم للأهل والوطن وخيبة الاندماج والانصهار في المجتمعات الجديدة التي تؤمّهم وتؤويهم وتوفر لهم مصادر العيش المادية بالخصوص. إنها المشاعر التي لا يمكن حدّها، فهي مزيج فريد من الشوق والرغبة والرفض والألم، يستبدّ بالمغترب فلا يهنأ بلقائه وتواصله مع عائلته ومحيطه الحضاري، ولا يُسرّ بوجوده في مجتمع بمعايير ومقاييس مختلفة. بكل بساطة المغترب لا يعرف الراحة والاستقرار والتوازن النفسي.

ما يعيشه المغترب ينعكس سلبا وإيجابا على محيطه الأسري، فأفراد عائلته يقاسمونه الشوق ويحاولون شدّ أزره، وما سهّل العملية انتشار الوسائط الحديثة التي يسّرت التواصل صوتا وصورة. يفرح أفراد الأسرة بعودة المغترب إلى الحضن العائلي الدافئ ويترحون عند انتهاء إجازته، ويعيشون مثله على حلم بلقاء يتعاود باستمرار.

برشلونة يتخلى عن ريادته للكرة الأوروبية

ليلة السقوط في معقل روما تطرح ضرورة التغيير في النادي الكتالوني

تخلى نادي برشلونة الإسباني لكرة القدم عن ريادته للكرة الأوروبية خلال المواسم الأخيرة، ولكن خروجه من دوري أبطال أوروبا هذا الموسم أمام روما يعد تراجعا جديدا وقويا لفريق فقد بشكل نهائي هالة القداسة التي كانت تحيط به في أفضل عصوره.

نجوم الفريق الكتالوني يستسلمون لضياع الحلم الأوروبي

مدريد – أصبح فريق برشلونة الإسباني لا يرعب أحدا في القارة الأوروبية، هذه هي الحقيقة، فقد ودّع دوري أبطال أوروبا خلال المواسم الأخيرة ثلاث مرات متتالية من دور الثمانية، مما يدلل أنه أصبح فريقا يفتقر للحلول في بطولة تتطلب القيام بالكثير من الأشياء، سواء في النواحي الكروية أو تلك التي ترتبط بالشخصية والعوامل النفسية. فهو لا يحقق شيئا مهما حتى في ظل وجود أسطورة حية مثل ليونيل ميسي، الذي لا تتناسب أرقامه في دوري أبطال أوروبا مع برشلونة مع حجمه كلاعب كبير، فقد فاز في السنوات السبع الأخيرة بلقب واحد فقط في البطولة القارية الأهم للفرق على مستوى العالم، وهو ما يعد إنجازا هزيلا بالنظر إلى تاريخه الكبير في عالم كرة القدم.

ولن يكون من السهل نسيان ما حدث في روما وسيحتاج برشلونة إلى بعض الوقت لطي صفحة تلك المباراة التي خسرها بثلاثية نظيفة في إياب دور الثمانية لدوري الأبطال، بعد أن أنهى مباراة الذهاب لصالحه بنتيجة 4-1، مما دفع الصحافة الإسبانية إلى التحدث عن "حماقة وفشل" الفريق الكاتالوني.

ومن الصعب تفسير حصول لاعب مثل ميسي على لقب واحد فقط لدوري أبطال أوروبا في السنوات السبع الأخيرة، في الوقت الذي فاز فيه غريمه التاريخي، البرتغالي كريستيانو رونالدو، بثلاثة من أصل أخر أربع نسخ للبطولة، ويتطلع للفوز بها مرة أخرى هذا الموسم.

وتضررت صورة ميسي كثيرا بعد الذي حدث في ملعب "الأولمبيكو"، معقل روما. وقالت صحيفة ماركا الإسبانية إن ميسي "عاد إلى الاختفاء مرة أخرى في دور الثمانية لدوري أبطال أوروبا".

وتثير أرقام ميسي في البطولة الأوروبية القلق بحق، حيث لم يسجل اللاعب الأرجنتيني خلال مباريات برشلونة الأخيرة بالأدوار الإقصائية لدوري أبطال أوروبا أي هدف في مرمى كل من أتلتيكو مدريد ويوفنتوس وروما، وتصدق هذه الإحصائية على صحة أمرين جوهريين: أولهما أن برشلونة يعتمد بشكل مبالغ فيه على ميسي، وثانيهما أن ميسي لا يقدم المنتظر منه عندما يكون فريقه في حاجة إليه، الأمر الذي يعيد إلى الأذهان أوقاته العصيبة في الماضي مع المنتخب الأرجنتيني.

ورغم ذلك، نجح ليونيل ميسي هذا الموسم في التغطية على كل جوانب النقص لدى برشلونة، سواء تلك التي تتعلق بطريقة اللعب أو التطلعات أو تماسك الفريق.

وبرشلونة في طريقه الآن للتتويج باللقب السابع له في الدوري الإسباني خلال السنوات العشر الأخيرة، ولكنه يخفق بقوة مرة تلو الأخرى في دوري أبطال أوروبا.

وخلال الأعوام الأخيرة، أنفق برشلونة ما يقرب من 800 مليون يورو (مليار دولار تقريبا) لعقد صفقات شراء للاعبين جدد. وقال الإسباني خوسيه ماريا مينخيا، وكيل اللاعبين، في تصريحات صحافية "ولكنّ هؤلاء الموجودين في النادي يلعبون منذ ثلاث سنوات".

ليلة السقوط

بحثت الصحافة والجماهير عن المذنب والمسؤول عن سقوط برشلونة بهذا الشكل المروع، لتتجه معظم أصابع الاتهام لمدرب الفريق ومسؤولي مجلس إدارة النادي الذين اتهموا بإنفاق الأموال بشكل خاطئ عاما تلو آخر لجلب لاعبين لا يقدمون أداء قويا في دوري أبطال أوروبا، وهي البطولة التي تحتاج إلى توافر أعلى المستويات الفنية.

وتوافقت كل وسائل الإعلام على اختيار صورة واحدة للإشارة إلى فاجعة السقوط المدوي لبرشلونة في روما، وهي تلك الخاصة بميسي وهو يغادر ملعب الأولمبيكو، حيث كان ينظر إلى الأرض بنظرات زائغة. وكما هو الحال مع فريقه، فقد ميسي مكانة الريادة في البطولة القارية للفرق الأهم في العالم.

كان يتوقع إلى حد كبير أن ينهي برشلونة الإسباني موسمه بلقبين محليين، إلا أن ليلة السقوط في معقل روما الإيطالي وخروجه من الدور ربع النهائي لدوري أبطال أوروبا في كرة القدم، يطرحان على بساط البحث ضرورة إحداث تغيير في صفوف النادي الكاتالوني، حيث اعتقد كثيرون أن فريق المدرب أرنستو فالفيردي ضمن بطاقته إلى الدور نصف النهائي بعد فوزه ذهابا بين جماهيره بنتيجة 4-1، إلا أن روما، المتواضع فنيا مقارنة مع قدرات العملاق الإسباني، نجح في تحقيق "المعجزة" ودك شباك الحارس الألماني مارك أندري تير شتيغن بثلاثية نظيفة بلغ بها نصف النهائي للمرة الأولى منذ 1984.

عجز فالفيردي عن إيجاد التفسير لما حصل في الملعب الأولمبي واكتفى بالقول "قبل أسبوع سجلنا أربعة أهداف بالتشكيلة ذاتها. صمدنا في وجه الطريقة التي لعبوا بها وفرضنا أسلوبنا. الأمور سارت على ما يرام. لكن هذه المرة، لم يحصل هذا الأمر".

ما حصل ذهابا قد يكون جزءا من المشكلة التي يعاني منها برشلونة، لأن لاعبي فالفيردي فازوا 4-1 من دون أن يقدموا أداء مقنعا بل استفادوا من هدفين بالنيران الصديقة لدانييلي دي روسي واليوناني كوستاس مانولاس اللذين عوضا إيابا بتسجيلهما الهدفين الثاني والثالث.

لم يتحدث أحد بعد لقاء الذهاب عن أخطاء لاعبي فالفيردي لأنهم لم يعاقبوا عليها، إلا أن ما حصل في الملعب الأولمبي أظهر بأن برشلونة يعاني من مشكلة لأنه عجز عن تطبيق أسلوبه وانتظر حتى الدقيقة 74 ليحظى بفرصته الفعلية الأولى عبر نجمه الأرجنتيني ليونيل ميسي.

ما حصل في روما يعكس ما مر به برشلونة في الأسابيع الأخيرة. ففريق فالفيردي عانى الأمرين أمام مضيفه تشيلسي الإنكليزي في ذهاب ثمن النهائي إلا انه خرج بأقل الأضرار الممكنة وانتزع التعادل 1-1 بهدف في ربع الساعة الأخير من ميسي الذي كان أيضا حاسما على الصعيد المحلي بتسجيله هدف الفوز من ركلة حرة ضد أتلتيكو مدريد، ما سمح لفريقه بالابتعاد بالصدارة وقطع نصف الطريق نحو استعادة اللقب من ريال مدريد.

وقبلها ضد إشبيلية، بدا برشلونة في طريقه لتلقي الهزيمة الأولى له في الدوري هذا الموسم بعدما تخلف بهدفين أمام مضيفه إشبيلية، إلا أن الأوروغوياني لويس سواريز قلص الفارق في الدقيقة 87 ثم نجح ميسي في إدارك التعادل بعدما دخل كبديل في الدقائق الأخيرة.

بالنسبة لصحيفة العاصمة "آس" الرياضية، فالنادي الكاتالوني "دون شخصية، دون ميسي ودون أي جدال، عاد برشلونة في الأولمبيكو ليكون حطاما ضد فريق تفوق عليه تماما وأنزل لاعبي برشلونة من علیائهم المصطنعة".

قد يكون هذا التوصيف قاسيا بحق فالفيردي ورجاله، فبرشلونة عادل الرقم القياسي المحلي لأطول سلسلة مباريات في الدوري دون هزيمة بعدما تجنب الخسارة لـ38 مباراة متتالية بفوزه في عطلة نهاية الأسبوع على ليغانيس (3-1)، معادلا إنجاز ريال سوسييداد عام 1980، والأهم من ذلك أنه يبتعد في الصدارة بفارق 11 نقطة عن أتلتيكو قبل 7 مراحل على الختام.

تعويض إنييستا

في حال استفاد فريق فالفيردي من المستوى المتأرجح لإشبيلية واحتفظ بلقب مسابقة الكأس عندما يواجهه في النهائي المقرر في 21 الحالي، سيظفر برشلونة بالثنائية المحلية وقد ينهي الدوري كأول بطل دون هزيمة. لكن المشاركة التالية لبرشلونة في دوري الأبطال ستكون على الأرجح دون ركيزة وسطه وقائده أندريس إنييستا الذي أقر أنه خاض على الأرجح مباراته الأخيرة في دوري الأبطال، وذلك في ظل الحديث عن احتمال التحاقه بالدوري الصيني. ويحتاج برشلونة إلى استبدال إنييستا أو بالأحرى العمل على البرازيلي فيليبي كوتينيو، القادم مؤخرا من ليفربول الإنكليزي، لكي يسد الفراغ الذي سيخلفه بطل العالم 2010.

وأظهرت مباراة روما أيضا أن برشلونة يفتقد إلى البديل المناسب في خط الوسط الدفاعي، لأنه أضطر إلى الإبقاء على سيرجيو بوسكيتس رغم معاناة الأخير من أوجاع في إصبع قدمه. كما أن على إدارة النادي حسم مسألة مستقبل لاعبه الفرنسي صامويل أومتيتي الذي تأثر مستواه بسبب تأخير البت بتمديد عقده.

وهناك مجال أيضا لتحسين وضع الفريق في مركز الظهير الأيمن لأن سيرجي روبرتو فشل حتى الآن في فرض نفسه وإقناع الجميع بقدراته.

لكن على فالفيردي نفسه أن يعترف أيضا بنقص المرونة النابع إلى حد كبير من تكتيكاته. المرونة، التنظيم، حارس مرمى ممتاز بشخص تير شتيغن، وميسي، ذهبوا ببرشلونة بعيدا هذا الموسم... لكن عندما احتاج الفريق للتأقلم أمام روما، وجد نفسه عاجزا عن ذلك.

وأقر بوسكيتس "أنهم لعبوا بطريقتهم ولم نعلم كيف نرد. لم نعلم كيف نخلق الفرص. تمركزنا كان سيئا، وفي نهاية المطاف حصلوا على النتيجة (التي يحتاجها روما إلى التأهل)".

مواجهات تاريخية «مجنونة»

ترددت كلمة "جنون" على ألسن العديد من المشجعين والمعلقين الذين تابعوا فوز نادي روما الإيطالي على ضيفه برشلونة الاسباني، وبلوغه نصف نهائي دوري أبطال أوروبا. إلا أن هذه الـ"ريمونتادا" (عودة) التي حققها نادي العاصمة الإيطالية نادي روما، ليست الأولى التي تشهدها المسابقة القارية الأم. في ما يأتي عرض لأهم المواجهات التي خالف فيها الخاسر التوقعات وقلب تأخره.

خلال قرعة الدور ربع النهائي لدوري الأبطال هذا الموسم، سحب الإيطالي فرانشيسكو توتي اسم برشلونة لمواجهة روما. القائد الأبدي لفريق "الذئاب" الإيطالي الذي اعتزل في نهاية الموسم الماضي، أقر حينها بأن "الأمور كان بإمكانها أن تكون أفضل. سنواجه أحد أكبر الفرق الأوروبية".

وأثبتت مباراة الذهاب صحة توقعات توتي، بعدما دك برشلونة في معقله كامب نو، شباك منافسه الإيطالي برباعية فيها الكثير من "الحظ"، إذ أن لاعبي روما سجلوا هدفين خطأ في مرماهم. لكن مباراة الإياب على الملعب الأولمبي في العاصمة الإيطالية كانت استثنائية، ووجه روما بقيادة مهاجمه البوسني إدين دزيكو، صفعة قاسية إلى برشلونة.

> لن يكون من السهل نسيان ما حدث في روما وسيحتاج برشلونة إلى بعض الوقت لطي صفحة تلك المباراة التي خسرها بثلاثية نظيفة في إياب دور الثمانية لدوري الأبطال

المفارقة أن برشلونة نفسه كان على الطرف الآخر من "ريمونتادا" مذهلة الموسم الماضي، دفعت صحيفة ليكيب الرياضية الفرنسية إلى اعتبارها أمرا "لا يمكن وصفه". في ذهاب ثمن النهائي، تقدم باريس سان جرمان على ملعبه 4-0. بعد الأداء الكبير للاعبي المدرب الإسباني أوناي إيمري، انتقل الفريق الفرنسي إلى كامب نو حيث تلقى درسا لا ينسى من لاعبي برشلونة، وفي مقدمهم ثلاثي خط الهجوم الأرجنتيني ليونيل ميسي والأوروغوياني لويس سواريز، واللاعب الحالي لسان جرمان البرازيلي نيمار.

قبل 17 عاما نجح برشلونة الذي كان يضم في صفوفه البرازيلي ريفالدو والبرتغالي لويس فيغو في قلب تخلفه أمام تشيلسي الإنكليزي 1-3 على ملعب الأخير، إلى فوز على ملعب كامب نو 5-1 بعد التمديد.

وفي سياق متصل شهدت مباراة ريال مدريد و موناكو "ريمونتادا" تاريخية بحضور كل من الفرنسي زين الدين زيدان والبرازيليان رونالدو وروبرتو كارلوس والإسباني راوول غونزاليس، وعلى الجهة الأخرى الكرواتي دادو برسو والفرنسي لودفيك جولي والتشيكي ياروسلاف بلازيل، وفي النهاية، كانت الغلبة لموناكو "المتواضع" على حساب ريال مدريد الإسباني الزاخر بالنجوم. وكذلك مباراة ريال مدريد وفولفسبورغ 2-0 و3-0، إلى جانب لقاء ليفربول 2005 أمام ميلان الإيطالي الذي جسّد "ريمونتادا" المباراة الواحدة.

> السقوط في معقل روما الإيطالي وخروجه من الدور ربع النهائي لدوري أبطال أوروبا في كرة القدم، يطرحان على بساط البحث ضرورة إحداث تغيير في صفوف النادي الكاتالوني

تشيلسي يقلب الطاولة على ساوثهامبتون وينتزع الفوز بثنائية جيرو

«البلوز» يلاحق المركز الرابع المؤهل لدوري أبطال أوروبا

قلب حامل اللقب تشيلسي تأخره أمام ساوثهامبتون بهدفين نظيفين إلى فوز ثمين 3 - 2 عل ملعب "سانت ماري" السبت، في افتتاح الجولة الرابعة والثلاثين من الدوري الإنكليزي الممتاز لكرة القدم.

❑ **لندن** – سجل المهاجم الفرنسي البديل أوليفيه جيرو هدفين ليقلب تشيلسي تأخره بهدفين نظيفين إلى فوز رائع وثمين 3 – 2 على مضيفه ساوثهامبتون السبت في افتتاح فعاليات المرحلة الرابعة والثلاثين من الدوري الإنكليزي لكرة القدم.

وحافظ تشيلسي على آماله في المنافسة على أحد المراكز الأربعة الأولى في جدول المسابقة، والتي يتأهل أصحابها إلى دوري أبطال أوروبا في الموسم المقبل.

وشهدت نفس المرحلة السبت أيضا فوز بيرنلي على ليستر سيتي 2 – 1، وكريستال بالاس على برايتون 3 – 2، وهيدرسفيلد تاون على واتفورد 1 – صفر وتعادل سوانسي سيتي مع إيفرتون 1 – 1.

ويدين الفريق بفضل كبير في هذا الفوز إلى التغييرات الصائبة التي أجراها مديره الفني الإيطالي أنطونيو كونتي في وسط الشوط الثاني، والتي قلبت الطاولة على مضيفه بثلاثة أهداف في غضون تسع دقائق فقط.

> تشيلسي حافظ على آماله في المنافسة على أحد المراكز الأربعة الأولى في جدول المسابقة، والتي يتأهل أصحابها إلى دوري أبطال أوروبا في الموسم المقبل

وأنهى ساوثهامبتون الشوط الأول لصالحه بهدف نظيف سجله المهاجم الصربي دوشان تاديتش في الدقيقة 21، ثم عزّز الفريق تقدّمه بهدف ثان سجّله المدافع البولندي الشاب يان بيدناريك ليكون الهدف الأول له مع الفريق في الدوري الإنكليزي.

ولكن تغييرات كونتي بنزول جيرو والإسباني بدرو رودريغيز في الدقيقة 61 منحت تشيلسي التفوق في وسط الشوط الثاني.

وسجل جيرو هدفين للفريق في الدقيقتين 70 و78 ليفتتح أهدافه مع تشيلسي في الدوري الإنكليزي منذ أن انتقل إليه قادما من أرسنال، وسجل البلجيكي المتألق إيدن هازارد الهدف الآخر للفريق في الدقيقة 75.

وتجمد رصيد ساوثهامبتون عند 28 نقطة في المركز الثامن عشر بعدما مني بالهزيمة الرابعة على التوالي والخامسة مقابل تعادلين في آخر سبع مباريات خاضها الفريق بالدوري الإنكليزي هذا الموسم، وبات مهدّدا بشكل كبير بالهبوط إلى الدرجة الأولى.

وقدّم الفريقان أداء سريعا منذ الدقيقة الأولى في المباراة، ولكن اللعب انحصر معظم الوقت في وسط الملعب، حيث افتقد كلاهما القدرة على التوغل بشكل فعّال في الثلث الهجومي.

وجاء الأداء سجالا بين الفريقين، لكن كلا منهما فشل في تهديد مرمى الآخر بشكل فعلي على مدار أول ثلث ساعة من المباراة، وفي الدقيقة 21، باغت ساوثهامبتون ضيفه بهدف التقدّم بتوقيع المهاجم الصربي دوشان تاديتش.

وجاء الهدف إثر هجمة مرتدة سريعة وتمريرة طولية زاحفة من نصف ملعب ساوثهامبتون وصلت منها الكرة إلى ريان برتراند المندفع في الناحية اليسرى، ليواصل انطلاقته حتى وصل داخل منطقة الجزاء، ثم مرّر الكرة لحظة سقوطه لتصل إلى تاديتش المتحفّز بوسط منطقة الجزاء ليقابلها بتسديدة مباشرة إلى داخل مرمى تشيلسي.

ومنح الهدف ثقة كبيرة لفريق ساوثهامبتون الذي سعى لتعزيز تقدّمه بهدف آخر وسط حالة الارتباك التي سيطرت على تشيلسي، لكنه فشل في ترجمة الفرص التي سنحت له إلى أهداف.

واستعاد "البلوز" اتزانه سريعا وعاد لمبادلة مضيفه المحاولات الهجومية، ولكن بلا خطورة أيضا على المرميين، وفشل تشيلسي في استغلال الضربات الحرة والركنيات العديدة التي احتسبت له خلال الشوط الأول، لينتهي الشوط بتقدم ساوثهامبتون بهدف نظيف.

واستأنف الفريقان محاولاتهما مع بداية الشوط الثاني، ورغم الهجوم المكثف من تشيلسي لتعديل النتيجة، كانت الفرصة الأخطر منذ بداية هذا الشوط من نصيب أصحاب الأرض، حيث استغل الفريق هجمة مرتدة سريعة وهدّد مرمى البلجيكي تيبو كورتوا حارس مرمى تشيلسي.

ورد تشيلسي بفرصتين متتاليتين في الدقيقة التالية، حيث أنهى البلجيكي إيدن هازارد هجمة لتشيلسي بتسديدة قوية من داخل منطقة الجزاء تصدى لها الحارس، وتجدّدت الفرصة بعدها بثوان ليسدّد ويليان كرة قوية من حدود منطقة الجزاء تصدى لها الحارس، لكن الكرة سقطت من يده وحاول هازارد متابعتها لكنه لعبها في يد الحارس فيما أشار الحكم إلى تسلل.

ووسط محاولات تشيلسي لتسجيل هدف التعادل، وجه ساوثهامبتون صفعة قوية لضيفه وسجل مدافعه البولندي الشاب يان بيدناريك الهدف الثاني للفريق في الدقيقة 60.

وجاء الهدف إثر ضربة حرة لعبها جيمس وارد من الناحية اليمنى عالية وعبرت فوق جميع اللاعبين لتصل إلى بيدناريك المندفع في الناحية الأخرى أمام المرمى، ليسددها قوية مباشرة إلى داخل مرمى كورتوا.

تغييرات مثمرة

وأجرى الإيطالي أنطونيو كونتي المدير الفني لتشيلسي تغييرين دفعة واحدة في الدقيقة 61 لتجديد دماء الفريق، حيث دفع بالفرنسي أوليفيه جيرو والإسباني بدرو رودريغيز بدلا من ألفارو موراتا وديفيد زاباكوستا على الترتيب، وكافأ جيرو مدربه وسجل هدف إنعاش الأمل بالنسبة لتشيلسي في الدقيقة 70.

وجاء الهدف إثر هجمة سريعة وتمريرة رائعة لعبها الإسباني ماركوس ألونسو من الناحية اليسرى وقابلها جيرو بضربة رأس نموذجية وسط اثنين من مدافعي ساوثهامبتون لتخترق المرمى.

ولم يمنح تشيلسي مضيفه أي فرصة لإعادة ترتيب الأوراق، حيث باغته بهدف التعادل في الدقيقة 75 بتوقيع هازارد، وجاء الهدف إثر هجمة منظمة سريعة وصلت منها الكرة إلى ويليان في الناحية اليسرى على حدود منطقة الجزاء ليتلاعب بالدفاع ويمرّر الكرة عرضية إلى هازارد المتحفّز بوسط منطقة الجزاء، حيث هيأ هازارد الكرة بيمناه ثم سدّدها بيسراه قوية دون مضايقة من الدفاع لتسكن الكرة الشباك.

ولعب ويليان الضربة الحرة إلى هازارد داخل منطقة الجزاء الذي مرّرها بدوره داخل منطقة الجزاء وفشلت محاولات إبعاد الكرة لتتهيأ إلى جيرو الخالي من الرقابة داخل منطقة الجزاء، حيث سدّدها مباشرة إلى داخل المرمى على يسار الحارس ليكون هدف التقدم لتشيلسي في الدقيقة 78.

وأثار الهدف الثالث حفيظة لاعبي ساوثهامبتون الذين اندفعوا في الهجوم بحثا عن هدف التعادل، ولكنهم فشلوا في استغلال الفرص التي سنحت لهم في الدقائق الأخيرة.

تجار السعادة

مراد البرهومي
كاتب صحافي تونسي

❑ من يعتقد أن كرة القدم هي مجرد لعبة فهو مخطئ، ومن يتصوّر أن هذه الرياضة لا تعدو أن تكون مجرد وسيلة للتسلية فهو مخطئ أيضا، أما من كان يعتبر أن تلك "الفاتنة" المدوّرة هي رياضة يستغلّها البعض لخدمة مصالح اقتصادية وسياسية فحسب، فهو كذلك مخطئ.. فكرة كرة القدم قد تكون وجدت لإسعاد محبيها وإدخال البهجة في قلوبهم.

الأمر الذي دفعني إلى الحديث عن قيمة كرة القدم كمصدر أساسي لبثّ الغبطة والحبور ومصدّر أول لحبوب السعادة، هو حصول تأكيد جديد على مدى تأثير هذه الرياضة في قلوب البشر، وأعني بذلك محبيها وعشاقها، وما حدث الثلاثاء الماضي ألح عليّ بضرورة الخوض في تأثير هذه "الفاتنة" الساحرة.

جمعني لقاء، الثلاثاء، بأحد أترابي في إحدى المقاهي بالحي، كان يعشق فريق ليفربول ويشجّعه بلا هوادة، هذا المحب أصرّ على متابعة لقاء إياب الدور ربع النهائي لدوري الأبطال بين ليفربول ومضيّفه مانشستر سيتي، طلب من النادل أن يفتح القناة الناقلة لهذه المباراة، رغم أنها تقام في التوقيت نفسه مع مباراة برشلونة ومضيّفه روما.

بحكم سلطته المعنوية رضخ الجميع لمشيئة صديقي، بدأت المواجهة فسجل السيتي هدفا مبكرا للغاية، لكن هذا الصديق كان واثقا أن فريقه المحبّب سيعود في النتيجة، فسجّل المصري محمد صلاح هدف التعادل الذي حسم المواجهة نهائيا إذا أخذنا بعين الاعتبار نتيجة مباراة الذهاب، ليدخل صديقي في دوّامة من الفرح العارم، فرحة هيستيرية انتابته، بل هي سعادة غامرة دفعته إلى الرقص وسط المقهى.

ظننت لوهلة أنه ولد في ليفربول أو أنه يحمل أصولا إنكليزية خالصة، لكنني أعرف جيدا أنه يعيش في العاصمة التي لم يغادرها أبدا، بيد أنني أيقنت فعلا أن سحر الكرة يفوق في تأثيره أي سحر آخر، هو سحر يدغدغ الأحاسيس والمشاعر ويبث في النفس عواطف أقوى بكثير من أي شيء آخر إذا كان المتلقي مثل صديقي مهووسا ومتيّما بهذه "الفاتنة" وتحديدا بفريق معيّن.

أدركت حينها أن ليفربول الذي تاه لسنوات وابتعد عن المنافسات القوية والتتويجات عائد بقوة، أيقنت أن لهذا الفريق تأثيرا بات أكثر قوّة مع المدرب الحالي يورغن كلوب ومجموعة اللاعبين الذين يقودهم "أيقونة" الكرة العربية ونجمها الأول محمد صلاح.

تلك السعادة الغامرة التي لمستها لدى صديقي من المؤكّد أنها لم تكن حكرا عليه، فجماهير "الليفر" استمتعت هذا الموسم بالنتائج الرائعة التي حقّقها فريقهم، استمتعت وسعدت كثيرا بعد أن استعادت بالذاكرة تلك الملاحم التي طبعت تاريخ ناديهم العريق، والفضل يعود في ذلك إلى تجّار السعادة الجدد.

لقد استحضرت في مخيلتي أحداث مسلسل مصري عرض منذ سنوات قليلة عنوانه "تاجر السعادة"، هذا المسلسل يروي حكاية رجل ضرير منح السعادة لجميع متساكني قريته بفضل وصفاته "السحرية"، كان ذلك الرجل يبيع الوهم، ولكنه وهم لذيذ صبغ كل ألوان السعادة على ما حوله.

لكن في ليفربول يوجد أكثر من تاجر سعادة، وهم لا يبيعون الأوهام، بل ينثرون البسمة في أفواه كل المولعين بالفريق، فاليوم لم يعد في الفريق تاجر واحد يمنح السعادة بل هم كثر، فما تحقّق صلب الفريق هذا الموسم يعتبر بكل المقاييس إنجازا وعملا مُمتعا، لأن ليفربول يحتل حاليا المركز الثاني في ترتيب الدوري الممتاز ويراهن بكل جدية على احتلال مركز الوصيف، كما أنه يقدّم مستوى رائعا وأداء حماسيا جلب إعجاب كل مناصري الكرة الجميلة، والأكثر من ذلك، بل لنقل الأهم من ذلك بكثير أن هذا النادي بلغ المربع الذهبي لدوري الأبطال ليستعيد ذكرياته المجيدة في أمجد المسابقات الأوروبية التي حاز خلالها خمسة ألقاب لا تنسى.

لقد بلغ الفريق مرتبة عالية وأبهر كل مناصريه بفضل اللوحات الممتعة واللمحات الفنية المدهشة التي قدّمها إلى حد الآن تجار السعادة الجُدد وقائدهم المدرب المبتسم دائما يورغن كلوب.

هذا المدرب نجح في ابتكار توليفة مميزة من اللاعبين الأشدّاء، ورغم خروج كوتينهو الذي فضّل بهرج برشلونة، إلا أن المدرب الألماني وفّق في إخراج كل الأشياء الجميلة لدى لاعبيه على غرار البرازيلي فيرمينهو والسنغالي ماني وخاصة الفرعون المصري محمد صلاح.

ربما يصح القول إن صلاح كان التاجر الأكثر "شطارة" فمزاياه عديدة ومواهبه جواهر خالدة وإنجازاته في موسمه الأول مع ليفربول عانقت الروعة والخيال ووصلت به، بل وأوصلت ليفربول إلى مكانة عالية بين "أسياد" أوروبا، لقد بيعت معظم "تحفه" فمنحت سعادة حقيقية غمرت الجميع.

اليوم بلغ الفريق المرحلة قبل الأخيرة من المسابقة الأوروبية وما تحقّق قد يرضي جماهير ليفربول الذين سعدوا كثيرا بوصول فريقهم إلى المربع الذهبي بعد غياب مستمر عن الأدوار المتقدّمة منذ سنة 2005، لكن ما زال في الجراب الكثير، وما زال لدى هؤلاء التجار الكثير ليقدّموه.

سيكون الحاجز القادم أسوار روما منافس ليفربول في نصف النهائي، وداخل روما كان هناك المعقل السابق لصلاح الذي ما زال إلى اليوم يحتفظ بذكريات رائعة وعلاقات متميزة للغاية مع جماهير فريق العاصمة، كيف لا وهو الذي منحهم سعادة كبيرة الموسم الماضي وساعدهم على التأهل إلى دوري الأبطال.

ومن المؤكد أن المواجهة ستكون قوية وممتعة، لكن خلالها سيتعيّن على صلاح ورفاقه مواصلة صنع الحلم والاستمرار في بيع السعادة لكل من عشق ليفربول وطرب فرحا مع تجار السعادة.

سامي الجابر يترأس الهلال السعودي

❑ **الرياض** – عين النجم السعودي السابق سامي الجابر رئيسا لنادي الهلال خلفا لرئيسه السابق الأمير نواف بن سعد الذي أعلن رغبته في عدم الاستمرار في منصبه بعيد احتفاظ النادي بلقبه بطلا للدوري السعودي لكرة القدم.

ونشر الجابر عبر حسابه على موقع تويتر بعيد منتصف ليل الجمعة السبت "أشكر معالي رئيس الهيئة العامة للرياضة تركي آل الشيخ على تكليفي برئاسة نادي الهلال، وكلي ثقة بدعم ومساندة أعضاء الشرف وجماهير الزعيم العزيزة على قلبي، وأنا ابن النادي وسأبقى خادما له".

وأضاف "هذا القرار تكليف قبل أن يكون تشريف فالمهمة صعبة، وقد خدمت الهلال لاعبا وإداريا واليوم أعتز بخدمته رئيسا، أنا لا شيء دون جمهور الزعيم العظيم الذي أتطلع لوقوفه مع النادي وأعد عشاقه بالمزيد من البطولات والإنجازات"، واعدا "بالمزيد من العمل المتواصل والجهد المستمر لتحقيق طموحات الهلال، وسنعمل جميعا على قدر الثقة لبلوغ الآمال الزرقاء".

وأتى الإعلان عن تكليف الجابر، بعد ساعات من تأكيد تركي آل الشيخ عبر حسابه على تويتر، أن الأمير نواف بن سعد قرر ترك منصبه.

ونشر آل الشيخ صورة تجمعه بابن سعد مرفقا إياها بتعليق جاء فيه "أبلغني أخي وصديقي الأمير نواف بن سعد قراره النهائي بعدم الاستمرار برئاسة نادي الهلال، سيبقى سموه ذكرى عطرة في تاريخ الهلال بعد أن أمضى 3 سنوات حافلة بالعطاء، شهدت تتويج النادي بلقب الدوري السعودي مرتين".

وأتى ابتعاد الأمير نواف بن سعد غداة احتفاظ الهلال بلقب الدوري للموسم الثاني تواليا، والمرة الخامسة عشرة في تاريخه، بفوزه في المرحلة الأخيرة على الفتح 4 – 1، منهيا الموسم بفارق نقطة واحدة عن الأهلي.

ويعد الجابر (45 عاما) من أبرز النجوم التاريخيين للكرة السعودية ونادي الهلال، حيث نشأ وأمضى كامل مسيرته منذ نهاية ثمانينات القرن الماضي وحتى 2007، باستثناء تجربة إعارة قصيرة مع وولفرهامبتون الإنكليزي.

وأحرز الجابر مع الهلال سلسلة ألقاب محلية وقارية، أبرزها الدوري المحلي في 5 مرات وكأس الاتحاد السعودي 3 مرات وكأس ولي العهد 5 مرات وكأس الأندية العربية الأبطال مرتين وكأس الأندية الآسيوية أبطال الكؤوس مرتين.

مهمة صعبة

معرض لفان غوخ بلوحات مستنسخة على السيراميك

تأثر فريق من طلاب مركز فنون بإسطنبول برونق ضربات الفرشاة في لوحات فان غوخ، أفرز عملية استنساخ لأشهر أعمال هذا الرسام الهولندي الشهير، على السيراميك بأسلوب ثلاثي الأبعاد.

محاولة الجمع بين النسخة والأصل

❑ **إسطنبول** – تمكن مدربون وطلاب في مركز مهني لبلدية إسطنبول، من استنساخ أهم لوحات الرسام الهولندي والعالمي الشهير فينسنت ويليم فان غوخ على مادة السيراميك بأسلوب ثلاثي الأبعاد.

وقالت شيماء بالجي، المدربة في مركز الفنون التركية الإسلامية بمركز دورات الفنون والتدريب المهني بمنطقة فندق زادة، عن تلك التجربة، إن متدربي وطلاب المركز تمكنوا من إعداد 15 لوحة من أشهر أعمال فان غوخ (1853–1890).

وأوضحت بالجي أن أعمال الرسام العالمي رُسمت على السيراميك بأسلوب بديع، من بينها لوحات "بورتريه"، و"عباد الشمس"، و"غرفة النوم في آرلس"، و"ليلة النجوم"، مضيفة أن عملية استنساخ أشهر أعمال فان غوخ على السيراميك، استغرقت حوالي 5 أشهر.

وأشارت بالجي إلى أنها أكملت تعليمها الجامعي في مجال الفنون الجميلة والخزف، ونالت درجة الماجستير في مجال فنون الرسم على السيراميك. وتمتلك ورشة خاصة تعمل فيها منذ 5 أعوام، إذ ساهمت من خلالها بتدريب عدد كبير من الطلاب في مجال الرسم على السيراميك، وفق قولها.

وتابعت "قبل 3–4 أعوام، لم يكن هناك اهتمام كبير بفنون الرسم على السيراميك ولم يكن الطلاب يقبلون على تعلم هذا الفن العريق"، مشيرة "عندما أبديت اهتماما ورغبة بتعلم هذا الفن، لم يكن الكثيرون من حولي على معرفة بهذا الفن، لكن خلال السنوات الأخيرة، ازداد اهتمام الجميع بالرسم على السيراميك، نتيجة انتشار الورش الخاصة بهذا الفن".

وبحسب بالجي شهد قطاع الرسم على السيراميك "تطورا ملحوظا وانتشارا واسعا خلال الفترة الماضية، وسنواصل العمل الدؤوب من أجل زيادة انتشار هذا الفن بشكل أوسع".

وأفادت "من الصعب ألا يتأثر الشخص برونق ضربات الفرشاة في اللوحات التي أنتجتها أنامل فان غوخ"، متابعة "لقد فكرت في تطبيق تلك اللوحات على السيراميك، وأجريت تجارب وتبادلت الأفكار مع طلابي والمتدربين، لا شك أن القيام بمثل هذا العمل يتطلب قدرا كبيرا من الصبر، وأنا أوضحت ذلك للطلاب والمتدرّبين ووجدت استعدادا كبيرا لديهم للقيام بهذا العمل".

ووفقا لبالجي، فإنها استخدمت تقنية تعود إلى العصر الحجري الحديث في الرسم على الأواني والأطباق، وقامت بتكبير حجم الخطوط إلى حوالي 10 أضعاف، قبل أن تحول اللوحات إلى ثلاثية الأبعاد.

وأشارت إلى أن الرسم على السيراميك محفوف بالمخاطر، بسبب تعرض الطين للحرارة وغير ذلك من العمليات التي تدخل في مجال صناعة السيراميك، ما يجعل من توقع الألوان أمرا صعبا. ورغم تلك الصعوبة، تمكن فريق العمل من إنجاز لوحات الرسام الهولندي بحرفية عالية مع استخدام ألوان شبيهة بالألوان الأصلية تماما، بحسب ما أوضحت الفنانة التركية.

وأكّدت بالجي أنها تستخدم في صناعة السيراميك أنواعا من التربة المستخرجة محليا، وأن لوحات السيراميك التي عكست لوحات رسومات فان غوخ، نجحت في التعبير عن المشاعر العميقة والفن الناضج المرهف الذي تزخر به اللوحات الأصلية.

ويستضيف معرض الجمهورية للفنون بمنطقة تقسيم في إسطنبول لوحات الفريق التركي ضمن فعاليات مهرجان التوليب في إسطنبول. ويضم المعرض 11 مجالا متنوعا من الفنون، أبرزها الخط، والتذهيب، والإيبرو، والحفر على الخشب.

مهرجان مغربي: قصار القامة قوة وشهامة

❑ **مكناس (المغرب)** – احتفى المهرجان المغربي للأشخاص ذوي القدرات الخاصة في دورته الخامسة في مدينة مكناس (شمال المغرب) بقصار القامة، تحت شعار "قصار القامة قوة وشهامة".

وقال عبدالنور الفدايني، مدير المهرجان، إن هذه الخطوة تهدف إلى "إبراز قدرة قصار القامة على الإبداع في مختلف المجالات سواء الرياضية أو الفنية أو غيرها".

ويكرس المهرجان هذه السنة لمبدأ إعطاء لكل ذي حق حقه من مختلف فئات المجتمع من خلال المساواة وتكافؤ الفرص ويأتي تأكيدا لمضامين الاتفاقية الدولية لحقوق الأشخاص في وضعية إعاقة التي تخص المبادئ الخمس (احترام الاختلاف/ الاستقلالية/الكرامة/التمكين/المساواة وعدم التمييز).

واعتبر الفدايني، المهرجان مناسبة للوقوف على أوضاع هذه الفئة المهمشة في المغرب، وتغيير نظرة المجتمع نحوهم، وتجاه ذوي الإعاقة بشكل عام.

وتخلل فعاليات هذه الدورة من المهرجان لقاء تواصلي وتحسيسي بخصوص شعار المهرجان "قصار القامة قوة وشهامة؛ تجلياتها بالمجتمعات العربية والغربية"، بالإضافة إلى مباراة استعراضية بين منتخب كرة القدم لقصار القامة والنادي المكناسي لفئة أقل من 13 سنة، إلى جانب حفلة ختامية تكريمية لبعض الفعاليات، حيث أبدع الأشخاص من ذوي القدرات الخاصة من فئة قصار القامة في الحفل كل في مجاله سواء الرياضي أو الفني.

ويُعرّف قصير القامة، دوليا، بأنه شخص بالغ يقل طوله عن 147 سم. ولا توجد إحصاءات رسمية لأعداد قصار القامة في المغرب.

ووفقا لمصادر إعلامية، فإن مجموعة من الشباب المغاربة قصار القامة أعلنوا العام الماضي عن تأسيس جمعية وطنية تطرح مشكلاتهم وتسعى للتعريف بالمعاناة التي يعيشونها في المجتمع، من احتقار المواطنين وتهميش المسؤولين لوضعيتهم ومطالبهم الاجتماعية التي يطالبون بتحسينها واعتبارهم فئات فاعلة في المجالات التي يشغلونها.

كيم كارداشيان لا تزال تشغل القضاء الفرنسي

❑ **باريس** – أوقف رجل على سواحل كوت دازور الفرنسية في إطار التحقيق حول عملية السطو التي تعرضت لها نجمة تلفزيون الواقع الأميركية كيم كارداشيان في أكتوبر 2016 في باريس، بحسب ما كشف مصدر مطلع على التحقيق مؤكدا معلومات تداولتها صحيفة نيس-ماتان الفرنسية.

وقد أوقف الشاب (28 عاما) بالقرب من مدينة كان على يد وحدة مكافحة أنشطة العصابات، وفقا للمصدر الذي أوضح أنه يشتبه في أن الشاب "شارك إلى حد كبير" في عملية السطو.

وتم إيقاف المشتبه به بإنابة قضائية ولم يودع السجن بعد ومن المرتقب أن يمثل أمام القضاء، وفق ما أفاد مصدر قضائي. وقد أوقف 10 أشخاص في إطار هذا التحقيق ووضع خمسة منهم في السجن الاحتياطي.

وليل 2–3 أكتوبر، قام خمسة لصوص بالاعتداء على الحارس الليلي في دارة فندقية خاصة في وسط باريس كانت تنزل فيها النجمة الأميركية، ثم صعد اثنان منهم مقنعين ومتنكرين بلباس الشرطة إلى شقة كيم كارداشيان. وسرق اللصوص الخمسة، وكلهم مجرمون محترفون لهم سوابق قضائية تتراوح أعمارهم بين 54 و72 عاما، عدة مجوهرات من الماس والذهب بالإضافة إلى الخاتم الكبير. وقدرت قيمة المسروقات بتسعة ملايين يورو، فباتت هذه العملية أكبر سرقة يتعرض لها فرد في فرنسا منذ 20 عاما.

سياسية هندية تتوج بميدالية في الملاكمة

❑ **غولد كوست (أستراليا)** – توجت ماري كوم، وهي سياسية هندية وأم لثلاثة أبناء، السبت، بالميدالية الذهبية في الملاكمة لوزن 45–48 كيلوغراما ضمن منافسات دورة ألعاب الكومنولث المقامة حاليا بمدينة غولد كوست الأسترالية.

وقالت "كانت تجربة جيدة بالنسبة لي، ولكن أي شيء وارد داخل الحلبة. كان علي التمسك بالثقة في قدرتي على تقديم أفضل ما لدي. وكانت اللاعبة المنافسة قوية للغاية".

وأضافت كوم، وهي برلمانية في مجلس النواب الهندي الذي يضم 245 عضوا "وزير الرياضة جاء لتشجيعي. بلادي ستكون فخورة للغاية".

وتوجت كوم (35 عاما) بخمسة ألقاب عالمية على مستوى الهواة كما أحرزت ميدالية برونزية في منافسات وزن 51 كيلوغراما في أولمبياد لندن 2012، لكنها أخفقت في التأهل لأولمبياد ريو دي جانيرو 2016. وشاركت في نوفمبر الماضي، في البطولة الآسيوية وتوجت بميدالية ذهبية.

وقالت إن "كنت أتمتع باللياقة الكافية، سأتنافس في أولمبياد طوكيو 2020 أحلامي لم تنته بعد لأنني لم أحرز ميدالية ذهبية أولمبية. لذلك سأواصل المنافسة".

وتتمتع كوم بشعبية كبيرة في الهند، وجرى إنتاج فيلم يروي سيرتها الذاتية في عام 2014.

صباح العرب

عدلي صادق

لم لا؟

❑ بسبب اهتمامي بالتاريخ العربي، لا سيما الحديث والمعاصر؛ توجهت ذات يوم، لزيارة رجل فلسطيني في منتصف الثمانينات من العمر، هو المرحوم طلعت الغصين، أحد مؤسسي وزارة الخارجية الكويتية، الذي تقلد العديد من المناصب الدبلوماسية، وأولها ترؤس بعثة الكويت الأولى لدى الأمم المتحدة عند الاعتراف باستقلالها، وبعدئذ، البعثة لدى الولايات المتحدة نفسها. يومها، كان الرجل مقيما على شاطئ البحر في تونس وكنت زائرا هناك. رننت على جرس باب الفيلا، ففتح لي شاب لا أعرفه، قادني إلى حيث يجلس العم طلعت. وبدأ الحديث كالعادة بأسئلة عن الصحة والمكان وأسباب الإقامة فيه، وبعد نحو ربع الساعة، سألته عن الشاب الذي فتح الباب ثم اختفى، وما إذا كان أحد أبنائه، وما هو سبب اختفائه ولماذا لا يجلس معنا. فأجابني الرجل بدعابته المألوفة: إنه في منزلة ابني، ولكن هناك في الإجابة عن سؤالك، ثلاث مفاجآت لك. الأولى أن الذي فتح لك الباب هو سفير دولة الكويت الراهن لدى تونس، ولأن العلاقات بين منظمة التحرير الفلسطينية والكويت معلقة إثر حرب الخليج، فهو لا يستطيع مشاركتنا الجلسة. أما الثانية، فهي أن السفير فلسطيني الأصل، بل غزاوي، وهذه موصولة بالمفاجأة الثالثة، وهي أنه مسيحي!

فسّر لي كيف وصل هذا الفلسطيني إلى منصب سفير لدولة الكويت، مع اختلاف الأصل والفرع عن إخوتنا الكويتيين؟ قال لي إنه ابن أحد الذين أسهموا في بناء المؤسسات قبل استقلال دولة الكويت، وأبوه هو خليل شحيبر، الذي تقلد منصب قائد الشرطة الكويتية، وقد جاء مع أسرته في أواخر الأربعينات من القرن الماضي بعد النكبة، برفقة ابن عمه جبرا شحيبر الذي أصبح قائد الجيش. فقد عاشت في الكويت عشر عائلات مسيحية من فلسطين والمشرق العربي، وكان ذلك العدد كافيا لتغليب العنصر العربي المسيحي على أسلاف عناصر الجمعية الأميركية التبشيرية الطبية، التي أسست أولى الكنائس والمستوصفات. وكانت تلك الجمعية، قد أبلت بلاء حسنا، في معالجة جرحى معركة الجهراء في العام 1920 أي تلك المعركة التي خاضها الشيخ سالم المبارك الصباح ضد مجموعات "الإخوان" السعوديين الذين حاولوا الزحف من نجد إلى الكويت.

ذكرني تسليط الضوء، في الآونة الأخيرة، على القس الكويتي المسيحي عمانوئيل غريب، بواقعة لقائي مع المرحوم طلعت الغصين. فالقس الذي يعود أصله إلى جنوبي شرق تركيا، وأصبح كويتيا قحّا؛ يؤشر إلى قدرة أي مجتمع على التنوع والتسامح والوئام الأهلي. فالرجل كويتي مسيحي ولديه رعايا كنيسته، ولم لا؟